مكتبة الأسرة 1999

مهرجان القراءة للجميع

الأعمال الخاصة

فاروق ملكاً

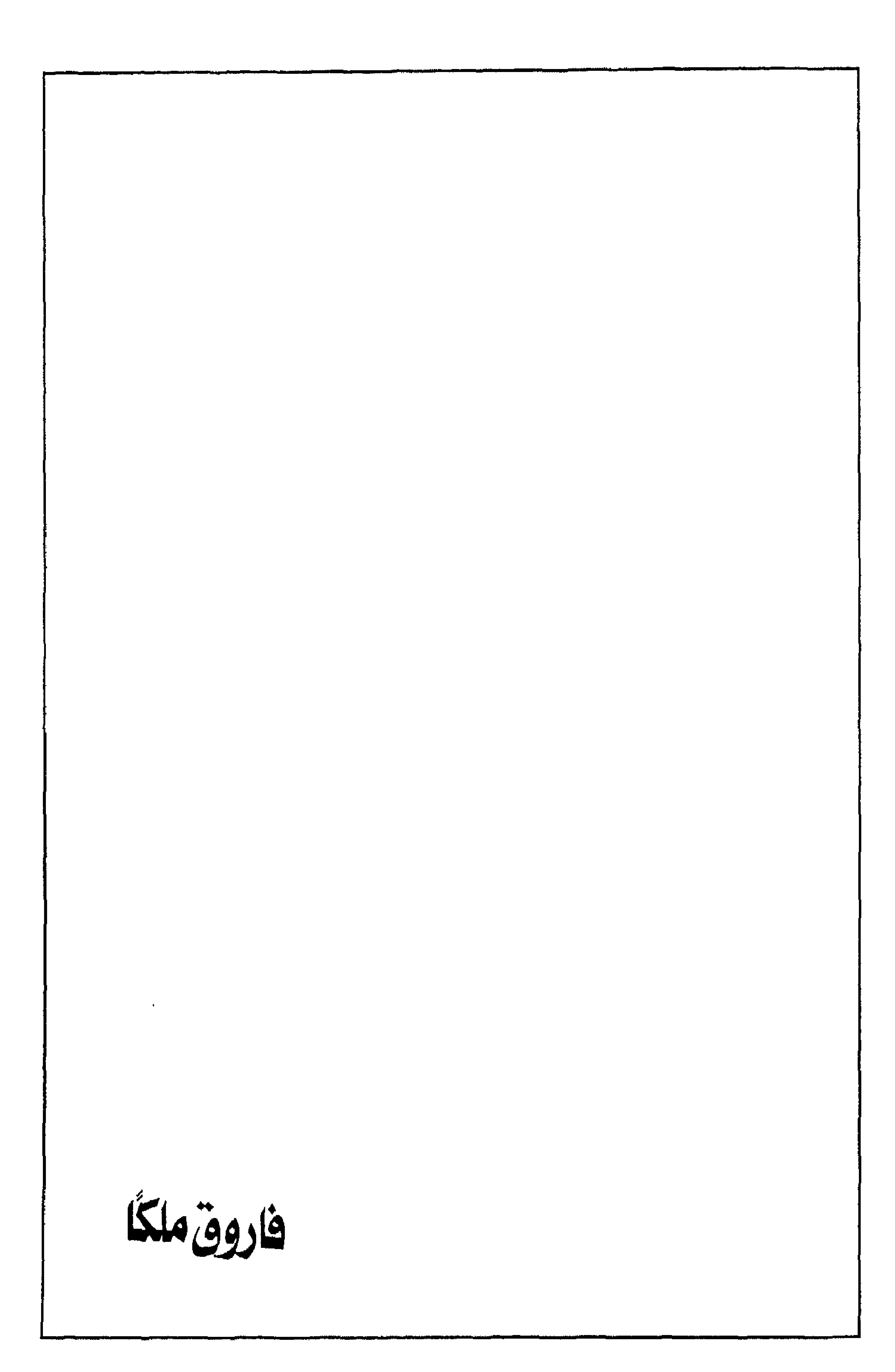
١٩٣٦
١٩٥٢

أحمد بهاء الدين

تقديم: إحسان عبد القدوس



الهيئة المصرية العامة للكتاب


فاروق ملكًا

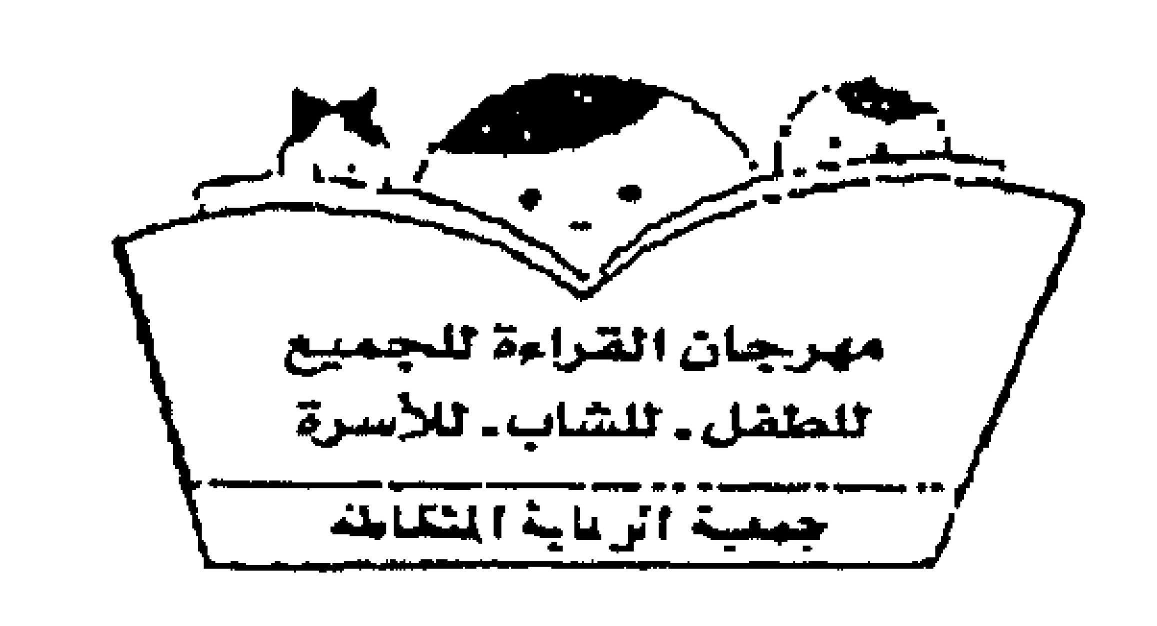
فاروق ملكاً

١٩٣٦ - ١٩٥٢

أحمد بهاء الدين

تقديم : إحسان عبد القدوس

رشــاد كامـل



مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأعمال الخاصة)

فاروق ملكاً

أحمد بهاء الدين

تقديم: إحسان عبد القدوس   رشاد كامل

الجهات المشاركة:

جميعة الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلي للشباب والرياضة

التنفيذ : هيئة الكتاب

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :

د . سمير سرحان

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام، وها هى تصدر لعامها السادس على التوالى برعاية كريمة من السيدة سوزان مبارك تحمل دائمًا كل ما يثرى الفكر والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ الذى يتلهفها شبابنا صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجمل والأروع والأعظم.

د. سمير سرحان

فاروق ملكا
قصة كتاب له تاريخ

فى هدوء شديد وصمت أشد فوجئ الناس عامة والمثقفون خاصة بصدور مجلة اسمها «الفصول» فى صيف عام ١٩٤٤ .

كانت المجلة حدثا ثقافيا وأدبيا وفكريا بارزا لفت انتباه المثقفين!

كان رئيس تحرير المجلة الشهرية وصاحب امتيازها هو الكاتب الكبير «محمد زكى عبد القادر» صاحب أشهر عمود فى الصحافة المصرية طوال ٤٠ عاماوهو عمود «نحو النور» .

وقبل ذلك كان «محمد زكى عبد القادر» مشغولا مع عدد من رجال الفكر والسياسة والاقتصاد بتكوين وانشاء «جماعة النهضة القومية» تعنى ببحث مشكلات مصر ودراستها دراسة موضوعية واصدار كتب أو نشرات عنها كمحاولة لتكوين رأى عام مستنير يتجه إلى الإصلاح بروح فاهمة ودارسة .

واختار اعضاء هذه الجماعة أن يجتمعوا فى مقر مجلة «الفصول» (١٧ ش شريف) وكان من بين الموضوعات التى ناقشوها وسرعان ما وجدت طريقها للنشر فى «الفصول» موضوعات مثل الإصلاح الزراعى والملكية الزراعية والنظام البرلمانى والتنمية الاقتصادية

ومن الكتب الهامة والخطيرة التى صدرت عن اعضاء هذه الجماعة «الاصلاح الزراعى» لمريت غالى، و«البنك المركزى» للدكتور أحمد ابراهيم، والوضع القانونى للمسألة المصرية السودانية للدكتور زهير جرانه، ومسألة

فلسطين لجفرى بطرس غالى، والنظام الدولى للدكتور وحيد رأفت وغيرها من الموضوعات الجادة.

باختصار شديد جذبت مقالات ودراسات وأبحاث «الفصول» أغلب شباب مصر الذى كان يبحث عن الجدية والجدة.. كانت مجلة تعبر عن قلق الشباب وهمومه الوطنية فى شكلها العام.. واجتذبت الفصول عشرات الأسماء الشابة فى ذلك الوقت، وكان أحمد بهاء الدين (١٧ سنة) أحد هؤلاء الشباب الجادين!!

عن أحمد بهاء الدين وباقى زملاء جيله الشباب كتب محمد زكى عبدالقادر فى سيرته الذاتية «أقدام على الطريق» يقول:

كانت «الفصول» حينئذ قد بلغت درجة كبيرة من الذيوع والانتشار، وكما كانت مجالا لأقلام الكثيرين من أصحاب الفكر والرأى كانت أيضا مجالا لأصحاب الأقلام من الشبان الجدد.. وكنت أرحب بهم وأعطيهم فرصا متساوية.. بعضهم بل كلهم تقريبا، لم تكن لى معرفة سابقة بهم، جاءونى على غير معرفة وقدموا إنتاجهم، وكنت أقرأه بإمعان، فإذا أجزته نشرته دون احتفال بما إذا كان الاسم معروفا أو غير معروف.. وجرت أقلام عديدة على صفحات الفصول وأصبح للكثير منها اسم وذكر وتألق فيما بعد.. عثمان العنتبلى.. سعد رضوان.. حسين القبانى.. موسى صبرى.. أحمد حمروش.. يحيى أبو بكر .. يوسف الشارونى.. عادل ثابت.. أحمد بهاء الدين.. فتحى غانم.. نعمان عاشور.. أنور المشرى..

ويختتم زكى عبد القادر كلامه قائلا: وكان الاستاذ أحمد بهاء الدين أكثرهم مواظبة وتحمسا، وأنست له، وأفسحت له الكثير من الصفحات، ثم حدث أن زادت مشغولياتى فى «الأهرام» بعد وفاة المرحوم «انطون الجميل باشا» فزادت مسئولياته فى الفصول إذ أصبح يقوم بأكثر العمل فيها أو كله.

وعن ذكريات هذه المرحلة عامة ومجلة «الفصول» خاصة، قال الاستاذ «أحمد بهاء الدين» (ضمن حوار طويل نشر فى مجلة صباح الخير) ما يلى:

كانت «الفصول» مجلة مصرية الطابع والاهتمامات، وقد ظهرت ردا على مجلة المختار (ردرز دايجست) وكانت هذه المجلة - أي الفصول - لهاطابع فكرى جاد وكنت من قرائها، وأرسلت لها بعض المقالات كقارئ ونشرت لى، وذهبت إلى الأستاذ «محمد زكى عبد القادر» صاحبها ورئيس تحريرها - بدون سابق معرفة - وعرفته بنفسى وقلت له: أننى أحب أن أكتب فى المجلة!

وفى نفس حوارى السابق مع الأستاذ «أحمد بهاء الدين» وعندما أعدت على مسامعه سطور الأستاذ زكى عبد القادر عنه، ظهر التأثر الشديد عليه وقال لى:

«أنا أعتز بهذه الفترة جدا، فقد أصبحت مدير تحرير الفصول وعمرى وقتها حوالى ٢١ أو ٢٢ سنة، لأنه واقعيا. كان الأستاذ «زكى عبد القادر» قد أصبح رئيسا لتحرير الأهرام، ورغم أن الفصول كانت شهرية ومحدودة الانتشار لكن سرعان ما أصبح لها مركز جذب للمثقفين.

واعتز - أى بهاء - أننى نشرت لأول مرة لعدد من الكتاب الذين أصبحوا فيما بعد من أصحاب الأسماء اللامعة، وكانوا يومها مغمورين، وكتبوا فى «الفصول» لأول مرة بأسمائهم ومنهم فتحى غانم وعبد الرحمن الشرقاوى، وأحمد رشدى صالح، وكان وقتها مختفيا لأنه كان مطلوب القبض عليه ويكتب باسم مستعار، وأيضا نشرت للدكتور على الراعى ويوسف الشارونى ونعمان عاشور وبدر الدين أبو غازى وعدد ملفت آخر غيرهم تجمع فى مكتب الفصول، وسرعان ما تحول ذلك كله إلى نوع من الملتقى».

إنها فترة مهمة جدا وجميلة من حياتى، هكذا قال «أحمد بهاء الدين عن تجربته فى الفصول»!.

●●●

وواقع الحال أن «أحمد بهاء الدين» رغم صغر سنه فقد أصبح هو الآخر نقطة جذب للكثير من الشباب المثقف فى ذلك الوقت، كانوا يقرأون

مقالاته فى الفصول فيظنون أن كاتبها لابد وأن يكون رجلا تجاوز الأربعينات من العمر.

وهذه شهادة المثقف العربى الكبير أكرم ميدانى، (والذى يشغل الآن منصب استاذ الفن والأدب الانجليزى بجامعة كارنيجى ميللون فى بتسبرج بالولايات المتحدة) يقول أكرم ميدانى:

في خريف سنة ١٩٤٨ بدأت أقرأ مجلة شهرية محدودة التوزيع اسمها «الفصول» وصاحبها «محمد زكى عبد القادر» وكان من الكتاب ذوى الفكر النزيه، وقد أصبح هدف غضب السراى لأنه كان ممن يدافعون عن الدستور بحرارة، ولما تولى إسماعيل صدقى رئاسة الوزارة بعد استقالة وزارة النقراشى عام ١٩٤٦ كان من أغراضه القضاء على كل من هو صاحب فكر حر تحت ستار محاربة الشيوعية، واستهدف عددا من الكتاب والمثقفين مثل د. محمد مندور وسلامة موسى ومحمد زكى عبد القادر.

وكان محمد زكى عبد القادر بسمعته النظيفة قد استقطب عددا من المفكرين من الشباب وغيرهم منهم مريت غالى أول من نادى بالإصلاح الزراعى ضمن إطار عقلانى منظم. أما مجلة الفصول فكانت قد أخذت شكلا حديثا جذابا مقروءا وذلك بفضل محرر جديد بدأ اسمه يظهر على صفحاتها: أحمد بهاء الدين.

وكنت وصديقى «نعمان عاشور» نرقب فى ذلك الحين هذه الأسماء الجديدة ونناقش ما تكتب، وسألت نعمان عما يظن فى هذا الوجه الجديد فأجاب بأنه يعتقد أن الكاتب الذى ينشر باسم «أحمد بهاء الدين» هو كاتب ذكى محنك لابد وأنه من الشخصيات المجرية وقد آثر أن يكتب باسم «أحمد بهاء الدين» (هذا الاسم متماسك متكامل ولا يمكن أن يكون اسما طبيعيا، إنه دون شك اسم مستعار انتحله، رجل مهم من السياسة أو الاقتصاد أو المحاماة).

ويضيف أكرم ميدانى فى نفس شهادته قائلا:

رغم أننى لم اقتنع تماما بافتراض «نعمان عاشور» لكننى وجدته مقبولا، حتى وقعت مفاجأة، فقد جاءنى «نعمان» ذات يوم يقول إن «أحمد بهاء الدين»

ليس اسما مستعارا بل هو اسم حقيقى لمحام شاب يعمل بوزارة المعارف، وقد تبين له هذا من خلال شخص يعرفه على صلة بمحرر مجلة الفصول، قال نعمان إن صديقه الذى يؤكد على حقيقة قوله على استعداد ليأخذنا معا إلى مجلة الفصول ويقدمنا إلى محررها.

وذهبنا إلى المجلة ذات يوم عند الساعة الخامسة بعد الظهر فى مكتب محمد زكى عبد القادر للمحاماة، وفى غرفة صغيرة نظيفة قليلة الضوء مكتب جلس خلفه شاب فى الواحد والعشرين من العمر.

قال لى نعمان عقب هذه الزيارة إن أول انطباع تكون لديه أن «أحمد بهاء الدين» هو صورة «مخلق منطق» للمصرى أفندى كما كان يرسمه «صاروخان» فى مجلة آخر ساعة، كانت هذه الملاحظة فى محلها، وقد تأملت طويلا صدق معناها بعد أن توثقت علاقتنا واتصلت مدى السنين: الذكاء والصوت الهادئ والطبع الدمث، بل أكثر من هذا كله صورة المصرى الوديع الذى يحمل إرادة صلبة ونفسا أبية».

بعد زيارة التعارف بدأت أزور بهاء فى مجلة الفصول وأحيانا فى مكتبه اليومى. حيث كان منذ اواخر سنة ١٩٤٧ موظفا فى إدارة التحقيقات بوزارة المعارف، وقد ذكر لى بصوت الفخر والاعتزاز: إنها الإدارة التى كان يرأسها «توفيق الحكيم» فى الماضى القريب.

فى الأسابيع الأولى من معرفتنا أخذت أدرك الجوانب الأصيلة فى شخصية صديقى الجديد، أولها الصدق، والأمانة فى المعرفة الذاتية، وكنت أظن أن تعلمه القانون قد طوع نفسه ليصبح دائما قاضيا يدرك ماله وما عليه، لكننى بعد حين تبينت أن هذه خصلة مصرية قد افتقدتها لدى الآخرين، وهى التى تظهر الآن فى شخص بهاء».

قال لى إنه يفكر منذ حين فى إصدار عدد خاص من مجلة «الفصول» ليكون معدا للطبع فى اواخر سنة ١٩٤٩ عن مصر فى النصف الأول من القرن العشرين، وطلب منى أن أفكر فى موضوع أساهم به فى هذا العدد، وقال إن

الغرض ألا يمتدح العدد ما أنجزه المصريون فى هذه الفترة لأن هذا شائع بل لينظر إلى مصر من الداخل ويعرف عالم المسئولية العامة.

وسمعت منه فى ذلك الحين قبل أن تطرح مسألة العمل السياسى واختلافها عن الشعارات أن تقبل النقد من الداخل هو أول ما ينبغى أن يتعلمه الناس حتى لا يقع أحد فى أحبولة الكذب، وأن الحاكم الذى يصيغ الكلمات لإغراء المحكوم وتغطية عينه بالوهم إنما هو الذى يبسط الطريق إلى الفساد وعباءة العجز..»

كتبت لعدد الفصول الخاص مقالا مطولا عن الصحافة فى مصر فى نصف قرن وكان مطابقا لمعرفتى مصر وتربيتى على أرضها. لأننى بدأتها عن طريق قراءة الصحف، ويظهر أن المقال نال قبول استحسان محمد زكى عبد القادر الذى طلب أن أقابله، وبعد ذلك أصبحت عضوا فى أسرة الفصول، أحضر ندوتها مساء كل خميس فى منتصف الشهر.

قال لى بهاء بعد أن أصبحت من كتاب المجلة أن أضع فى حسابى أنه ليست هناك أجور تدفع للمحررين حتى هو كمسئول عن التحرير لا يتقاضى أجرا عن عمله، ولم أناقش هذا الأمر معه كثيرا لأننى اقتنعت برأيه وهو أن المجلة لها سمعة جيدة بين المثقفين والكتابة فيها تتيح مجالا لتعلم المهنة، ودار فى خاطرى أن هذا ما جعل بهاء يعطى جهده ووقته دون أجر، فقد كان دؤوبا فى كتابته، ومجدا فى إدارة التحرير كى يتعلم المهنة».

لكن هذا لم يرض صديقى نعمان عاشور، وأخذ يسلط نكته لاذعة على المجلة وصاحبها وقد كان فى رأيه أنها مسألة مبدأ، إذ يشترط فى احتراف أية مهنة، أن يدفع أجر للممتهنين».

وعندما كان «نعمان عاشور» يحضر ندوة الفصول فى مساء الخميس يكثر من أكل الكنافة التى يأتى بها زكى عبد القادر معتقدا أنه يأخذ شيئا من حقه لو أكل أكثر من غيره».

ذات يوم سنة ١٩٥١ كنت أنتظر بهاء فى مكتبه فى مجلة الفصول حين جاء الساعى ووراءه رجل طويل القامة بدت عليه مظاهر الجد، وأشار الساعى

إلى واختفى، سألنى الرجل المحترم: هل أنت الأستاذ أحمد بهاء الدين؟ وقبل أن أجيبه تابع يقول إنه من القراء المعجبين، فهو من بغداد حيث تصل الفصول فى أعداد قليلة، وأول شئ يقرأه هو المقال الرئيسى.

وبينما كنت أحاول أن أصحح له ظنه سارع بالقول إنه محام اشترك كوزير للعدل سنة ١٩٤٩ فى وزارة «على جودة الأيوبى» عن الحزب الوطنى الديمقراطى، وأنه الآن سكرتير عام الحزب إنه «حسين جميل» عند ذلك وجدت أنه لابد لى أن أقطع حديثه بأى شكل، فقلت إننى لست «أحمد بهاء الدين» الذى لم يصل إلى مكتبه بعد، وحاولت تمضية الوقت بالإجابة عن أسئلته عن عمر بهاء ودراسته، وقد دهش عندما عرف إنه لم يبلغ الخامسة والعشرين من العمر بعد، وتوقعت أن يسألنى شيئا عن مظهره وكنت أنوى أن أقول إنه يبدو وكأنه مازال فى سن السابعة عشر، بعد حين تساءل حسين جميل عما إذا كان يستطيع أن يتركنى بضع دقائق ليذهب إلى إحدى المكتبات القريبة حيث يتوقع كتابا طلبه هذا الصباح».

بعد حين وصل بهاء فحدثته عن الزائر ثم ذكرت له أنه سأل عن سنه وأضفت من عندى، طوله وعرضه وأننى عندما قلت إنه مازال شابا أعرب عن دهشته، وتوقفت لحظة فقال بهاء:

«لعله دهش عندما عرف أننى صغير الحجم، عندما يعود قل له إن هذا الشخص ليس أحمد بهاء الدين بكامله وإن له بقية ستصل قبل آخر اليوم».

وكانت المقابلة بين «بهاء» و «حسين جميل» بداية صداقة وطيدة كما كانت أول خطوة نحو الصلة بينه وبين المثقفين العرب، وبدء دخوله بمصريته العميقة إلى حلقة النور العربية التى أثرت فى تفكيره السياسى تأثيرا بالغا.

انتهت شهادة أكرم ميدانى عن بهاء، ولكن تبقى شهادة بهاء نفسه عن أكرم ميدانى والتى جاءت ضمن مقال جميل نشره على صفحات صباح الخير.

وجاء فى هذا المقال:

كثيرا ما تبدأ الحقائق الكبيرة ببدايات صغيرة، فمن خلال صديق شخصى لى هو «أكرم ميدانى» وزوجته بدا اهتمامى بالقضية العربية، كان ذلك منذ سنوات كنت أكتب فى مجلة شهرية هى «الفصول» وفى ذات يوم زارنى شاب سورى قال لى إنه موظف فى الجامعة العربية، وأنه قرأ لى بعض ما أكتب فأراد التعرف بى، وفى أسابيع قليلة أصبحنا صديقين، وكأننا تربينا سويا، كنا فى أول شبابنا نقرأ بنهم لا مثيل له، ونحمل مشاكل الدنيا كلها على رأسينا، كأننا مكلفان يحملها نيابة عن الناس جميعا.

أما صديقى «أكرم» فقد كان يملك مكتبة ضخمة فى الفن والأدب والسياسة، وكان يمتاز بإلمام واسع بحياة البلاد العربية الأخرى وتاريخها وثقافتها وعاداتها».

والآن تبدأ زيارة سريعة إلى اهتمامات وأفكار أحمد بهاءالدين على صفحات مجلة الفصول..

ماذا كان يكتب «بهاء»؟ وأى الأشياء والقضايا كان مهموما بها فى تلك الأيام.

هذه عناوين بعض المقالات والدراسات، ومنها نعرف الإجابة على اهتمامات «بهاء» وأفكاره الرئيسية فى تلك السن المبكرة من حياته.

* هذه الضرائب التى تدفعها!!
* دعاة النفوذ الأمريكى فى مصر وبرنامج النقطة الرابعة!
* تأميم القطن يعود بالفائدة على الدولة والفلاحين.
* قبل إقرار الميزانية الاقتصاد فى خدمة السياسة.
* التيارات الخفية وراء المعركة.
* النظم الرجعية فى الشرق
* أرحموا الاشتراكية

ووسط مشاغل الشاب «أحمد بهاء الدين» (٢٤ سنة) كان يقتطع ساعات من وقته ليعكف على تأليف كتاب سيكون له دوى خطير وسط المثقفين فى ذلك الوقت صدر الكتاب فى مايو سنة ١٩٥١ واسمه الاستعمار الجديد أو برنامج النقطة الرابعة، ويقع فى ٩٤ صفحة واللافت للنظر أن «أحمد بهاء الدين» قام بطبع الكتاب على نفقته الخاصة كما اعترف لى»

وبغير لف أو دوران يحدد الكاتب الشاب «أحمد بهاء الدين» الهدف الذى دعاه للكتابة عن «الاستعمار الأمريكى الجديد» فيقول فى مقدمة الكتاب:

«فى هذه الفترة المضطربة من تاريخ العالم التى تعصف فيها التيارات بمصر، عصفها بسائر الشعوب المضطهدة، وإذ تتيقظ حركات التحرير السياسى والاقتصادى، وتتقدم الصفوف طليعة لم تحجب ظلمة الحاضر عن أبصارها بريق المستقبل..

نجد الامبراطوريات القديمة والجديدة تتساند فى مجهود أخير لخنق الحرية، دفاعا عن كيانها المتآكل ولاكتساب الأرض التى فقدتها، مصطنعة فى ذلك حيلا جديدة تخفى عين الشر القديم!

وفى مثل هذه الظروف يصبح فرضا واجبا على كل صاحب رأى أن يتوجه به إلى المثقفين من مواطنيه، ويصبح فرضا واجبا على المثقفين المتيقظين أن ينشروه بأقوى ما فى كيانهم من قوة، وفى أوسع ما يتيحه لهم الوعى المتزايد من نطاق فمن أجل ذلك كتبت هذه الصفحات».

بعد ذلك يبدأ أحمد بهاء الدين فى مناقشة برنامج النقطة الرابعة، وتكفى قراءة عناوين فصول الكتاب لتدرك المنهج العلمى والفكر المرتب الذى ساق به «بهاء» عرض موضوعه.

بدأ بهاء بتقديم البرنامج: طبيعته وأغراضه نطاقه وتنفيذه وتمويله، ثم العقبات التى تعترض تنفيذه!

ثم قام أحمد بهاء الدين بعرض البرنامج على حقيقته سواء من حيث تصدير رؤوس الأموال الأمريكية، ثم أثر التصدير في البلاد المصدرة والمستوردة، وتجارب الاستعمار السافر، والاستعمار الخفى، كما ناقش مصر وتبعيتها لأمريكا وعلامات الخطر، ووضع اليد على المواد الأولية، والأسباب الاستراتيجية للبرنامة (النقطة الرابعة).

وفى الفصل الأخير من الكتاب الذى عنوانه «الحكومة المصرية.. تقبل» يعرض بهاء لأخطر وأهم النتائج التى تترتب على هذا البرنامج بعد قبول مصر له!!

ورغم مرور ما يقرب على ٤٤ عاما على صدور هذا الكتاب فإن إعادة تقليب صفحاته وقراءتها ثانية وثالثة يصبح لها مذاق مختلف، ويبدو الأمر فى النهاية وكأن الدنيا لم تتغير والتاريخ لم يتحرك!!

يشير أحمد بهاء الدين إلى أن الرئيس الأمريكى «ترومان» بعد إعادة انتخابه قال أمام الكونجرس فى ٢٠ يناير ١٩٤٩: وفى السنوات القادمة سوف ينطوى برنامجنا للسلام والحرية على أربع نقاط، وكانت النقطة الرابعة فى برنامج ترومان هى: «يجب أن ننهض ببرنامج جرىء من مقتضاه أن تتمكن المناطق المتخلفة اقتصاديا من الإفادة من تقدمنا العلمى والصناعى، ويجب أن يكون هدفنا هو مساعدة الشعوب الحرة فى العالم على أن تنتج بجهودها الخاصة - كميات أكبر - من الغذاء والكساء ومواد البناء والقوى الميكانيكية».

وثار جدل عنيف حول النقطة الرابعة لا فى أمريكا وحدها بل فى العالم الخارجى أيضا.

ولكن أحمد بهاء الدين ببصيرته الواعية يقول: (ص ٢٨) غير إننا إذ ننعم النظر فى حقيقة هذا البرنامج، وننحى جانبا هذا «الديكور» الذى أحيط به، نجده لا يعدو أن يكون خطة شاملة لتصدير رؤوس الأموال الأمريكية إلى الخارج، وهو بهذا الوصف مرحلة جديدة من مراحل النظام الرأسمالى العتيق!! واحد فقط هو الذى جهز بالحقيقة هو نابليون الذى أذهل ساسة أوربا فى زمنه

بصراحته المريكة لأنه «محدث» في السياسة، تحدث يوما أمام الملأ بأنه سيخرج الانجليز من الهند وقال «سنهجم عليهم، لصوصا على لصوص أقل جرأة: (ص ٤٩) فقد كانت عملية لصوصية حقا!!! (ص ٥٠) ومع ذلك فلو أننا أنعمنا النظر في المراكز والأوضاع الاقتصادية «البحتة» التي يحتمها النظام الرأسمالي الاستعماري كما خططه برنامج النقطة الرابعة لوجدناها تتلخص في وضع أمريكا في مركز الممول ورب العمل، والشعوب المختلفة - مصر مثلا - في مركز العمال ليس للعامل أكثر من أجره مهما اختلف هذا الأجر، وللممول فائض الأرباح، وعلى حين يظل العامل أبدا أسير هذا الأجر لا يرتفع إلى ما فوق بمجرد العيش، يزداد الممول ثراء، ويتسع نشاطا وإنتاجا وربحا. (ص٥٤).

ببساطة أكثر ووضوح لا نظير له يمضي أحمد بهاء الدين شارحا فكرته قائلا: «فإذا افترضنا أن مؤسسة أمريكية في مصر تنتج ما قدره (١٠٠) فإن (٣٠) على الأكثر من هذه المائة سيدفع في مصر أجورا للعمال ونفقات أخرى و (٧٠) تخرج من مصر إلى جيوب أصحاب الأسهم في أمريكا، هذه هي أمريكا وتلك هي مصر (أو أي بلد متخلف يخضع لهذا البرنامج) فالفائدة الاقتصادية لمصر معدومة أو تافهة، ونحن نقصد بمصر الشعب كمجموع، فإن طبقة معينة من المصريين ستفيد بغير شك من هذا البرنامج، هي طبقة الممولين الذين قد تتاح لهم المساهمة بقسط في المؤسسات الأمريكية وطبقة المديرين وأعضاء المجالس والوكلاء وغيرهم ممن يدورون في هذه الحالة بحكم وضعهم - أيضا - في فلك رأس المال الأمريكي ويصبحون وقاء له من غضب الشعب أو سخطه أو انتقاده، والثروة القومية لن تزداد بهذا البرنامج شيئا (ص٥٥).

ويضرب بهاء مثلا له دلالة بقوله: «فاستخراج الحديد من أسوان تحت ظل «النقطة الرابعة» مثلا لا يؤدي إلى ما يعمر أذهان المصريين من أن تغدو لدينا صناعة قوية تستخرج الحديد وتصنعه سيارات وطائرات وقاطرات ومنتجات مدنية وحربية، تصنعها مصر، وتستعملها وتتاجر فيها مصر، وتحارب بها مصر. إنما يعني أن يستخرج الحديد في مصر فقط؟ أو أن يصهر وتصنع منه

قضبان الصلب فقط ولكنه يتحول إلى هذه المصنوعات التى أوردناها فى الولايات المتحدة (!!) فإذا أقاموا فى مصر صناعات ما فهى أيضا صناعات تابعة، كأن يقام فى مصر مثلها مصنع لهياكل السيارات فهى صناعة حقا، وهى صناعة يعمل فيها آلاف العمال، ولكن هياكل السيارات بغير المحركات التى تصنع وتستورد من أمريكا لا تساوى شيئا! ولن تصنع المحركات فى مصر- طبقا للنقطة الرابعة - أبدا!! وعلى هذا النحو يصبح اقتصادنا فرعا مكملا للاقتصاد الأمريكى، كما ظل فترة طويلة فرعا للاقتصاد الانجليزى!! ص ٥٦.

وقرب نهاية الكتاب الصغير الحجم، الكبير القيمة، يؤكد أحمد بهاء الدين وهو يصف حال مصر فى منتصف عام ١٩٥١ قائلا:

«إن أحدا لا ينكر ما نحن عليه من تخلف أو لا يستنكره، بل لعل كلمة «تخلف» لا تعدو أن تكون تعبيرا مهذبا عن الحقيقة القاسية، ولا خلاف على أسباب هذا التخلف فهى تتلخص فى ضعف الانتاج !! وسوء التوزيع !! فرجال الأعمال الذين يرون العلاج كل العلاج فى زيادة الإنتاج فحسب يتجاهلون أن هذا الزائد من الإنتاج بدوره، لو وزع بالطريقة التى يوزع بها الدخل القومى فى الوقت الحاضر لما تغير الوضع بالنسبة للشعب فى شىء، فإن زيادة إنتاج أحد المصانع لا يعنى فى واقع الأمر زيادة دخل العامل، بقدر زيادة فائض القيمة الذى يحصل عليه رب العمل، وهذا الوضع هو الذى تفرضه علينا النقطة الرابعة!! ص٨٧.

يضيف بهاء لما سبق قوله: «إن فى مصر رؤوس أموال!! ولأن حكومة مصر لم تستنفذ بعد شتى الطرق لتوجيه رؤوس الأموال المحلية وجهة الإنتاج المثمر حتى تذهب فتنتظم طرق تشجيع رؤوس الأموال الأجنبية على الاستثمار فى مصر!!وقد كنا مستطيعين أن نقول للحكومة فى كلمة واحدة إن الطريقة المثلى فى الاستفادة من الثراء القومى وتو جيه الإنتاج هى الطريقة الاشتراكية التى تهدف إلى زيارة الإنتاج بما يحقق أكبر خدمات ممكنة، لا

أكبر أرباح للمنتج. كما تهدف إلى إقرار العدل الاجتماعى فى التوزيع، غيرأننا لا نريد أن ندخل الآن (١٩٥١) فى جدل مباشر عن النظام الاشتراكى مؤكدين أن الحكومة - لو أرادت - لاستطاعت أن تحقق الكثير من هذه الأغراض فى ظل النظام الرأسمالى الذى تتمسك به.!

فنحن نعرف أن الأغنياء عندنا مازالوا يحبسون أموالهم فى الاستغلال الزراعى وأن إقبالهم على ا لصناعة أضعف مما يمكن أن يكون. فالغنى الذى يمكالك آلاف الأفدنة يتبقى لديه كل سنة - بعد الإنفاق والاستهلاك - فائض كبير من الأموال، والحكومة تترك له هذا الفائض سليما تقريبا دون أن تفرض عليه الضرائب المناسبة!! وهو لا يجد بابا يستثمر فيه هذه الأموال غير باب واحد هو: شراء الأرض فمن عنده ألف يريدها ألفين، ومن عنده ألفين يريدها ثلاثة!! (ص ٨٨) ، ومساحة الأرض المزروعة عندنا ثابتة لا تزيد تقريبا ولكن المشترين يتزايدون، والفائض من أموالهم يتجدد كل سنة ويتراكم، يزيد الطلب والعرض ثابت، فتكون النتيجة ارتفاع ثمن الأرض ارتفاعا سريعا مضطردا حتى أصبح ثمن الفدان الواحد يصل إلى ٧٠٠ جنيه (سبعمائة جنيه!!) .

ويضيف بهاء بقوله: بل إن هذا النطاق الضيق الذى تعمل فيه رؤوس الأموال المصرية لا يشكل «الأرض» بوجه عام، بل الأرض المزروعة الجيدة فحسب، فقلما نجد مالكا مصريا يقدم على استصلاح أرض جديدة . ذلك لأنه لا يفكر فى خطط طويلة لتنمية استصلاح أرض جديدة ذلك لأنه لا يفكر فى خطط طويلة لتنمية الثروة!! ص ٨٩ إن رؤوس الأموال المصرية مازالت تتميز «بجبن» ملحوظ فهى لا تجسر على اقتحام ميادين الصناعة والاستصلاح وتفضل أن تظل منكمشة فى نفس نطاقها القديم:

الأراضى الجيدة والأسواق المعروفة للتصريف!!

بل ونفس المحاصيل أيضا!!

ويتساءل أحمد بهاء (صيف ١٩٥١) لماذا لا توقف الحكومة هذا التيار المدمر؟ لماذا لا تضع حدا أعلى للملكية الزراعية ،وتقرن ذلك بضريبة تصاعدية باهظة على الأراضى (جرى ذلك بعد الثورة فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢) ليس فى الأمر مصادرة ولا نزع ملكية ولا إعادة توزيع .. إنه مجرد تحويل لفائض المال الذى يتراكم فى الريف ويضيع فى المزايدة إلى ميدان الصناعة الرحب !! ص ٩٠.

ويتساءل بهاء ثانية: ولماذا لا تقف الحكومة فى وجه الإسراف والاستهلاك الزائد عن الحاجة بالضرائب والجمارك وغيرها ، هذا الإسراف الذى أدى إليه ما أسلفناه من تراكم الأموال فى أيد قليلة مما أصبح إنفاق المال معه نوعا من الضياع أو التجميد: من ذلك إنفاق جانب كبير من الأموال فى شراء السيارات والفريجيدرات، والعطور، وتجميد مئات الألوف من الجنيهات فى خاتم يتحلى به رجل أو عقد يزين صدر حسناء، وثمن حبة واحدة من حبات العقد يفتح أبواب العمل والكسب أمام عشرات المواطنين!!

وبسخرية لاذعة يقول بهاء: «وهذه الحكومة المصرية التى تريد أن تستقدم مختلف أنواع البعوث الفنية لتبحث عن احتمالات الاستثمار وأحسن إمكانياته وتهيئة الجو لرؤوس الأموال المحلية؟ ولماذا لا تتبنى المشروعات المنتجه فتقترض من السوق المحلى للقيام بها، أو تشارك فيها شركات محلية أو تنفرد بها بوسائلها الخاصة وأهمها الضرائب؟! إن رسم الخطط السليمة لأى ناحية من نواحى الاستثمار كاف لاجتذاب الشركات والمدخرات (ص٩١).

ويختتم بهاء كلامه قائلابتساؤل:

وهل يستعصى على الدولة المصرية بنظمها الحاضرة أن تنهض بمشروع للسنوات الخمس بتنظم كل هذه الجهود لدفع الإنتاج إلى أعلى ، إن هذه الحلول على الأقل تبقى زمام الأمرفى أيدينا وتجعل طريق التطوروالرقى مفتوحا أمام الشعوب التى يجب أن يبقى لها الحق فى أن تبدل فى أشكال المجتمع الذى تعيش فيه فى اللحظة التى تختارها: فهل يرى المسئولون فينا والذين يدعون

للاستعمار الأمريكى بين ظهرانينا هذا الرأى؟ أم أنهم يفضلون تسليم البلد لرأس المال الأمريكى والاعتماد على صداقته؟! ص٩٢

هذا باختصار شديد ما كان يؤرق بال وفكر عقل الشاب أحمد بهاء الدين فى منتصف عام ١٩٥١ .

هموم وقضايا الوطن من العدل والعدالة إلى الاستعمار والاحتلال كانت هى القضية التى كرس لها قلمه عبر صفحات مجلة «الفصول»!.

ووسط هذه الهموم والمشاغل كان لأحمد بهاء الدين اهتماماته الأدبية وعلى صفحات «الفصول» أيضاً نكتشف معا هذه المفاجأة الأدبية..

أحمد بهاء الدين شاعرا!!

نعم على صفحات «الفصول» مارس أحمد بهاء الدين كتابة المقال السياسى والاجتماعى والثقافى لكن اعتبر حقا - وربما المدهش فى نفس الوقت - أنه جرب كتابة الشعر!! نعم كتب أحمد بهاء الدين القصيدة العمودية التى يلتزم فيها بالوزن والقافية!!

وفى الصفحة الأخيرة من «الفصول» (أغسطس١٩٤٧) نشرت المجلة قصيدة للأستاذ أحمد بهاء الدين كان عنوانها (وللصبر فى يأسه مصرع) تتكون من تسعة أبيات ويقول فيها:

عزيز على الحر يا أدمع

يسيل عصيُّك والطيع

وفى القلب - من صبره - فرقة

وللصبر - فى يأسه - مصرع

يجالد دهرا عظيم الأذى

وما عاد فى قوسه منزع

يعيش بليل طويل المدى

كأنه نهاره لا يطلع

وإنى كالتبر فى منجم

عليه التراب فما يسطع

يداس فكم جاهل فوقه

يدب وكم أحمق يرتع

وإنى لكالنور فى كوة

عليها الستائر ما ترفع

فيا قلب رشدك إن الذى

يمثله الظن لا ينفع

ستحيا وتشقى وتشهد ما

يميت النفوس وما يوجع!

كان عمر «أحمد بهاء الدين» وقتها ٢٠ عاما، عندما تجاسر ونشر هذه القصيدة المغرقة فى حزن رومانسى ووجع عاطفى لا حدود له، وأذكر عندما حاورته فى نوفمبر ١٩٨٠(بعد ٣٣ عاما على كتابته الشعر) وذكرته ببعض أبيات قصيدته ضحك طويلا من أعماق قلبه وقال لى يومها:

من حسن حظ الناس وأيضا من حسن حظى أننى اعتزلت كتابة الشعر مبكراً جداً، فما كتبته كان رديئاً بشكل لا نظير له وسيئا بدرجة لا يتصورها أحد.

وأذكر أن الشاعر الكبير الفنان «كامل الشناوى» كان قد عثر على عدد مجلة الفصول المنشور به هذه القصيدة البائسة، ومن حين لآخر كان يهددنى بأنه

سينشرها فى أخبار اليوم التى كنت أرأس تحريرها وقتها.. والحمد لله أنه لم يفعلها!!

ويضحك أحمد بهاء الدين وهو يضيف: فى فترة من فترات المراهقة ظننت أننى سأكون شاعراً كبيرا.. أحمد شوقى مثلا.. فقد كنت أعشق وأحفظ معظم القصائد والأشعار الوطنية والسياسية لشوقى وحافظ إبراهيم!

ويروى أحمد بهاء الدين قصة لها مغزاها عندما كان طالبا بكلية الحقوق، وكان له زميل وصديق قريب إلى قلبه هو د. عبدالوهاب العشماوى، يدرس معه بنفس الكلية فيقول (وكنت أنا وعبد الوهاب نجلس فى مدرج كلية الحقوق نستمع إلى محاضرات القانون، فإذا كان الدرس مملا تبادلنا كتابة الشعر: يبدأ أحدنا كتابة قصيدة ويرسلها للآخر، ليكملها ويعيدها، وهكذا نتبادل مرات فى المدرج فى هدوء شديد، تحت عين الأستاذ الذى كان يستنتج من استغراقنا فى الكتابة أننا تلاميذ نجباء جدا (!!) وكان العشماوى باشا (والد صديق بهاء) إذا أراد أن يرفه عنا من وطأة المذاكرة يقول لنا: هيا أسمعونى النص الكامل لمسرحية «مجنون ليلى لشوقى مثلا.. فنقرؤها من الذاكرة ويصحح لنا ما فاتنا»..

وعن هذا الجانب أيضا وهو جانب الاهتمام بالأدب والشعر يضيف «أكرم ميداتى»: (كان يعرف عن «بهاء» ولعه الشديد بالقراءة، كما بدأت تظهر معالم الأسلوب الرائق فى كتابته، وكان يحفظ صفحات من كتب «طه حسين» يرددها بين زملائه من «الأيام» و«دعاء الكروان»).

وصادفة مرة طالب كان يواجه الدراسة بصعوبة فكان يقصد مشورة بهاء بعد كل محاضرة ويسأله أن يشرح له بعضها أو بعض النصوص فى الكتب القانونية، ولم يكن بهاء يبخل على أحد بما لديه، غير أن هذا الطالب لزم جانبه زمنا حتى جاءه مرة بطلب غريب، وهو أن يكتب قصيدة ليرسلها باسمه (أى اسم الطالب) إلى فتاة وقع فى غرامها ويرغب أن يعبر لها عن حبه.

(فى أول الأمر) اعتذر له بهاء بأنه لم يتقن كتابة الشعر حتى يلبى مثل هذا الطلب لكن العاشق الولهان لم يصدق! هل هذا معقول؟ «أحمد بهاء الدين» لايقدر على كتابة قصيدة؟! وألح فى طلبه يوما بعد يوم، ولم يستطع بهاء أن يقنعه بأن يتوقف، وأصبح الإلحاح شديدا أكثر من مرة كل يوم حتى قال له بهاء: هذه قصيدتك وهى ليست باللغة الفصحى تماما ولكنها ستصل إلى قلب حبيبتك بدون تعب:

ليه يا بنفسج بتبهج وانت زهر حزين

والعين تتابعك وطبعك محتشم ورزين

ملفوف وزاهى يا ساهى لم تبوح للعين

بكلمة منك كأنك سر بين اتنين

حسنك فى كونك بلونك تبهج المقهور

اللى يزوره سميره فى الظلام مستور

حطوك خميلة جميلة فوق صدور الغير

تسمع وتسرق يا أزرق همسة التنهيد

أسمح وقوللى مين اللى قال معايا آه

بقولها وحدى لوحدى والأسى هواه

وحسب رواية أكرم ميدانى: فقد اختطف العاشق الملح القصيدة وطار بها ولم يعد ليسأل عن قصيدة أخرى.

وكانت هذه آخر تجربة لبهاء فى شخصية «سيرانو» يتوجه بشعره إلى «روكسان» من خلف القناع، كانت القصيدة كلمات دور البنفسج الشهير لصالح عبدالحى من شعر «محمود بيرم التونسى»!!

ودلالة هذه القصة ببساطة بالغة أنه لو لم يكن «بهاء» متذوقا وعاشقا للفنون لما اهتدى إلى هذه الحيلة الطريفة مع صديقه ليتخلص من المأزق الذى وضعه فيه.

كانت مجلة الفصول «محطة مهمة فى مشوار أحمد بهاء الدين» الفكرى والسياسى، ثم جاءت محطة «روز اليوسف» فى حياة أحمد بهاء الدين.

وبنفس الطريقة البسيطة التى كتب بها «بهاء» أول مقالاته فى الفصول تكرر نفس الشىء مع روز اليوسف..

فى عشرات اللقاءات والحوارات الصحفية روى «بهاء» قصة ذهابه إلى روز اليوسف «وكانت ببساطة وحسب كلامه كما يلى: «سنة ١٩٥٢ وقبل قيام ثورة ١٩٥٢ بعدة شهور صدر قانون يسمح بأن تؤسس الشركات المصرية بنسة ٥١٪ رأسمال أجنبى والباقى رأسمال مصرى، وكنت أعتقد - وقد تحقق اعتقادى - أننا لسنا فى حاجة إلى رؤوس الأموال الأجنبية وأن مدخراتنا المحلية تكفى لتمويل مشروعاتنا وشركاتنا، وأن المسئولين أيامها فتحوا أبواب الدولة أمام رأس المال الأجنبى. وتحمست لكتابة مقال عن الكماليات أهاجم به القانون الجديد، ودرست إحصائيات الواردات والصادرات وكتبت مقالا بالحقائق والأرقام عن الملايين التى نصرفها سنوياً على المجوهرات والويسكى والعطور.. وكانت أرقاماً مخيفة ومذهلة..

ولكن أين أنشر هذا المقال؟! ولم أجد مجلة أكثر جرأة من روز اليوسف فذهبت إلى هناك وأعطيت المقال للبواب، وطلبت منه توصيله إلى رئيس التحرير الأستاذ إحسان عبدالقدوس!

وبعد أسبوع بالضبط فوجئت بنشر مقالى كاملا ووقعوه باسمى ووضعوا له عناوين مثيرة لافتة للانتباه.

ثم كتبت مقالا آخر وذهبت وسلمته لبواب، روز اليوسف، ثم صدرت المجلة لأجد مقالى منشوراً بنفس الاهتمام أيضا.

وتكرر ذلك الأمر عدة أسابيع، أسلم مقالى للبواب، فأجده منشوراً فى المجلة، فى أحدى المرات طلب منى البواب الانتظار قليلا، ثم أبلغ الأستاذ أحسان عبدالقدوس بوجودى، فطلب أن أذهب إليه».

وهكذا بدأت رحلة «أحمد بهاء الدين» الصحفية فى مدرسة روز اليوسف، مدرسة الهواء الطلق كما يسميها الكاتب الكبير الأستاذ «كامل زهيرى».

كان المقال الأول «لبهاء» فى روز اليوسف خطيراً ولافتا للانتباه بشكل كبير، لقد نشر على الصفحة العاشرة من المجلة فى عدد ٢١ أبريل ١٩٥٢ بعنوان كبير هو «أموال مصر»!

ثم أربعة عناوين أخرى كانت كما يلى:

١٨ مليون جنيه تنفقها مصر فى شراء الجواهر.

٣ ملايين لشراء السيارات و٣ ملايين لشراء التحف

مليون ونصف ثمن البيرة و١٣٢,٣٩٠ جنيها ثمن الكونياك.

أسعار الأراضى الزراعية أصبحت أثمانا وهمية.

أما مقال «بهاء» نفسه فقد جاء على النحو التالى.

يتم - بعد أيام - تعديل قانون الشركات، فلا تتقيد الشركات بعد ذلك بشرط امتلاك المصريين ٥١٪ من رأس المال الذى تستثمره فى مصر.

وقد بررت وزارة التجارة والصناعة هذا التعديل فى مذكرتها التفسيرية بأن «رؤوس الأموال المحلية وحدها لا تفى بما يتطلبه استغلال مواردنا الاقتصادية كاملة، وتحقيق ما ينقصنا من مشروعات، وعلى الأخص ما اتصل باستخراج الثروة المعدنية وإقامة الأعمال الكبرى التى تتطلب مالا ضخما وفنا حديثا ممتازا!».

رؤوس الأموال الوطنية لا تكفى! الحجة الخالدة التى تسوقها اليوم وزارة التجارة بين يدى التعديل الجديد!

فهل قدرت وزارة التجارة أبعاد هذه الكلمة الخطيرة قبل أن تسجلها فى مذكرتها؟ وهل استنفدت شتى الطرق والوسائل لتشجيع رؤوس الأموال المصرية - بل وإرغامها - على الاستثمار وتوجيهها إلى تبنى المشروعات الكبرى. هل فرغت من كل ذلك؟

إن رؤوس الأموال المصرية - فيما أرى - كافية . وإن ما ينقصنا ليس المال ولكنه التوجيه الجرئ.. وليست مصر على أى حال من البلاد القاحلة كاليمن وليبيا حتى يقال إنها تفتقر إلى رؤوس الأموال. وليتفضل وزير التجارة معى فى جولة خاطفة، اثبت له فيها أن المال الفائض عندنا كثير، وأطلعه على بعض ما ننفق فيه - عبثا - هذه الأموال.

هذه - مثلا - أحصاءات الواردات التى تشتريها مصر سنويا من الخارج. منشورة فى التقرير السنوى لاتحاد الصناعات، تظهر لنا الكيفية التى ننفق بها أموالنا، وماذا نشترى من الخارج.

تقول هذه الإحصاءات إننا اشترينا فى سنة ١٩٥٠ من المعادن الثمينة واللآلئ والأحجار الكريمة ما قيمته ١٨,١١٨,٧٨٠ جنيه! ١٨ مليون جنيه فائضة عن حاجة الذين يملكون المال.. انفقناها فى عقود من اللؤلؤ.. وكل حبة فيها تنشئ مصنعا، أو متجرا، وتفتح أبواب العمل أمام عشرات.

والمصيبة تتجلى بكل «روعتها» بالمقارنة، فهذا باب آخر من أبواب الواردات جعل له اتحاد الصناعات عنوانا هاما هو «مواد أولية ومهمات»، وتحت هذا العنوان يندرج ١٨ صنفاً من المواد الإنتاجية الهامة التى نحتاجها أشد الحاجة مثل «مولدات ومحركات كهربائية، آلات بالبخار والاحتراق، مراجل ومحولات بخارية، إطارات وأنابيب هوائية، نحاس خام.. أخشاب للبناء.. سيور للآلات.. ألخ ألخ فبكم اشترينا من كل هذه الآلات والأدوات التى هى عماد التقدم؟ اشترينا منها ما قيمته ١٦,٢٠٣,٠٩٤ جنيه فقط لا غير!.. أى أننا اشترينا من كل الآلات أقل مما اشتريناه من المجوهرات بمليونين من الجنيهات!.

وليست المجوهرات هى الترف الوحيد أو البئر الوحيد الذى نقذف فيه سنويا بهذه الملايين: فالبيرة دفعنا فيها ١,٤٠٧,٩٠٤ جنيهات، والكونياك ١٣٢,٣٩٠ جنيه، وسائر الخمور ٢١٥,٤٧٧ .. والمجموع يقترب من المليونين!.

والسيارات الخاصة اشترينا منها بحوالى ثلاثة ملايين، والمصنوعات المعدنية والزجاجية والخزفية بـ ٣,٣٢٣,٨٠٧ جنيهات!.. وغير ذلك كثير..

وباب آخر لهذا الاستهلاك، بل الاستنزاف الرهيب.. ما نعرفه عن عشرات الملايين التى كان يخرج بها المصريون من وطنهم - رغم أنف القانون - كلما كان صيف، ينفقونها فى أغراض التصييف.

وباب ثالث لعله يفوق ما اسلفناه خطرا.. هو تلك الظاهرة المتفشية بين أصحاب المال المصريين، من اتجاههم إلى استثمار أموالهم فى شراء الأرض، ولا شيء غير الأرض، فكل سنة تأتيهم بفائض جديد، يشترون به أرضا جديدة .. ولكن الأرض فى مجموعها هى نفس الأرض لا تكاد تزيد، فانقلب الأمر إلى مزايدة متصلة الارتفاع على نفس المساحة من الأرض، حتى وصل متوسط سعر الفدان إلى ١٢٠٠ جنيه! وكل الاقتصاديين يعرفون أن هذا السعر سعر وهمى، أى أنه لا يوازى القيمة الإنتاجية الحقيقية للأرض.

وأنه سعر لم يوجده إلا التنافس على الشراء، وتدفق الذهب على هذا «الطين» فإذا كان ثمن الفدان كما يجب أن يكون وفقا لإنتاجيته هو ٥٠٠ جنيه مثلا، ولكنه يباع فعلا بـ ١٢٠٠ جنيه، فمعنى ذلك أن الـ ٧٠٠جنيه الفرق تنفق فى الهواء.

وما أكثرها، الملايين التى تضيع فى هذا الهواء!

وبعد.. فأى عبرة نخرج بها من هذه الجولة؟

العبرة هى أن الأموال فى مصر متوفرة إلى حد بعيد، وإن أصحابها ينفقونها فى سفه شديد!

وكل الشرائع السماوية والأرضية تجيز «الحجر» على السفيه، لإرغامه على تقليل نفقاته، واستثمار أمواله استثمارا بصيرا، وليس في «الحجر» شيء من المصادرة أو الاشتراكية أو غيرها من المبادئ المتطرفة.. إنما هي إجراء بسيط.. بسيط جدا.. تمارسه كل الدول تقريبا.

وانجلترا نفسها - وعلى عهد المحافظين من غلاة الرجعيين - مازالت تحدد الأموال التي يحملها المسافر إلى الخارج، وتضغط المصروفات، وتخفض الواردات من الضروريات بعد أن استغنت تقريبا عن الكماليات، بل وتحرم على نفسها بعض ما تنتجه سواعد بنيها من سلع فتخصصها كلها للتصدير إلى الخارج، وليست هذه الإجراءات إلا بعض صور «الحجر» الذي تستطيع الحكومة لو أرادت أن تمارسه.. برقابة تفرضها على طريقة انفاق الأموال، ووجوه استثمارها.. فتغلق في وجهها أبوابا من الاستهلاك السفيه، والاستثمار الذي لا غناء فيه، وتفتح لها بشتى صور التشجيع أبوابا أخرى من الاستثمار المنتج المفيد.

فهل نظرت وزارة التجارة إلى ذلك كله قبل أن تسجل على نفسها تلك الكلمة الخطيرة: إن رؤوس الأموال المصرية لا تكفي؟ وهل بذلت وسعها كله في تشجيع الأموال المصرية على الإنتاج والاستثمار، وأظن أن هذه هي وظيفتها التي أنشئت من أجلها.

إن تدخل الحكومة بالحد من شراء الأرض، واستيراد التوافه، والانفاق الضائع، وتدخلها ببحث أبواب الإنتاج الجديدة، وتشجيع المصريين على ولوجها كل ذلك أصبح واجبا عليها لا مفر منه.

أما أن تظل مصر كالوارث السفيه، تنفق على زينتها وبهرجها.. فإنها الكارثة!

●●●

أما المقال الثاني «لأحمد بهاء الدين» فقد نشر في ٢٨ أبريل ١٩٥٢ بعنوان «كيف تولد الأحزاب» وجاء كما يلي:

تنفرد مصر - دون سائر بلاد الأرض «الديمقراطية» - بطريقة فذة فى تكوين الأحزاب..

فالطريقة المألوفة فى العالم أجمع أن يخرج الزعيم من صفوف الشعب، ينشىء حزبه ويجمع حول دعوته الجماهير، ويظل يكافح على رأس حزبه حيث يصل إلى الحكم.. أما فى مصر، فالزعيم يصل أولا إلى الحكم، ثم ينشىء لنفسه بعد ذلك حزبا!

وكثيرة فى مصر الأحزاب التى ولدت هذه الولادة غير الطبيعية، منها التى ماتت ومنها التى ماتزال تعيش.

فما مغزى هذا الوضع المقلوب؟ مغزاه أن هذه الأحزاب لا تظهر نتيجة للأسباب الطبيعية التى تملى وجود الأحزاب.. كمصلحة مشتركة ومستقبل واحد يجمع بين جماهير معينة ويدعوها إلى التكتل فى حزب يعبر عن رأيها.. أى أن هذه الأحزاب ليس لها مفهوم اجتماعى أو اقتصادى يربط به الناس وليست لها رسالة دائمة يمكن أن تعيش عليها زمنها المقدور.. إنما هى محاولات فردية لقوم منعزلين فعلا عن الجماهير، منقطعين: عن فهم حركة تطور التاريخ، تخدعهم كفاياتهم الذاتية والظروف الوقتية التى دفعت بهم إلى السطح، فهم يتخذون الأحزاب لا لشىء إلا لكسب الصفة «التمثيلية» التى لابد منها فى نظام «برلمانى»!

وطبيعى جدا أن تموت هذه الأحزاب بأسرع مما يقدر أصحابها، ولنضرب مثلا بحزبى الاتحاد والشعب: انشىء الأول بتشجيع من وزارة زيور، وأنشأ الثانى إسماعيل صدقى وهو فى الحكم، وزاد صدقى فأنشأ لحزبه دستورا، وصنع بدستوره برلمانا، وظن أن التجربة يمكن أن تعيش..

ولكن.. مات الحزبان، وزعماؤهما على قيد الحياة!

خاتمة هى مصير كل حزب.. لم يخرج من صفوف الناس ولكنه هبط عليهم! فيظل دائما غريبا عنهم، ليس لحياته مظهر إلا الاجتماع بين جدران

ناد أنيق فى أحد شوارع القاهرة الراقية، والوثوب إلى مقاعد الحكم فى بعض الظروف.. وبفضل الظروف لا بفضل تأييد التابعين!..

فما أحرى من يريد أن ينشىء فى هذا البلد حزبا أن يسأل نفسه قبل أن يقدم هؤلاء الملتفون حوله.. هل يلتفون حول فكرة راسخة أم حول سلطان؟ هل لهذا الحزب مذهب يمكن أن يكون عقيدة للملايين؟ هل له رأى كامل واضح فى تنظيم شامل للمجتمع أم أنه يحقق حاجة وقتية، جزئية، فحسب؟ هل له خطة مستقبلية يمكن أن يعيش عليها سنوات لا يقاس إليها عمر الزعيم مهما يكن مديدا؟ وأى فئات الشعب تلك التى يمكن أن تلتف حوله؟

ثم ليأخذ، من يريد أن ينشىء فى هذا البلد حزبا، هذا الدرس البسيط على الطبيعة: إن الشجرة الراسخة الوارفة لم تهبط على الأرض ولكنها كانت بذرة خرجت من باطنها!

وإن حزبا بلا جذور، تودى به أى ريح.

إنتهى المقال

●●●

ثم جاء المقال الثالث بتاريخ ٥ مايو ١٩٥٢ بعنوان مثير «من هو الزعيم؟» وفيه كتب بهاء يقول:

لم ير الناس أعجب من الأسباب التى ساقها سعادة حافظ رمضان باشا، مبررا بها اعتزاله السياسة..

وقد وجد الباشا ما جعله يشعر «بالفساد ينتاب كل نواحى الحياة السياسية فى البلد، وأن الوسائل المشروعة والمنطق المعقول والقيم الأخلاقية لم تعد مجدية فى هذا المضمار» وقد تردد فى فكرة الاعتزال حينا، ولكنه ما وجد إلا «أمعانا فى الفساد وتوغلا فى الانحلال، والحياة كلها تضليل وأباطيل!!».

ونحن نؤيد الباشا فى أن كل القيم والمقدسات فى هذا البلد تجتاز محنة رهيبة، ولكن.. إذا كان الزعيم ينسحب إبان المحنة، فمتى يتقدم إذا؟

أيكون ذلك إذا صلحت الأحوال واستقرت الأمور واختفى الفساد وتحررت البلاد؟.

لقد كان الشاعر العربى القديم يصف البطل بأنه الذى «يغشى الوغى ويعف عند المغنم» ! أى يظهر وقت الشدة ويختفى وقت الرخاء.. وليس العكس!.

وقد علمنا التاريخ أن الزعيم لا تتمخض عنه إلا محنة أوشدة، وأن نجمه لا يلمع إلا فى الظلام: فنحن لايمكن أن نفهم دور ديفاليرا ما لم نعرف مدى سطوة الإنجليز على إيرلندا وعنف قبضتهم عليها.. ونحن لا نفهم دور غاندى إلا إذا عرفنا أية هوة سحيقة كان شعب الهند متردياً فيها، وأية أمراض اجتماعية واقتصادية وأخلاقية قاتلة كانت تنهش فى كيانه حين تصدى غاندى للزعامة.. بل إننا لن نفهم دور مصطفى كامل - الزعيم الأول للحزب الوطنى - إلا إذا ذكرنا أى نوم كان يغط فيه المصريون، وأى تحلل كان يسودهم، وأى استبداد كان يركبهم.. ولم يجد مصطفى كامل فى كل هذه المحن إلا أسبابا لمضاعفة الكفاح.

ثم.. أهى وسائل الجهاد المشروعة، تلك التى جربها الباشا، واستنفدها ويئس منها؟ إنه يقول فى بيانه: «إن الذين يسرون إليه بأخلاصهم للبلاد منصرفون فى أوان الجد إلى مصالحهم الذاتية وحدها.. وإنه كتب شخصيا إلى كثيرين من هؤلاء فكان كلهم بين متهرب ومتردد» ..

أجهاد بالمراسلة؟ وخطابات لبعض الأصدقاء وحملة الألقاب وذوى الأسماء المطروقة؟

إن الخطاب فى هذا العصر لا يوجه إلا إلى الشعوب، والتأييد لا يطلب إلا عند الجماهير! ولكن الظاهر أن الباشا - وقد علت به السن - أصبح رقيق المزاج.. فهو يريد أن يكون الاشتغال بالسياسة كالاشتراك فى ناد أو ممارسة لعبة رياضية.. والسياسة - مع الأسف - ليست نزهة رياضية فى طريق ممهد، والزعامة ليست بطولة فى التنس مثلا.. إنما هى أن تقتحم منطقة الوباء متعرضا لجراثيمها، وتغرس قدميك فى الطين، وتصارع حتى تلهث، وتمد يدك الخشنة إلى الشعب الغارق فى الأوحال..

وشعبنا الذى ينهض من الطين بنفسه يفرح بكل يد تمتد إليه بالعون، وكل صوت يدعوه إلى هدى.

وهذه هى اللحظة التى يمتحن فيها الزعماء، وهى هى اللحظة التى اختارها زعيم الحزب الوطنى للانسحاب.

●●●

ثم جاء المقال الرابع بعنوان «نساء محترمات» بتاريخ ١٢ مايو وأثار المقال دهشة القراء لما فيه من رؤية متطورة وجريئة لقلم هذا الكاتب الشاب، يقول بهاء فى مقاله:

«علماء الأزهر يجتمعون، ويقدمون إلى رئيس الوزراء مذكرة طويلة يطالبون فيها بالجلاء.. لا بجلاء الإنجليز عن القنال، بل بجلاء الفتاة المصرية عن الجامعة!

وكان الظن أن هذا الجدل فات أوانه، وكان ممكنا على هذا الأساس أن نترك مذكرة العلماء الأجلاء بغير تعقيب.. لولا كلمة ترددت فى سطورها، لو تركت بغير رد لرسبت فى بعض النفوس. تلك هى القول بأن دخول الفتاة فى الجامعة قد افقدها الكثير من «الاحترام والعزة!».

نعم.. إن المرأة بخروجها إلى الحياة العامة قد فقدت «احترامها» القديم، ولكن لتكسب احتراما جديدا أسمى وأنبل. وما معنى الاحترام؟ إن نظرتنا إلى الأمور تتغير، والمعانى الجديرة باحترامنا تتطور وتتعدل يوما بعد يوم.. والمجتمع يتخلى فى كل عصر عن «احترامات» ينكشف له زيفها أو تخلفها ويستكشف لنفسه «احترامات» جديدة.

ولنأخذ المرأة مثلا، حتى لا نبعد عن الموضوع.. لقد كان العرب القدامى إذا أرادوا مدح المرأة وصفوها بأنها «نؤوم الضحى».. أى أنها كسلانة، مترفة لا حاجة تدفعها إلى مبارحة الفراش.. وكان الشاعر الرقيق يتغنى بأن حبيبته بدينة، مترهلة، لا تستطيع المشى من فرط ثقلها ولا يتحرك الخلخال فى ساقها

من فرط اكتنازها!! كانت هذه المرأة «محترمة» جدا، بل كانت المثل الأعلى.. إذ استوفت كل حاجة الجنس من اللحم والشحم والكسل الذى يغرى بالخدر والاستسلام والانصراف عن عجلة الحياة.

ولكننا اليوم نرى هذا المثل الأعلى صورة بشعة!.. والشاب النابه المتقدم اليوم لا تطوف بمخيلته مثل هذه الصور.. إنما هو يريد أن تكون زميلته وشريكته خفيفة الحركة، مشرقة الذهن، واسعة الأفق.. يريد زوجة تفهم رسالته وأما مستنيرة.

فالمرأة إذاً قد فقدت «احترام» الجارية أو المتاع، لتكسب احترام الزميلة والشريكة على قدم المساواة.

ولم يشأ علماء الأزهر أن يطالبوا صراحة بحرمان الفتاة من التعليم الجامعى فطالبوا بفصلها عن الفتى، وهم يعلمون أنهم يطلبون المستحيل.. فلو جاريناهم فى منطقهم لكان واجبا - ومن باب أولى - أن نخصص للنساء دورا للسينما ومركبات للترام ومحلات للشراء.. أى أن يصبحن منبوذات.. كالزنوج فى الولايات المتحدة مثلا!

وبعد.. فإن خروج المرأة إلى الحياة العامة واختلاطها شىء، والأخطاء التى قد تشوب ذلك شىء آخر.. وعلماء الأزهر يعرفون أن من مبادئ أصول الفقه أن «العرض لا يؤثر على جوهر القضية».. فاستخدام السيارات مثلا يؤدى إلى كثرة الحوادث .. كذلك اختلاط المرأة ومساواتها للرجل يجب أن نسلم به، ولنبحث لكل عيب يظهر بعد ذلك عن علاج..

●●●

ثم يأتى المقال الخامس وعنوانه «أحلام أمريكية»، وعندما تقرأ هذا المقال المنشور فى ١٩ مايو ١٩٥٢ ستندهش مثلى تماما، فقد بدا وكأنه مكتوب هذه الأيام، يقول بهاء فى مقاله المهم:

ما أكثر ما تجرى صحافتنا المصرية مع الأحلام، وما أكثر ما تترك قراءها يلهثون خلف السراب..

وكان حلم الأيام الماضية هو أمريكا، وتدخلها الموعود لزجر الإنجليز، وإقرار العدل والحرية فى ربوع وادى النيل! ومضت الصحف وراء الحلم الذى صنعته لنفسها شوطا بعيدا: تؤكد هذا التدخل، وتروى تفاصيله وتعلق عليه الآمال. وها هو وكيل الخارجية الأمريكى والسفير الأمريكى ينشط، وينشط، وزميله الإنجليزى يرتعد من هذا النشاط فرقا.. ثم يطلع الصبح، وينتهى الحلم، ويتبين أن: السفير الأمريكى لم يصفع زميله الإنجليزى، بل كان يربت على كتفه ويشجعه! ويستيقظ البعض على الحقيقة القاسية، ويظل الآخرون غارقين فى وهمه، يبدئون فى الحلم ويعيدون!

وأكثر ما يلهب مخيلة هؤلاء الحالمين وينشط أحلامهم، ما يقرأونه عن الخلافات بين انجلترا وأميركا، وهنا ينبغى أن نقف ونفهم: ما حقيقة هذه الخلافات؟

نعم.. إن الخلاف بين الدولتين موجود.. ولكنه خلاف الأخوين يتنازعان على «التركة»، ولكنهما يتحدان فى وجه الغريب، فهو ليس خلافا أساسيا بين دولة تريد أن تحتفظ بنفوذها ودولة تريد أن تحرر الناس من كل نفوذ.. إنما هو خلاف بين نفوذين وبين سيطرتين..فإذا هبت ريح من الوطنية الخالصة تريد أن تقتلع كل أشكال النفوذ، فهنا يتحد أصحاب النفوذ المتنافسون أمريكان أو إنجلترا وفرنسيون.. يتحدون فى وجه الحرية الزاحفة الخطرة عليهم أجمعين!

ألم يعكر على هؤلاء الحالمين صفو أحلامهم، ما صنعته أمريكا فى قضايا المغرب من أسابيع؟.. كانت الصحف الأمريكية تندد بالاستعمار الفرنسى، والمسئولون الأمريكان يصرحون بالنصح لفرنسا أن تحقق مطالب المغرب الوطنية. ولكن القول شىء والفعل شىء آخر.. فحين ذهب وزراء تونس يعرضون قضيتهم على مجلس الأمن، منعتهم أمريكا من دخول أرضها، وأقنعت مجلس الأمن أن يرفض نظر القضية.. أقنعت القاضى أن يغلق عينيه

.. ويغلق أذنيه فلا يسمع صراخهم، ويغلق فمه فلا ينطق بكلمة حق واحدة.. وهكذا حتى هدأت العاصفة أو كادت، وعاد الاستعمار الفرنسى يرفع رأسه من جديد، كما عادت الصحف الأمريكية ـ أيضاً ـ تتحدث عن الحرية.

ولست أرى سببا يعطف قلب أميركا على المصريين، كما لم يعطفه على المغاربة!

«إن الخلاف بيننا وبين هؤلاء الحالمين بسيط.. بسيط ولكنه أساسى، هم يرون حل القضية الوطنية لايأتى إلا من الخارج، من قوة أجنبية ما. ونحن لانراه يأتى أبدا من الغير.. لا من الشرق ولا من الغرب.. إنما الحل هنا فى مصر وفى قلب كل مصرى».

●●●

ثم يأتى المقال السادس وعنوانه «الحذاء الحديدى» ويناقش فيه ميزانية الحكومة والإيرادات والمصروفات وكأنه يكتب أيضا لقارئ هذه الأيام، يقول بهاء فى مقاله المنشور بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٥٢ .

ليس فينا من يكره للميزانية أن تتوازن، وإن تجئ الإيرادات كالثوب المحبوك على «قد» المصروفات! ولكننا نكره أن توضع الميزانية وضعا تعسفيا فى قالب ضيق، كذلك الحذاء الحديدى الذى كانت تلبسه الفتيات فى الصين القديمة، فيمنع أقدامهن من النمو، ولا يلبث أن يمتد إليها الشلل والعجز.

إننا لا نتصور أن نأخذ فى هذه الفترة بالذات بسياسة انكماشية، ونحن نشكو مر الشكوى من ضعف الإنتاج وعدم مسايرة المشروعات الإنتاجية لازدياد السكان وانتشار الوعى. ولا نعتقد أنه من المستطاع حقا اختزال حوالى أربعين مليونا من الجنيهات من بند المصروفات، ما لم نقتل المشروعات الإنتاجية القليلة الهزيلة، التى تنطوى عليها الميزانيات المصرية عادة.

ومن أى البنود يكون الخصم إن لم يكن بند الأعمال الجديدة؟ إننا لم نسمع حتى الآن إلا عن بلد الموظفين، وقد قررت الحكومة بشأنه إيقاف التعيينات.

فكم يوفر لنا هذا الإجراء؟ وكم يوفر الغاء السيارات الحكومية وتقليل كميات الورق والأقلام التى يستهلكها الموظفون، والتليفونات التى يستعملونها؟.. مليون؟ مليونان؟ ليس أربعين مليونا على أى حال!

ومع ذلك فإن إيقاف التعيينات يبدو لنا مستحيلا تقريبا: فمع العام الجديد سوف تحتاج المدارس الجديدة إلى مدرسين، والمراكز الاجتماعية المعطلة إلى أطباء، والمشروعات العمرانية إلى مهندسين، سوف تضطر الحكومة إلى فتح أبواب التوظف أمامهم أجمعين.. لأن تعليم الشعب وعلاجه ومده بمياه الشرب ليست من الكماليات التى يمكن حذفها.

ولسنا بذلك نعارض فى ضغط المصروفات. إنه من الضرورى بغير شك أن نحذف كل مصروف لا لزوم له، وكل عمل له طابع الزخرف أو البهرج، وعدم الجدوى.. ولكن الذى نريد أن نؤكده هو أن ضغط الميزانية ليس بالحل الكامل لاختلالها، اللهم إلا إذا كان ضغطا عنيفا يزهق أنفاسها، ويتركها جثة هامدة لا حياة فيها.. أى لا مشروعات.

فلا مفر للحكومة إذا من أن تفكر فى زيادة إيراداتها. وليس لها أن تفزع من تلك الصيحات التى تتنادى بأن الضرائب الحالية باهظة! وأن فرض ضرائب جديدة خطر خطير وشر مستطير على الاقتصاد القومى والإنتاج الوطنى. فالواقع أن الضرائب الجديدة ليست خطرا إلا على دخول الصائحين.. وإن الضرائب فى مصر مازالت تافهة فى نواح كثيرة.. ومازالت هناك أكثر من أرض صالحة لفرض ضرائب جديدة لا تتعارض مع تشجيع الإنتاج.

فالحكومة تستطيع أن تفرض ضريبة تصاعديّة جدية على الملكية الزراعية دون أن تخشى على الإنتاج من شىء.. لأن الضريبة لن تقلل حصيلة الفدان، ولأن الملكية الزراعية - على أية حال - ليست فى حاجة إلى تشجيع!

والحكومة تستطيع أن تجعل لضريبة التركات وجودا حقيقا بدلا من الوجود الشاحب الهزيل.

والحكومة تستطيع أن تفرض «ضريبة مشتريات» على الكماليات التى تغرق السوق، وتستغرق الأموال، والتى نستورد منها سنويا مايزيد على ٣٠ مليون جنيه.

وهذا بعض من كثير.

فى ذلك الوقت - يونيو ١٩٥٢ - كانت مصر تغلى وتفور بالغضب والغليان، إلى حد أن يكتب أحسان عبدالقدروس فى روز اليوسف بتاريخ ٢ يونيو ١٩٥٢ مقالا ساخنا قال فيه «خير لمصر أن يديرها رجل يسرق النصف ويعطيها النصف بدلا من أن تتعامل مع شريف لا يسرق ولا يعطيها».

وفى نفس العدد يكتب بهاء عن «الإنجليز فى بلادنا»!

●●●

أما فى عدد ٩ يونيو فيكتب بهاء عن «السلطة المطلقة» فيقول:

يعجب معالى وزير الدولة للضجة القائمة حول المعتقلين والاعتقال؛ مع أن الحكومة أفرجت عن المعتقلين جميعا؛ فلم يبق منهم فى الاعتقال إلا أربعين . فقط لا غير..

والواقع أن تمسك الحكومة بهذا العدد الضئيل هو الذى يدعو إلى أعجب العجب : فمن هم ياترى هؤلاء الأربعون من المردة الشياطين، الذين تصر الحكومة على وضعهم فى قمقم الاعتقال؟ أهم خطرون على كيان المجتمع حقا إلى هذا الحد؟ أهم الصفوة المختارة من الأشرار العتاة فى هذا البلد؟.. أمن أجل هؤلاء الأربعين فقط تحتفظ الحكومة بالاحكام العرفية؟.. أم أنها تتخذهم ذريعة تتعلل بها فى استبقاء هذه الأحكام العرفية؟

وما أكثر الأسئلة التى تغلى فى الصدور!

نعم، إنهم أربعون فقط.. ولكن كل واحد منهم ليس إلا مواطنا كالآخرين له بيت وأسرة ورزق وأحلام.. وحياة كاملة يريد أن يحياها. ومع ذلك فنحن لا نطلب اطلاق سراح المعتقلين بل نطالب بالغاء الاحكام العرفية من أساسها

فليس يكفى الغاء الاعتقال بالنسبة لواحد من الناس أو ألف.. إنما المطلوب هو الغاء «سلطة» الاعتقال التى ترفرف بأجنحتها على كل الرؤوس .. حتى أصبح الناس من خوف الاعتقال فى اعتقال! وليس يقنعنا أن تنكس الحكومة سيف الاعتقال المشهر فى يدها، بل إنه لابد من تجريد الحكومة من هذا السلاح الخطر.. من هذه السلطة المطلقة التى لا يخولها لها الدستور إلا فى حالات نادرة.. ليست منها حالتنا الراهنة، وما أظن المعتقلين أنفسهم يفرحون بالإفراج عنهم فى ظل الحكم العرفى، فيخرجون من سجن محدود إلى سجن بلا حدود كما يفرحون بالغاء الحكم العرفى ذاته.

فالقضية إذاً هى قضية الحرية كحق كفله الدستور ونظام لا يقبل أى شعب متحضر نظاما غيره ولن توجد الحرية أبدا، ولو خرج جميع المعتقلين، ما بقيت سلطة الحكم العرفى المطلقة، خصوصا بعد أن زودت هذه السلطة نفسها بتشريع يمنع حق سماع الدعوى عن أى تصرف يأتيه الحاكم العسكرى.

وقد كان «هارولد لاسكى» يقول إن «أول شرط للحرية هو تقييد السلطة السياسية فحيث توجد سلطة مطلقة تنعدم الحرية، ذلك أن السلطة المطلقة تغرى أصحابها بالشر ولو كانوا أخيارا، وتجعلهم يتوهمون أن سلامة الدولة تقتضى استمرار سلطتهم.. فى حين أننا فى ظل الحرية نستطيع أن نحاسب السلطة السياسية فى كل وقت!».

وما أشد حاجة الناس إلى محاسبة السلطة السياسية فى هذا الوقت حيث لا يوجد برلمان.. وما أشد حاجة الناس إلى حريتهم فى هذه الوقت حيث لا يوجد برلمان.. وما أشد حاجةالناس إلى حريتهم فى هذه الظروف بالذات، التى توضع فيها كل مقدساتهم موضع البحث والتجربة والشك.

●●●

ويتناول «بهاء» فى مقاله بتاريخ ١٦ يونيو ١٩٥٢ «قسوة القاضى» ثم يناقش فى الأسبوع الذى يليه (٢٣ يونيو) موضوع «الطبقة المثقفة» ومقالا هامًا شمل صفحة ونصف صفحة عنوانه «الصحافة الأمريكية فى مصر».

وفى ٣٠ يونيو يكتب بهاء مقاله القنبلة تحت عنوان «اقتراح بسيط» فيقول:

ليت معالى وزير المالية يقرأ كلمتى هذه وهو فى طريقه إلى مجلس الوزراء يعرض عليه الميزانية الجديدة. فإنى أريد أن أدله على طريقة يوازن بها الميزانية ويسد العجز. أهون وأبسط من ذبح المشروعات الجديدة أو غير ذلك مما تفيض به الصحف.

وأعترف لمعاليه أننى احتجت إلى الكثير من أطراف شجاعتى لكى أكتب هذه الكلمة.. إذ إنى أعلم مقدما كم ستثير من السخط وإن كنت أعلم أيضا أن الكثيرين من الذين سيسخطون يؤمنون - فى قرارة نفوسهم - بما أقول!

إننى أقترح - ببساطة - أن يخصم العجز كله أو معظمة من البند الوحيد الذى لم تمتد إليه يد الضغط وهو بند التسليح!.. فالواقع أن ظروفنا المحلية والدولية كلها تنصح لنا بالتريث فى الانفاق على شراء الأسلحة وعدم المغالاة فيه. فمن الناحية المحلية نرى أن للجيوش وظيفة أولى - أو وحيدة - هى المحافظة على استقلال الوطن ووطننا ليس لديه استقلال يمكن أن ندافع عنه!.. وقد يكون من واجب الرجل الحر أن يحصن بيته حتى لا يسرقه أحد.. أما السجين فإن أحدا لايفكر فى سرقته.. إلا السجان نفسه.. وهذا هو حالنا مع الانجليز.. فنحن سجناء استعمارهم وهم يقفون بأبوابنا ويستأثرون بسرقتنا فليس لنا الآن عدو واضح غيرهم.

ومن الناحية الدولية أيضا نرى أن خطر إسرائيل علينا خطر موهوم لن يكون حقيقيا قبل أن نحمل تبعات الاستقلال لأن الإنجليز يستعمروننا لحساب أنفسهم لا لحساب إسرائيل. أما عن خطر الحرب الثالثة فإن نشوبها لايعنينا ونحن فى وضعنا الراهن. لأننا لن ننضم لأحد الفريقين وإرادتنا مسلوبة، ولن نستطيع أن نمنع أن تكون بلادنا ميدان قتال ما دام الإنجليز فعلا فى بلادنا!

وليس معنى هذا إهمال العناية بالجيش والاستعداد لليوم الذى نستقل فيه ونسترد حرية إرادتنا.. ولكن الأصوب فى مثل ظروفنا أن تكون سياستنا

العسكرية سياسة «تدريبية» لا تسليحية..بمعنى أن تنصرف جهودنا الآن إلى تدريب أكبر عدد ممكن من الرجال على حمل السلاح.. حتى إذا جاء يوم الاستقلال وجدنا الاكتاف القوية التى نضع عليها البنادق؛ وهى سياسة زهيدة النفقات جدا إذا قيست بشراء الأسلحة الباهظة الثمن والتى يتغير طرازها كل يوم.

ولست فى حاجة إلى بيان الآثار التى تترتب على التوسع فى التسلح، وها نحن نرى التضخم يزحف على أمريكا والجوع يعض بنابه انجلترا من جراء التسلح. حتى أن المعارضة فى التسلح لتشتد وتقوى هناك كل يوم فما بالنا نحن.. واقتصادنا ضيق لايقاس إلى موارد هذه الإمبراطوريات؟

●●●

ونصل إلى شهر يوليو.. الأزمة السياسية تكاد تخنق الجميع، كان الملك فاروق قد أقال وزارة «نجيب الهلالى باشا» وتشكلت وزارة جديدة يرأسها.. «حسين سرى باشا» وكتب إحسان عبدالقدوس مقالا نارياً تحت عنوان. خطاب إلى رفعة حسين سرى باشا: «من أنت» وقال فيه:

من أنت حتى أكتب عنك؟!ماهى مبادئك السياسية العامة حتى أؤيدها أو أعارضها؟ ما هى أهدافك حتى أسعى معكِ إليها أو أسعى ضدك؟! أنت لاشىء سوى قلع مركب يدفعه الهواء كما شاء محرك الأهواء ويطوى ويفرد كلما طوى أو فرد؟!

وكتب بهاء .. مقاله بعنوان «بائعة اللبن» قال فيه:

كنت قد كتبت مرة أعترض على تفكير الهلالى باشا فى تكوين حزب وهو رئيس للوزارة، وقلت إن الطريق الطبيعى لتكوين الأحزاب هو أن يخرج الزعيم من صفوف الشعب، ينشىء حزبه ويجمع حول دعوته الجماهير، ويظل يكافح حتى يصل بحزبه إلى الحكم. لا أن يصل الزعيم إلى الحكم أولا ثم ينشىء

لنفسه بعد ذلك حزبا!.. وقلت أيضًا إن الأحزاب التى تولد فى قاعة مجلس الوزراء تكون ولادتها غير طبيعية فلاتلبث أن تموت.. لأنها لا تمثل جماهير معينة من الناس، إنما هى محاولات فردية لقوم منعزلين فعلا عن الجماهير، تخدعهم كفاياتهم الذاتية والظروف الوقتية التى دفعت بهم إلى السطح، فهم يتخذون الأحزاب لكسب «الشكل»الديموقراطى لاغير..

واليوم وقد خرج دولة الهلالى باشا من رئاسة الوزارة، وعاد إلى صفوف الناس نراه قد سكت عن حديث الحزب الموعود. فلماذا؟..

إن تفكير دولته فى تأليف حزب وهو فى كرسى الرئاسة، معناه أنه كان قد اعتنق مبادىء يريد أن يقوم الحزب عليها ويكافح من أجلها.. مبادىء عمرها أطول من عمر الوزارة حتى أراد أن ينشىء لها حزبا.. والمفروض أن دولته كان يرى هذه المبادىء خليقة أن تظفر باعجاب الناس.. وأنه كان يعتمد فى كسب تأييد الجماهير على هذه المبادىء وحدها، لا على سيف المعز وذهبه، اللذين يملآن كف كل رئيس للوزارة..

فلماذا إذن ييأس دولته من هذه المبادىء السامية.. لمجرد خروجه من الوزارة؟

لماذا لا يجرب حظه الآن؟.. فيعلن عن تكوين الحزب، وينشر مبادئه المطوية على الناس، وينزل إلى الشارع داعيا الناس - وهو الأديب الفصيح - للانضمام إليه.. ثم يرى كيف يستقبله الناس؟

ولن يكون حديث دولته عن هذه المبادىء كلاما نظريا فحسب؛ فأمام الناس تجربة عملية.. جربوا فيها طراز حكمه، وخبروا ميوله واتجاهاته عمليا.. وما دام الهلالى باشا راضيا عن مبادىء حزبه، وراضيا عن طريقة حكمه، فحرى به أن يحاول أن يكسب رضاء الناس.

ولكن.. يبدو أن هناك أسبابا لانعرفها تصرفه عن تأليف الحزب.. فهل تراه عاد يعتزل السياسة مثلا، لمجرد أنه اعتزل الحكم؟

أم أن «الأخيار» قد انفضوا من حوله حين ذهب السلطان، وليس هذا من شيم الأخيار؟

أم حديث دولته عن الحزب وهو جالس على مقعد الرئاسة الوثير.. كان كحديث الريفية بائعة اللبن.... إذ مضت وهى ذاهبة إلى السوق واناء اللبن على رأسها، تحدث نفسها بأنها سوف تبيع اللبن وتشترى به دجاجا وحين يتكاثر الدجاج تبيعه وتشترى به عجولا.. وحين تكبر العجول تبيعها وتشترى بها عزبة واسعة.. فلمازلت قدمها، وانكسر إناؤها .. تنبهت من أحلام يقظتها على منظر اللبن السائل على الأرض؟!

●●●

وفى ١٤ يوليو ١٩٥٢ يكتب بهاء تحت عنوان «وزراء لا موظفون» فيقول: "

أريد أن ألفت الانظار إلى هذه الظاهرة الغريبة.. فقد أصبح معظم الذين يصلون إلى كرسى الوزارة فى الشهور الأخيرة من كبار الموظفين، الذين شقوا طريق حياتهم فى وظائف الحكومة، ولو أحصينا الوزراء فى الوزارات الثلاث الأخيرة مثلا لوجدنا أن أكبر نسبة فيهم كانت لوكلاء الوزارات، او المستشارين أو أعضاء هيئات التدريس فى الجامعات وغير ذلك من طوائف كبار الموظفين.

وأنا أقول إن هذه الظاهرة غريبة... لأنك لن تجدها فى أى بلد ديمقراطى، برلمانى.. حيث منصب الوزير منصب سياسى قبل كل شئ، لا يصل إليه الا من شق طريق حياته فى حقل الكفاح السياسى الحر، عن طريق الاحزاب والهيئات، وفى معارك الانتخابات، ومقاعد البرلمان، وصفحات الجرائد، مرتبطاً خلال هذا الكفاح كله ببرنامج معين: واتجاه سياسى واضح، تعرفه به الجماهير، ويحاسبه الرأى العام على تنفيذه حين يصبح وزيرا.

ولكن هذا الوضع يختفى عندنا احياناً أو يشحب.. وقد ارتفعت نسبة كبار الموظفين فى مقاعد الوزراء حتى كاد منصب الوزير ان يصبح درجة فى

كادر الموظفين يرقى إليها وكيل الوزارة او المستشار أو غيرهما.. بل لقد قطع هذا الاتجاه فى المدة الأخيرة خطوة خطيرة. إذ اشترط بعض الوزراء الاحتفاظ لهم بوظائفهم ليعودوا إليها، ولتبق مصلحة ضخمة بدون مدير حتى يعود إليها مديرها الذى أصبح وزيرا.. وليبق كرسى الاستاذية فى الجامعة شاغرا حتى يعود اليه الاستاذ!

والحجة التى تساق دفاعا عن هذا الوضع عادة، هى كفاءة هؤلاء الموظفين الكبار وخبرتهم الفنية الواسعة فى شئون وزاراتهم، ولنا على هذه ردان:

الأول: أن هؤلاء الخبراء لا يوضعون دائما فى مواضع خبراتهم، فالقاضى قد يصبح وزيرا للتجارة. وكيل العدل وزيرا للمعارف. فضلا عن أن كفايات هؤلاء الرجال - وهى كفايات معترف بامتيازها سبب آخر للتمسك بهم فى وظائفهم لأن منصب الوزارة دوار: ومن يترك وظيفته يفقدها - أو تفقده - عادة إلى الأبد..

والرد الثانى - وهو الأهم - أن منصب الوزير فى نظام ديمقراطى لم يخلق أبداً للخبراء الفنيين، فالوزير شخص سياسى بحث، بنفذ سياسة ارتبط بها امام الاصوات التى حملته إلى كرسى الوزارة.. أما الخبير فيجب أن يبقى خبيرا، يكرس خبرته «التنفيذية» لتنفيذ السياسة التى يرسمها الوزير..

والملاحظة الأخيرة فى الموضوع.. ان الوزراء غير السياسيين يغلب طابعهم على الوزارات غير الحزبية، فهو وضع مؤقت فحسب: وسيزول حتماً، يوم يعود لمصر من الدستور روحه ومعناه....

●●●

وصباح ٢١ يوليو ١٩٥٢ تصدر «روز اليوسف» - أى قبل ٤٨ ساعة من قيام الثورة - كتب «احسان عبدالقدوس» واحدا من أخطر وأجرأ مقالاته السياسية بعنوان «الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الزعماء» جاء فيه ما يلى:

«لم تجد مصر رجلا له من الجرأة: والقوة ما يؤهله لأن يصارحها بأنهاستحكم حكماً فردياً ديكتاتورياً فترة ما ليصلح من شأنها ويقوم ما أفسده منها المفسدون.. ولم تجد رجلاً يقول لها: إنه سيؤجل حل القضية المصرية إلى أن ينظم البيت ويجمع الصفوف ويرمم الجدران المنهارة.. ولم تجد رجلا يصارحها بأنه فى حاجة إلى الاحكام العرفية، وانه سيحتفظ بها إلى أن يقضى الله فيه أمراً كان مفعولا.

كلهم ضعاف مخادعون، لا يؤمنون بالديمقراطية ولكنهم يدعونها! ولا يؤمنون بالشعب ولكنهم يتملقونه ويخدعونه، يظهرون له غير ما يبطنون ويلبسون وجوهاً غير وجوهم، وتنطق ألسنتهم بغير ما تؤمن به قلوبهم.

وعاشت مصر تحكم بلا مبادئ محددة صريحة ... وتولى حكامها الحكم، لأن الفرصة قد ولتهم لا.. لأن لهم سياسة مرسومة أو مبدأ معينا.. و ...و وأخيراً يقول إحسان: ولن تحظو مصر إلى الأمام إلا إذا حكمتها المبادئ، مبادئ يراها الشعب ويلمسها ويفهمها .. مبادئ تختار على أساسها الحكام، ومبادئ تحكم بها على الرجال، ومبادئ ترشدها إلى الخير والشر، ومبادئ تحميها من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الزعماء..»

وفى نفس العدد كتب «بهاء» مقالا جريئاً ومثيراً للدهشة أيضاً بعنوان «المصباح الأحمر» يقول المقال:

سوف تلغى الأحكام العرفية بمجرد زوال الأسباب الموجبة لبقائها !!.. سمعنا هذه الكلمة من كل حاكم عسكرى تقلد سيف الأحكام العرفية.. ولكننا لم نسمع منهم سببا واحدا من هذه الأسباب الموجبة لبقائها حتى نستطيع أن نناقشه.. وانا لننظر إلى استتباب الامن، وهدوء الحالة والركود الشامل... فلا نجدإلا أسباباً موجبة لزوالها.

وفى الاسبوع الماضى أدلى رفعة حسين سرى باشا بحديث لمراسل اليونيتد برس أذيع فى جميع انحاء العالم؛ صرح فيه رفعته بأنه يستبقى الأحكام

العرفية لمنع كل «احتكاك داخلي» .. وهو الحديث الذى نستأذن رفعة سرى باشا فى التعليق عليه تعليقاً هادئاً ..

فالظاهر أن الحكومة قد تأثرت بالتجربة الناجحة التى طبقها قلم المرور فى شوارع القاهرة .. اذ رأى كثرة حوادث تصادم السيارات واحتكاكها وشكوى الناس من ابواق السيارات المزعجة؛ فالزم السيارات فى بعض شوارع القاهرة بالسير فى اتجاه واحد ومنعها من استعمال آلات التنبيه منعا باتا .. حتى لا تخرج احدا من راحته، او توقظ نائما من غفوته! وارادت الحكومة أن تستفيد من هذه التجربة فى تنظيم الحياة السياسية فى مصر .. فهى تستبقى الاحكام العرفية حتى لا ترتفع اصوات الصحف والاقلام كما ترتفع الات التنبيه وهى تمنعِ الاحتكاك بأن جعلت الناس يسيرون فى اتجاه واحد .. وراء الحكومة طبعا!!

ولكن الذين قرأوا الحديث فى الخارج يجهلون هذه القصة .. وسوف يتساءلون حتما عن نوع الاحتكاك المراد منعه - فإذا كان يقصد به الى خلافات الاحزاب، وتعدد الآراء وحدة الجدل بين التأييد والمعارضة . .فإن الحياة الديمقراطية لا تستقيم بغير هذا الاحتكاك .. ولا يتصور أن يقوم نظام على تعدد الاحزاب واختلاف وجهات الرأى، ثم لا يسمح للاحزاب بأن تختلف وللآراء أن تحتك وتصطدم!

وقد قال رفعة سرى باشا أيضاً : إن من أخص أهداف وزارته إعادة الطمأنينة والهدوء إلى جميع المواطنين .. وهذا بغير شك هدف ضرورى ومشكور! ولكننى أؤكد لرفعته أن الطمأنينة قد عادت فعلا إلى كل قلب ولو أنه استفتى الناس لقالوا إنهم مطمئنون تماماً .. وان لا شئ يخيفهم الآن .. الا سلطة الحاكم العسكرى! ..

فالأحكام العرفية التى تقاوم الخوف تنشر جوا من الخوف .. وقد اصبح وجودها يذكرنا بقصة الرجل الذى وضع فى وسط الطريق كومة من الحجارة، غرس فوقها مصباحا احمر وسأله الناس: لماذا تضع هذا المصباح الأحمر؟

فقال: لكى انبه الناس الى كومة الحجارة.. فعادوا يسألونه: ولماذا وضعت كومة الحجارة؟.. فقال لكى أغرس فوقها المصباح الأحمر!

وفى نفس العدد كتب بهاء تحت عنوان: «الذين يؤخرون مصر» يقول:

قد لا تجد عظيما واحدا ترضى عنه تماما، ولكنك تستطيع أن تسمى فى أى وقت عشرات من الذين تسخط عليهم.. والواقع أنه إذا كان من السهل أن تعدد اسماء من تسخط عليهم الا أنه من اصعب الصعب أن تتحدث عنهم دون أن تجرح، أو تسيل دماً.

ولكل واحد من الناس عقيدة ما، ينظر من خلالها إلى الحوادث والأشخاص، وقد حاولت هنا أن أختار ستة من كبرائنا البارزين اعتقد - من وجهة نظرى الخاصة - أنهم يؤخرون مصر ويعرقلون تطورها. ولم اختر هؤلاء الستة بالذات لأنى أشد سخطا عليهم من سواهم. ولكننى اخترتهم لأنى وجدت فى كل واحد منهم «نموذجا» واضح الملامح قوى التعبير يمثل طرازاً من الناس لا أوافق - بحكم ما اعتقد - على موقفهم - وإن كان فى الناس طبعا من سيخالفوننى الرأى.

أحمد خشبة باشا

وأول من اخترته فى ميدان السياسة - سعادة أحمد خشبة باشا وخشبة باشا كما يعرفه الناس.. رجل شديد الهدوء طويل البال، بعيد الاناة وقد اخترته لأن له رأيا معلنا صريحا فى موقف مصر الدولى وقضيتها الوطنية. فهو يرى أن انضمامها إلى المعسكر الغربى مسألة مفروغ منها لا تستدعى المناقشة أو البحث أو حتى التفكير فى الثمن! وهو يعتقد أيضاً أن انجلترا ما تزال أقوى قوة فى الأرض، وأننا لا يمكن أن نأخذ منها شيئاً الا ما ترضاه لنا، بالمفاوضة والمساومة والرجاء والالحاف «.. لأن أى شعب صغير كمصر ليست لديه أى فرصة للتحرر الكامل؛ إنما عليه أن يختار من بين أنواع الاستعمار أهونها..كالطفل الذى يجب أن يجد «حجرا» يجلس عليه أو ذيلا يتعلق به! وقد أدلى مرة بتصريح اثار عليه الناس قال فيه: إن الإنجليز خير الظالمين! وهو لا

يؤمن أبداً بقيمة الحركات الشعبية أو الرأى العام.. فبالرغم أنه زعيم كبير فى حزب رئيسى، ووزير خارجية سابق؛ نراه لم يتوجه مرة واحدة إلى الشعب ببيان أو يلقى فيه خطابا، أو يدلى بحديث حماسى مهما كانت الظروف والأحوال.. فهو يدير ظهره تماما للناس ولا يتحرك أبداً إلا إذا كان فى الحكم.. فعندئذ يفاوض الإنجليز.

وليس خشبة باشا وحيد هذه المدرسة. ولكننا اخترناه لأنه واضح؛ وكانت لديه دائماً الرجولة الكافية لكى يعترف بعقيدته هذه.. بعكس الكثيرين من أبناء مدرسته، الذين يظهرون غير ما يبطنون ويفاوضون وهم يلعنون المفاوضين.

والقراء يشاطروننى ولا شك الرأى فى أن مدرسة المفاوضات هذه تعرقل كل كفاح جدى للتحرر.. فما دامت هذه المدرسة مفتوحة أبوابها فستجد من يلتحق بها! وسيبقى الإنجليز فى ظلها!.

محمود محمد محمود

يقول عنه أصدقاؤه: إنه كفاية ممتازة وقلب نظيف، وقدرة واسعة على الانتاج ..

وقد كتبت : «يقول عنه اصدقاؤه» عامداً لأننا لا نعرف عنه شيئاً واضحاً مباشرا.. فهذه الصفات التى يقول بها اصدقاؤه ، ترقد فى جسد رقيق، ووجه حالم، ولا تتعدى كيان صاحبها أبداً إلى ساحة العمل الإيجابى والانتاج النافع.

وهذه الكفاية - التى يتحدث بها أصدقاؤه - وأسرته الكبيرة، واسم ابيه .. كلها اتاحت له أن يقفز إلى السطح، وان يرشح لكثير من المناصب الكبرى .. ولكنه كان كلما عرض عليه منصب اعتذر، وقال أصدقاؤه إنه زاهد فى المناصب! وفى المرة الوحيدة التى قبل فيها، وتولى رئاسة ديوان المحاسبة لم يصمد أكثر من شهور، ثم رأى ما لم يعجبه فاستقال وانسحب! وتحدث كل الناس عن أسباب الاستقالة.. ما عدا صاحبها! فلا هو نفع الناس باستمراره فى

الميدان ولا أضاء لهم الموقف باستقالته! و ضرب بذلك مثلا رائعاً للسلبية.. رشحه لأن أتخذ منه فى هذا المقال نموذجا بديعا للسلبيين فى مصر.

والواقع اننى لا أفهم معنى الزهد فى المنصب، أو فى العمل السياسى فترك العمل بدعوى الزهد لا يصدر الا عن رجل يحسب العمل ربحا ومنفعة فيقول إنه زاهد فى الربح والمنفعة... فالعمل السياسى بذل وتضحية... والزهد فيهما ليس قطعاً من الخلال الحميدة!..

والرجل السلبى - من طراز محمود محمد محمود - يشترك فى تأخير مصر وعرقلة تطورها.. سواء كان ينطوى على كفاءة حقيقية.. أو على فراغ!.

فإذا كان ينطوى على كفاءة فليس من حقه أن يسلب بلده هذه الكفاءة التى توفرت له بحكم التربية والثقافة التى اكتسبها على حساب هذا البلد فيجب أن تكون لحسابه..

أما إذا كان ينطوى على فراغ فإنه يؤخر مصر أيضا.. إذ يجعل الناس يتعلقون باسطورة وهمية، ويضيعون وقتهم جريا وراء سراب يحسبونه ماء فإذا خبروه لم يجدوه شيئا!

البدراوى عاشور باشا

وفى ميدان الحياة الاقتصادية اختار سعادة البدراوى باشا، كنموذج للقوى التى تعطل تقدم مصر الاقتصادى.

وأنا لا أتعرض للباشا هنا بسبب ما يذاع عن بخله أو ضنه بالتبرع فهذه أشياء متعلقة بشخصه ولا حسدا لغناه الواسع.. ولكننى أتعرض فقط لطريقته فى استثمار امواله.. بوصفها الطريقة الأكثر شيوعا فى مصر..

فالبدراوى باشا مالك زراعى كبير. جدا.. وهو يكسب من الزراعة مئات الآلاف يتبقى لديه منها فى أخر كل سنة بعد كل المصروفات فائض كبير. ففى أى شئ يستغل هذا الفائض، .. فى شراء أرض زراعية جديدة!

وهنا موضع الاعتراض. فهذا النوع من الاستثمار لا ينفع الاقتصاد القومى ابدا، بل إنه يضر به. فالاقتصاد القومى لا يستفيد شيئا من انتقال ملكية الأرض من هذا المالك الى ذاك.

لان انتقالها لا يزيد الانتاج حبة قمح واحدة. ولكنه يضار من هذا الشراء المتصل للأرض.. لأن فى البلد عشرات كالبدراوى، يتسابقون على شراء الأرض، نفس الأرض؛ فترتفع اسعارها ولا تزيد مساحتها، حتى انقلب الأمر الى مزايدة متصلة على نفس الأرض؛ وزاد ثمن الفدان على ١٢٠٠ جنيه؛ وهو ثمن وهمى لا يمثل القيمة الانتاجية الحقيقية للفدان، إنما يمثل مدى تلهف الاغنياء على شراء الأرض.

ولو ان امثال البدراوى يكتفون من الضياع بما يملكون ويوجهون كل الفائض من أموالهم إلى الاستثمار الصناعى لزاد الانتاج القومى زيادة كبيرة ولاندفع التطور فى مصر عشرات السنين؛ بل لتغير الموقف تماما!

ولكن الملاك الزراعيين من أشباه البدراوى يصممون على استثمار الذهب فى الطين، ويركنون الى الزراعة لا نها أكثر ضمانا وراحة وما تعرفه خير مما لا تعرفه..

والدولة لا تتحرك ازاء استحكام الازمة لضعف الانتاج وسوء التوزيع. وهى الحالة التى تزعج كل عاقل.. وتعرقل كل تطور.. وقد لحظها مستر جورج ماكجى وكيل الخارجية الامريكية السابق حين كان يزور مصر. إذ عاد يقول: «ان الثروة فى البلاد المتخلفة قد اصبحت تقليدية لا تزيد وأرباحها تنفق فى شراء الأرض وتكوين الاقطاعيات أو اقتناء الذهب والاحجار الكريمة. فالثراء هناك يكتسب بأخذه من الآخرين لا بالبحث عن انتاج جديد فى ميادين جديدة».

الشيخ حسنين مخلوف

وأنا اذكر فضيلته، كممثل للسلطة الدينية التى فهمت الدين - والدنيا - فهماً معيناً، مستمداً من كتب الأولين ، ثم هى لا تعترف بشئ جديد جاء بعد هؤلاء الأقدمين .. لأن كل جديد بدعه وكل بدعه ضلالة . وكل ضلالة فى النار !

وأظننى لست فى حاجة إلى بيان كثير، وأحاديث الشيخ وفتاويه الأخيرة مازالت تتحدث عن نفسها.

ورجال الدين كسائر البشر يجوز عليهم الخطأ، ويجوز عليهم الهوى، ولكنهم يحاولون دائما أن ينشروا اعتقادا عاما بأنهم هم الدين نفسه.. والمؤمنون بغير تفكير كثيرون؛ وهؤلاء هم الضحايا لكل أخطاء رجال الدين!

وأخطر من ذلك أن يخرج الدين ـ أو رجال الدين ـ عن حدودهم، ويجعلوا أنفسهم قضاة كل قضية، وقضاة لايجوز عليهم الاستئناف أو النقض، فيحكمون بكفر وزير، وبحرمان المرأة حقوقها، وتحليل هذا وتحريم ذاك!

الأستاذ عباس محمود العقاد

وأخيراً فى ميدان الأدب.. اختار الأستاذ عباس محمود العقاد.. والأستاذ العقاد كاتب كبير، له مؤلفات كثيرة واسعة لانتشار، وتأثيره لاشك عظيم على عدد كبير من القراء، ولكنى أعتقد أن تأثير العقاد على قرائه تأثير ضار؛ لأن موقفه رجعى بصفة عامة.

ففى السياسة نراه يربط قلمه بحكومات وأحزاب بعينها. وليس هذا عيبا من حيث المبدأ، ولكن العيب الذى يؤخذ على «الكاتب» أن يذهب فى تأييد أصحابه إلى غير حد، وفى كل قضية. فلست أنسى مثلا أنه كتب يوما يتهم الكتاب الذين يشنون حملة للإفراج عن المعتقلين السياسيين فى بعض العهود كتب يتهمهم بالشيوعية.. مرة واحدة، وتوجيه هذه التهمة بالذات إلى بعض الكتاب الأحرار فيه معنى استعداء السلطات عليهم.. وهذا أبشع مايمكن أن يتورط فيه صاحب قلم..

وفى المسائل الاجتماعية.. نراه يسبح فى آرائه ضد تيارات التقدم جميعا.. فهو ينتقد نشر التعليم على نطاق واسع. ويحذر من كثرة عدد المتعلمين وقد شبه التعليم مرة بأنه كماء النهر إذا زاد أصبح فيضانا خطيرا يغرق البلاد!!

وهذا رأى يقول به «كاتب»، عمله أن «يقرأ» له الناس.. المتعلمون طبعا وهو أيضا يعارض فى مساواة المرأة بالرجل.. ومن آرائه العزيزة عليه؛ أن المرأة مخلوق متخلف عن الرجل فى كل شئ. لا فى الحياة العامة والوظائف فحسب، بل حتى فى المهن التى تخصصت بها المرأة كالطهى مثلا.. بدليل أن الطهاة من الرجال أمهر من الطاهيات وهو يرى هذا النقص شئ طبيعى فيهن لا مجرد نتيجة لظروف تاريخية يمكن أن تتغير!

ونتيجة هذا الرأى طبعا.. أن تبقى المرأة تابعة.. وأن يكون فى المجتمع نصف ممتاز - هو الرجل - ونصف وضيع هو المرأة.. والأستاذ العقاد مغرم دائما بتقسيم الناس إلى ممتازين وحقراء بالطبع!

من أجل ذلك كله أرى أن الأستاذ العقاد يساهم فى تأخير مصر.. لأنه ينشئ فى مجتمعنا المصرى آلافا من الناس يخافون الإفراج عن المعتقلين؛

ويحتقرون المرأة ويفرقون من نشر التعليم!!

السيدة فاطمة نعمت راشد

وإذا كان لابد من اختيار شخصية نسائية؛ فإننى اختار السيدة فاطمة هانم نعمت راشد!

والسيدة فاطمة هانم هى التى انشأت أول حزب نسائى فى مصر، يطالب للمرأة بحقوقها السياسية ومنح المرأة حقوقها السياسية - فى رأيى - خطوة الى الإمام كان المفروض ان اضع السيدة فاطمة هانم بين الذين يدفعون مصر إلى الأمام ولا يؤخرونها الى الخلف.

لولا أن الطريقة التى قادت بها الهانم الحركة حولت مطالبة المرأة بحقوقها من قضية جدية خطيرة الى عنصر من عناصر التسلية والترفيه وأصبحت

اجتماعات المرأة وبياناتها ومقالاتها لا تحمل على التفكير بل على الابتسام فنحن لا نرى حول الزعيمة فاطمةهانم سيدة واحدة مثقفة أو خطيبة أو كاتبة او امرأة لها ماض فى النشاط الاجتماعى أو السياسى لأنها لم تستطع أن تتفق الا مع بعض السيدات والآنسات من اللواتى يطلق عليهن اسم زهرات المجتمع فى صفحات الطبقة الراقية واللواتى يلهثن خلف حب الظهور ونشر صورهن والحديث عن ازيائهن على صفحات الجرائد ولو سألت واحده منهن فى السياسة أو عن مغزى مساواة المرأة والرجل. لما سمعت منهن كلاما ارفع من كلام بطلات السينما فى الافلام المصرية!

ولست انسى اننى تلقيت يوما دعوة كريمة من الحزب النسائى الى مؤتمر يعقبه او يسبقه تناول الشاى، وذهبت الى مقر الحزب لأول مرة فى شقته الانيقة ورأيت المدعوين القليلين محاصرين بجيش معطر رشيق من النساء .. ووقفت الزعيمة تلقى علينا باللغة الفرنسية قرار الحزب الخطير الا وهو المطالبة بحق المرأة فى دخول الكلية الحربية لتصبح ضابطة كالرجل سواء بسواء !!

وكتم الحاضرون ابتساماتهم، وبدأوا يسألون هل قصد الزعيمة تجنيد المرأة كالرجل سواء بسواء؟ فأجابت باللغة العربية هذه المرة! أن لا. وقالت إنها كما تطالب بالحقوق السياسية للمرأة المثقفة فقط فهى أيضاً تطلب حق التجنيد للمرأة المثقفة فقط.. أى أن المرأة تكون ضابطة فحسب...

وسألها آخر: وهل تقود الضابطة جنودا من الرجال؟..

ولست أذكر بأى شئ اجابت الزعيمة فقد انقلبت المسرحية الى كوميديا .. ولكنى تلفت حولى اتأمل السيدات والآنسات الرشيقات يلمعن اناقة وجمالا ويعبقن المكان بعطرهن، وينحنين علينا بصوانى الجاتوه وتساءلت: هل جئن حقا يطالبن بحمل السلاح أم يسلين انفسهن بالظهور فى المجتمع واقامة الحفلات..

لعل السيدة فاطمة هانم تسلى نفسها ولكننى أؤكد لها أنها تسلية تدفع ثمنها من تأخرنا.. وان الزعيمة لا تقتل وقتها فحسب بل تقتل وقت مصر كلها الوقت

الذى يضيع والمرأة محرومة من حقها السياسى لأن حقوق المرأة السياسية أصبحت لهوا ولعبا!

وبعد...

فلعلنى وفقت أن أكون موضوعيا وأنا اتحدث عن هذه النماذج الستة ولعل هذه النماذج لا تعدم ناسا يدافعون عها فما رأى الناس؟..

انتهى ما كتبه أحمد بهاء الدين بكل ما تحمله سطور المقال الساخر من دلالات لا تخفى على ذكاء القارئ!

وبعد ٤٨ ساعة بالضبط قامت ثورة يوليو ١٩٥٢، وبعدها بثلاثة أيام غادر الملك فاروق مصر إلى الأبد!!

وتغيرت الدنيا، ولم تعد مصر هى نفس مصر أيام الملك فاروق.

وفى ٤ أغسطس ١٩٥٢ كتب أحمد بهاء الدين مقالا عنوانه «خارق القانون» قال فيه ما يلى:

كان غاندى يقود ثورة الهند.. وكان أحب الهتاف إلى قلبه ذلك الهتاف الذى اطلقته صديقته الشاعرة «ساروجينى نايدو» وسرعان ما ردده الهنود كلما رأوا زعيمهم صاحوا به: يا خارق القانون!

كلما تأملت تلك الأيام القليلة البيضاء التى قام فيها الجيش بخلع الملك السابق- عادت الذاكرة الى ستة مضت حين تقدم نفر من الشباب والكتاب المجاهدين تقدموا يخرقون القانون!

وكانت القوانين الكثيرة تحمى الملك وتمنع التعرض له او لحاشيته او حتى لطرف حذائه بأهون السوء.. كقوانين الجعيات والاجتماعات وانباء القصر وشتى قيود الرأى.. وكان الذين يقفون وراء هذه القوانين كثيرين؛ وأقوياء: الوزراء والبوليس والمحاكم والسجون!

ولكن الأحرار تقدموا بالرغم من ذلك متعرضين للنار؛ يحصبون بقذائفهم الجالس على العرش.. تظاهر الطلبة فى الشوارع هاتفين بسقوط الملك، وشن

الكتاب الاحرار حملاتهم عليه وعلى حاشية السوء من حوله.. وهطلت عليهم الاتهامات كالمطر :فهذا شيوعى وذاك ارهابى وثالث مخرب ورابع خطر على الأمن.. الى أخر تلك الأوصاف التى تدرجهم تحت اسم المجرمين السياسيين، ولم يغن ذلك كله عن الملك السابق شيئا.. فقد تصدعت اركان النصوص ولم ينل السجن والتشهير والمصادرة والتعطيل من الأحرار الذين حققوا أول النصر. إذا نشروا ذلك الاقتناع العام، العميق، بأن الملك السابق عقبة حقيقية فى طريق هذا البلد!

ولجأ الملك السابق الى حصنه الأخير ففرض الاحكام العرفية؛ وبسط جوا من الارهاب المسلح.. وبالسلاح دخل الجيش ساحة المعركة، وكسب الجولة الأخيرة - باسم الشعب - فى أربعة أيام، انتهت بمشهد الملك الذاهب والشمس الغاربة!..

وانكشف الأمر للناس عن حقيقة كبيرة: ان هؤلاء الذين خرقوا القوانين وشردهم الاضطهاد ودمغهم الحكام بأنهم «مجرمون سياسيون» انما كانوا يجاهدون من أجل قوانين اسمى وارفع. من العدل والحرية والمساواة وانّ السادة الكبار المحترمين، ذوى الاسماء اللامعة والمرتبات الضخمة والمناصب المرموقة، الذين ادعوا محاربة الجريمة متحصنين فى نصوص عتيقة إنما كانوا يسترون العفونة الكبرى التى فاحت منها كل روائح الاجرام. من قتل وسرقة وهتك واغتصاب!

فماذا علينا أن نفعل بعد أن كسبنا المعركة؟

علينا أولا أن نذكر هؤلاء الأبطال الذين ذهبوا بغير سلاح يقتحمون الشقة الحرام.. يفجرون الالغام باجسادهم ويقطعون الأسلاك الشائكة بأيديهم العارية حتى طهروا للجيش ارضا من التأييد الكامل يمر عليها! علينا أن نذكر فى ساعة النصر هؤلاء الفدائيين بأن نمسح جراحهم ونرفع عنهم كل آثار

المعركة.. كالاحكام التى صدرت ضدهم، وصفة الإجرام التى الصقت بهم، مهما اختلفت اتهاماتهم .. فقد كانوا جميعا يزحفون الى حصن الفساد ليدكوه .. وان سلك كل واحد منهم طريقا.

وعلينا بعد ذلك واجب اهم ..ان نطهر الأرض من الشراك والاسلاك التى اقتنصتهم من القوانين التى كان لهم شرف خرقها، لأنها تقيد حريات الرأى جميعا!.. فما زالت أمامنا معارك كثيرة مقبلة، وسوف نحتاج ـ لكى نكسبها ـ إلي أرض نظيفة !

وفى نفس العدد كتب «أحمد بهاء الدين» أخطر مقال له وكان بعنوان «الدستور بين العرش والشعب» وجاء فى هذا المقال :

فى سنة ١٩٢٤ ولما تمضى على مولد الدستور شهور؛ وقع أول خلاف على تفسيره بين سعد زغلول والملك فؤاد.

واحتكم الاثنان إلى عالم بلجيكى - البارون فان بوش - الذى كتب فيما بعد يصف اجتماعه بالخصمين المتنازعين:

«.. دخلت إلى مكتب الملك فى قصر عابدين .. وكان الملك يداعب مسطرة صغيرة لقطع الورق ، وكل حركاته تدل على التأثر، أما زغلول باشا فكان جالساً أمامه متمالكا أعصابه يتحدث فى هدوء. «وأدركت» فى الحال خطورة الموقف، فهذا ملك ربى حسب التقاليد الشرقية وما تمتاز به من صفات الحكم المطلق، يحاول المحافظة على البقية الباقية من السلطة، وأمامه رئيس وزراء يتمسك تمسكاً شديداً بالحقوق التى يخولها له الدستور .. وكلما اشتدت المناقشة قال : إذا استشر الشعب ..!»

ذلك هو الموقف منذ ثمانية وعشرين سنة حين بدأ الدستور يطبق .. ودخل على الملك فى حجرة مكتبة رجل صلب العود، قادم من صميم الفلاحين؛ يقول له باسم الشعب : لا ! ..

ولم يكن الملك فؤاد حين وقع مرسوم إصدار الدستور يؤمن بكلمة واحدة مما جاء فيه .. أو على الأقل بمادته الثالثة والعشرين التى تقول فى بساطة قاطعه : إن جميع السلطات مصدرها الأمة ! ».. لم يكن فؤاد يتصور أبداً أنه بهذا الدستور يتخلى عن جميع السلطات لهذه الأمة .. أمة الفلاحين والعمال والأفندية، وسائر الملايين المهلهلة التى تنتخب هؤلاء النواب الثرثارين، الذين يصدعون رأسه بالكلام عن الحرية وحقوق الشعب وما إلى ذلك !

ولم يكن ذلك غريباً على ملك ورث عن آبائه سلطة استبدادية مطلقة ، واستقر فى ذهنه أن الحكم يجب أن يدار لمصلحته ومصلحة أسرته .. وأن انتقال السلطة إلى الشعب معناه أن يدار الحكم لمصلحة الشعب .. ولو تم ذلك لأصبح - هو الملك سليل الملوك - عاطلاً من السلطة ؛ ومن الثروة ، ومن الرؤوس الذليلة التى تنحنى له أينما اتجه ! .. وهكذا حل فؤاد أول برلمان بعد تسعة شهور .. وحل ثانى برلمان بعد مولده بتسع ساعات! .. فقد افتتح البرلمان فى عهد زيور سنة ١٩٢٥ - فى الساعة الحادية عشرة صباحاً .. وأصدر مرسوماً بحله فى الساعة الثامنة من مساء نفس اليوم! .. وكان الذنب الذى ارتكبه النواب أنهم انتخبوا سعد زغلول رئيساً للمجلس ! ..

وحاول أن تقلب صفحات تاريخنا منذ عرفنا الدستور .. فستجد أن فؤاداً وفاروقاً لم يتركا برلماناً واحداً يتم مدته الدستورية !!

ولم يكن حل البرمان أسوأ ما لقيه الدستور على يد فؤاد وفاروق .. فقد كانا يعمدان أحياناً إلى إلغاء الدستور كله ، أو إيقافه .. وقد فعلاها - فى خلال ٢٨ سنة - أربع مرات !

وكان كل واحد منهما يجد دائماً رؤساء الوزارات والوزراء الذين يضعون أنفسهم فى خدمته، ويعطلون له الدستور، ضد مصلحة الشعب . جرياً وراء عرض حقير من المنافع الزائلة ..

ففى أول تجربة ، وجد فؤاد - زيور باشا ؛ الذى أخذ على عاتقه حل البرلمان بعد تسع ساعات من انعقاده، ولم يقل إنه قرر تعطيل الدستور - الذى

لم يجف مداده بعد ! – بل زعم أنه يعدل قانون الانتخاب ليتلافى العيوب التى ظهرت فيه ... وأنه سوف يجرى الانتخابات بمجرد فراغه من التعديل.

ولكن الشعب بزعامة سعد قاوم هذا العبث مقاومة باسلة ، حتى أضرب العمد للمرة الوحيدة فى تاريخ مصر، وامتنعوا عن تنفيذ قانون الانتخاب، وأصدر أمراء الأسرة المالكة أنفسهم بياناً يطالبون فيه بعودة الدستور .. حتى الأحرار الدستوريون ، والذين وصف كبيرهم عبدالعزيز فهمى الدستور بأنه ثوب فضفاض .. عادوا وانضموا إلى صفوف المعارضه الشعبية؛ حين وجدوا كبيرهم هذا بعينه يطرده فؤاد من الوزارة شر طردة لأنه رفض أن يفصل الشيخ على عبدالرازق من القضاء الشرعي .. ووجد عبدالعزيز فهمى أن التمكين للمستبد لا يزيده إلا استبداداً، فخرج صائحًا «إن البرلمان والوزارة البرلمانية هما الأداة الوحيدة للدفاع عن قضيتنا والوصول إلى استكمال حقنا!» ولما وجد الشعب اصرار الحكومة على تعطيل الدستور، قرروا أن يجتمع البرلمان المنحل رغم أنف الحكومة.. وأسرع زيور يحيط البرلمان بالبوليس المسلح والمدافع الرشاشة، فاجتمع النواب فى فندق الكونتنتال.. ووقف سعد يخطب فى النواب المحتشدين من جميع الأحزاب ويقول «يجب أن نقسم جميعا أن لا نترك الدستور لعبة فى يد المستبدين، وأن يضحى كل واحد منا بحياته فى هذا السبيل».. ويقف النواب جميعاً، ويرددون فى صوت واحد: كالصلاة، «أقسم بالله العظيم.. أن أضحى بحياتى ومالى فى هذا السبيل».

ورأى الملك أن المعارضة تشتد وتنذر بالخطر.. وإن الكراهية له تزداد، والاقتراحات العنيفة تتطاير كالشرر.. فأذعن وأعاد الدستور!...

وفى سنة ١٩٢٨ ، كان تعطيل الدستور بناء على رغبة الانجليز.. فقد أراد الانجليز إيجاد حكومة متساهله تقبل شروطهم فى عقد معاهدة.. ولم يكن ممكنا أن تأتى هذه الحكومة «المتساهلة» عن طريق الشعب: فأشاروا إلى الملك، الذى أسرع يقيل وزارة النحاس سنة ١٩٢٨ ، ويحل البرلمان، ويكلف محمد

محمود بتأليف وزارة جديدة، وأعلن محمد محمود تعطيل الدستور لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد!.. ثم ذهب إلى لندن يفاوض الانجليز..

واندلعت الثورة فى شوارع القاهرة، واحتشدت الميادين بالأيدى التى تلوح؛ والحناجر التى تهتف.. واجتمع البرلمان المنحل رغم أنف الحكومة فى أماكن متفرقة، وكانت قرارات البرلمان الشرعى توزع فى منشورات سرية.. وأخذ النواب والشيوخ يذهبون إلى ساحة عابدين على رأس وفود من أقاليمهم رافعين الصوت. طالبين إعادة الدستور.. وقابلت الحكومة هذه الحركة بأعنف العنف.. فكان الضابط «محمد حيدر» يصول على جواده فى عابدين، وينقض بجنوده على النواب والشيوخ والأعيان والشعب كله بالضرب المبرح؛ قبل أن يبلغوا أسوار القصر.. الذى تدبر فيه الجريمة. وكانت الصحف تعطل بالعشرات.. وقد كان من نصيب «روز اليوسف» أن عطلت أربعة شهور.. وطار ويصا واصف ومكرم عبيد وصبرى أبو علم إلى أوروبا، يستصدرون من المؤتمر البرلمانى الدولى قرارا بعدم شرعية الحكم الاستبدادى فى مصر..

وعاد محمد محمود بمشروع معاهدة... وأعلن الشعب إنه لن ينظرها إلا تحت قبة برلمان حر.. وتحرك الانجليز ثانية يأمرون الملك فؤاد باعادة الحياة الدستورية.. وتحرك الملك فؤاد لتنفيذ الأوامر.. بسرعة!

ولكن البرلمان الجديد لم يدم أكثر من شهور.. فقد رفض الشعب مشروع المعاهدة.. ورفض الاقرار بشرعية الاحتلال الانجليزى فى مصر... ومرة ثانية اتحدت مصلحة الانجليز والملك وبعض الأذناب فى القضاء على الحياة الدستورية.. فكلف فؤاد صدقى باشا بتشكيل الوزارة فى يونيو ١٩٣٠ .. ليبدأ تجربة ثالثة..

وكانت محاولة صدقى أشد قسوة وفجورا من سابقاتها، إذ طلب منه إلغاء الدستور كله، لا إيقافه ولا تعطيله، وكانت مقاومة الشعب للمحاولة الاجرامية أيضاً أكثر بسالة وقوة.

فهذه المنصورة يسقط فيها سبعة من القتلى، و ١٤٥ من الجرحى، وطنطا يسقط فيها ٧٤، والاسكندرية يزيد قتلاها على العشرين وجرحاها على خمسمائة.. والاسماعيلية والسويس وبور سعيد وبنى سويف وسائر بلاد القطر يخضب شوارعها الدم..

والعمد والمشايخ يستقيلون فتتفكك أداة الحكم، وعمال العنابر فى بولاق يقتلون ويدفنون فى عنابرهم، بين زملائهم، والمحاولات لاغتيال صدقى وأعوانه تتوالى، والارهاب يمتد الى صميم الريف.. حيث ينكل البوليس وجنود الهجانة بزعماء المقاومة فيقتل ماشيتهم ويجلد فلاحيهم ويحبس الماء عن زرعهم ويشعل النار فى أجرانهم.. كان هذا الخراب يحل بكل من يرفض اعلان ا الولاء لحزب الشعب.. أو بالاحرى لحزب القصر! وقد بلغ عدد القتلى فى شهر يونيو ١٩٣١ فقط اكثر من مائة قتيل والجرحى ١٧٥ .. وفقا لاحصاء الحكومة! وحكمت محكمة النقض برئاسة عبد العزيز باشا فهمى بأن تصرفات الحكومة كانت «اجراما فى اجرام» وأن رجالها لجأوا فى قمع المقاومة الى «هتاك الاعراض وغيره من أشد المخازى اثارة للنفوس!»..

وحين اضطر صدقى الى الاستقالة، تحت ضغط هذه الدماء الجارية، لم ينس الملك فؤاد أن يعبر عن تقديره لرجله الذى أذل له الشعب، فكتب يقول له فى كتاب قبول الاستقالة «وإنا لشاكرون لدولتكم، ولحضرات زملائكم الوزراء ما قدمتم للبلاد من اعمال مجيدة وخدمات جليلة!!»

.. وعاد الدستور.. الى أن عطل أخيرا للمرة الرابعة.

وكان فاروق قد أنفق سنوات حكمه قبل ذلك يعتدى على الدستور، ويتلاعب به، وينتهك حدوده دون أن يضطر الى ايقافه صراحة، حتى اختفت مسئولية الوزارات تقريبا وأصبح الملك يملك ويحكم فى كل كبيرة وصغيرة..

واستطاع بذلك أن يحقق كل أغراضه من الاستبداد بالناس، وانتهاب الثروات، وحمايه المجرمين من خلصائه.. وكان السخط الشعبى على هذه التصرفات يتزايد مع ارتفاع موجة الشعور الوطنى.. وألغيت معاهدة ١٩٣٦،

وانطلقت الصحافة التى حصلت على حريتها تحارب الانجليز والقصر معا.. وانطلق الفدائيون يزلزلون قواعد الانجليز فى القنال.. وكان لابد للانجليز والقصر من ضربة حاسمة يردون بها هذه الوجة .. وقد أيقن الإنجليز أن فاروقا هو عميلهم الأول فى مصر، وأيقن فاروق أن الانجليز هم حرسه الحقيقى.. فكان أن عين حافظ عفيفى رئيسا للديوان، وإلياس اندراوس مستشارا اقتصاديا وعبد الفتاح عمرر مستشارا للشئون الخارجية، واعلنت الاحكام العرفيةو انفتحت ابواب المعتقلات للكتاب والاحرار والفدائيين..

ولكن على ماهر الذى جاء رئيسا للوزارة رفض أن يحل البرلمان ويعطل الدستور فأخرج بمؤامرة من الحكم..

وكان التناقض بين مصلحة الشعب ومصلحة الملك هذه المرة عنيفا حاسما.. وأصبح الاحساس عميقا بأنه من المستحيل أن يعيش الاثنان بعد اليوم جنبا الى جنب.. فاما أن يذهب الدستور، وإما أن يذهب الملك..

وذهب الملك!

باختصار شديد أصبح مايكتبه الشاب اللامع المقتدر «أحمد بهاء الدين» على صفحات «روز اليوسف» محل تقدير وحفاوة القارئ والمثقف سواء فى مصر أو العالم العالم العربى.

ولم يكن هناك أحد يتصور أن كاتب هذه المقالات الشديدة التعقل والبالغة الرصانه مجرد شاب كان عمره وقتها حوالى خمسة وعشرين عاماً!!

ثم جاءت المحطة المهمة الثانية لأحمد بهاء الدين مع الكتب، عندما طلب منه الكاتب الكبير «احسان عبدالقدوس» رئيس تحرير روز اليوسف أن يكتب كتابا عن سقوط الملكية، وعن هذه التجربة قال «بهاء» فيما بعد:

امتلات السوق بكتب عن العهد الملكى، إنما كلها عن الفضائح والخمر والقهر وكذا وكذا.. وأنا أيضا كنت مستفزاً جداً أن تكون دى هى القضيه . طبعا هذه الاشياء مرفوضة لكن تحويل القضية السياسية الأساسية إلى مادة وكأنها

فضيحة فى هوليود أو أشياء من هذا القبيل اعتبرت أن ده نوع من التضليل، تضليل المواطن. لأن مش دى القضية!! فإحسان قال لى اكتب عن «فاروق» (الملك) بشرط أن يتم فى شهر قلت له: بس أنا هكتب كتاب سياسى، وفى أربع أسابيع سلمت له كتاب «فاروق ملكا» وأظن وقتها عمل أرقام توزيع بمقاييس هذا الوقت تعتبر هائلة. وكتب إحسان مقدمة لهذا الكتاب!

وفى ٢٥ أغسطس ١٩٥٢ ظهر إعلان شغل مساحة نصف صفحة بالطول فى روز اليوسف، يقول:

الكتاب الذى تنظره مصر

احسان عبدالقدوس يقدم

فاروق ملكا ١٩٣٦ - ١٩٥٢

بقلم أحمد بهاء الدين

يصدر عن دار روز اليوسف.

ونفد الكتاب تماما، وأصبح مرجعاً مهمًا وأساسياً فى مئات الكتب التاريخية والسياسية التى صدرت بعد ذلك، كما اعتبره اساتذة التاريخ أحد الوثائق المهمة التى لاغنى عنها للباحث التاريخى:

ونفد الكتاب تماما من الاسواق.

وبعد ٤٧ عامًا على صدوره «يتحمس د. سمير سرحان» لإصدار طبعة جديدة منه، باقتراح أن يصاحب الكتاب الأصلى مقدمة تكون بمثابة إضاءة لعالم أحمد بهاء الدين الصحفى قبل أن يصبح ذلك الكاتب الكبير والمفكر النابه.

فكانت هذه المقدمة - التى طالت قليلا - والآن اتركك مع تحفة أحمد بهاء الدين الرائعة.

رشاد كامل

أغسطس ١٩٩٩

الهزيمة الأولى

فى الساعة الرابعة من صباح يوم ٢٤ يوليو ، دق جرس التليفون فى منزلى، وسمعت احد اصدقائى الضباط ، يقول فى لهجة حاسمة :

ـ لقد احتللنا القاهرة ..

وابتسمت وانا فى طريقى الى مركز القيادة ..

ابتسمت لانى تذكرت ، انه منـذ يومين فقط ، اى فى يوم الاحد ٢١ يوليو كنت فى الاسكندرية ، وكانت وزارة حسين سرى تعـانى النزع الاخير بسبب الازمة التى كان يثيرها الجيش فى ذلك الوقت .. واتصلت يومها ببعض رجال حاشية فاروق ، وحاولت ان اقنعهم بأن الازمة يجب ان تحل بما يحقق مطالب محمد نجيب ، الذى كان معـروفا أنه على راس الضباط الثـائرين .. وكنت أحاول ان أقنعهم ، واحاول ان أحذرهم .. ولـكنهم لم يقتنعوا ، ولم يخافوا التحذير .. واتهمونى بالمبالغة .. وقال قائلهم : أتظن ان ستة ضباط يطبعون المنشورات ، ويسمون أنفسهم بالضبـاط الاحرار .. يسـتطيعون ان يفعلوا شيئا .. دول عايزين واحد شديد يلبسهم طرح !!

ثم بدأوا يحاولون ـ كما حاولوا كثيرا ـ أن « يصلحونى مع السراى » .. على حد تعبيرهم :

واجبت بما اعتـدت ان اجيبهم به ، بأنى لست مختلفـا مع السراى خلافا شخصيا ، ولكنى صـاحب رأى سياسى ، يتنـاقض مع رأى السراى .. ولن نصطلح سويا ، الا اذا تنازل احدنا عن رأيه .. وانا لست مستعدا للتنازل عن رأيى ، كما أنى أعتقد ان السراى ليست مستعدة للتنازل عن رأيها ، لان معنى ذلك انها تتنـازل عن نفوذها ، وعن سطوتهـا ، وعن رجالها ، وعن مصالحها الشخصية التى أصبحت مدار تصرفاتها !.

وتركتهم .. وانا اقرأ فى عيونهم ، رأيهم فى ، وهو رأى ينحصر فى انى شاب مغفل .. وانى سأتغير عندما تتقدم بى السن واجـد اننى لم اصل الى شىء ، ولم اجن شيئا من «تغفيلى» فالجأ الى حظيرتهم التمس النفع .. او على الاقل التمس الرضاء السامى !

وكانت ثقتهم بانى مغفل، وانى لا اسعى لنفع شخصى، وانى لا اخدم بمواقفى جهة معينة ، وانى لن اتحمل الفقر والضنك طويلا .. كان كل ذلك هو عذرى لديهم .. عذر جعلهم يغفلون عنى كثيرا .. ويعفوننى من مضاعفة الاضطهاد والظلم ، الذى كانوا يوقعونه بى !!

تركتهم .. وعدت الى القاهرة !

وكنت اعلم أن شيئا سيحدث . ولكنى لم أكن كبير الامل فى حدوثه ..

كانت الايام قد عودتني الا اتفاءل كثيرا . وكنت أكثر تشاؤما من ناحيـة الجيش .. فقد سبق أن اعددنا العدة لمثل هذه الحركة منذ سنوات ،عندما اثيرت قضية الاسلحة الفاسدة ، وكان الرأى العام كله وراء هـذه القضية ، وكنت أعتقد أن أى تدخل فيها سيثير الضباط ـ وكنـا نسميهم يومهـا الضباط الصغار ـ وكنت اجتمع ببعض منهم ونرتب ما يمكن حدوثه اذا ما غلبتنا قوى الشر ، وغلبت العدالة .

وقد حدث التدخل

وتمرمطت قضية الاسلحة الفاسدة .

ولم يتحرك الضباط الصغار .

وضاعت جميع التهـديدات القوية التى كنت أوجههـا الى السراى على صفحات « روز اليوسف » . حتى كنت اتفادى مقابلة رجال الحاشية كى لا التقى بنظرات الشماتة التي يوجهونها الى ..

ومنذ تخرجت فى كلية الحقوق عام ١٩٤٢ ، وانا احاول ان أشعل فى مصر نارا تطهرها من ادرانها واقذارها . وفى سبيـل ذلك اشتركت فى جميـع الحركات الشعبية التى مرت بمصر من ذلك الحين . وعملت مـع جميـع الهيئات ، بالقدر الذى استطعته .. أيدت الشيوعيين ولم اكن شـيوعيا ، وأيدت الاخوان ولم اكن من الاخوان ، وأيدت الوفديين ، ولم أكن وفـديا ، وأيدت هيئات مستقلة كثيرة لم اكن اؤمن بمبادئها،ولكن كنت اؤمن بمسعاها الى الثورة . حتى احتار الناس ، من اكون ، ولمن اعمل ؟! ولم اكن اعمل لاحد، ولم اكن شيئا ، الا طالبا للثورة . فقد آمنت بان الثورة يجب ان تسبق كل اصلاح ، واننا لن نستطيع ان نبنى الجديد الا اذا هدمنا القديم .

ـ وقد خاب مسعاى خلال عشر سنوات

لم ينجح تدبير اشتركت فيه ، ولم تنجح هيئـة من الهيئات التى اعتمدت عليها ..

ولذلك .. وحتى بعد أن رأيت القاهرة وقد احتلها الجيش ، وبعـد أن أصبحت فى مركز قيادة الثورة .. لم أكن متفائلا !!

واختليت بمحمد نجيب فى احدى حجرات القيادة،ومعنا بعض الضباط، وسألته :

ـ ماذا تريد ؟

قال :

ـ الدستور .. والاصلاح !

قلت :

ـ هذا كلام عام .. انى اسألك ، ماذا تريد فى هذه اللحظة ليتحقق فى هذه اللحظة !

قال :
ـ ماذا تعنى ؟
ـ قلت :
ـ ان لك مطالب .. من سيقوم على تنفيذ هذه المطالب .. هل ستتولى الحكم بنفسك ، أم ستعهد بمطالبك لوزارة الهلالى ، ام تريد وزارة جديدة !!
قال :
ـ انى لا اريد ان احكم .. الدستور لا يتيح لى ان احكم !
وكان يتكلم فى هدوء عجيب وهو يشد انفاسه من غليونه ، وكاد هدوءه أن يثيرنى .
كنت اتصور قائد الثورة فى مثل هذا اليوم ، صاخباعصبيا ، يلقى أوامره باستمرار ، وتلتف من حوله الجموع ليخطب فيها ويحركها
ولكن هذا الرجل كان هادئا ، وكأنه لم يفعل شيئا . وكأن عنقه ليست فى حبل المشنقة
ثم بدات استريح الى هذا الهدوء .. وبدات اعصابى تسكن . واصبحت كانى فى جلسة عائلية تبحث مشكلة طارئة !
وعدت اسال محمد نجيب :
ـ اذن من تريده ان يتولى الحكم !
قال :
ـ أظن من الاوفق ان ندعو البرلمان السابق ، باعتباره آخر حلقةمن حلقات الدستور ..
قلت :
ـ ان البرلمان السابق يحتاج الى تطهير ، ثم ان الحركة يجب الا تتهم بالحزبية والبرلمان السابق كان حزبيا !
قال فى هدوئه العجيب :
ـ هذا صحيح .. ولكن الهلالى ايضا يصطبغ بصبغة حزبية ..
قلت :
ـ بلاش الهلالى ..
قال :
ـ من ترشح ؟
ومرت بى ثلاث دقائق استعرضت فيها جميع الاسماء والوجوه .. اسماء ووجوه الشبان والشيوخ.. فلم اجد احدا يصلح ـ فى اعتقادى ـ للموقف.. بكل اسف !!
وعاد محمد نجيب يقول :
ـ ما رايك فى بهى الدين بركات .. انه رجل محايد !

قلت بصراحة :
ــ انه أضعف من الموقف !
قال :
ــ علي ماهر !؟
وصرخت فرحا :
ــ انه رجل كل أزمة .. اعتقد انه يصلح
وقال محمد نجيب :
ــ والضباط يعتقدون ذلك ايضا !!
ونظرت الى محمد نجيب فى عينيه الهادئتين المبتسمتين دائمـا ، وتساءلت بيني وبين نفسي : هل كان يريد علي ماهر من مبـدأ الامر .. وكل ما هنالك انه أراد أن يقف على رايى ، قبل ان يقول رايه !!
من يدرى !
وعاد محمد نجيب يقول :
ــ ولكن ، هل يقبل على ماهر ؟
قلت :
ــ نساله .. ولكن هل يقبل الملك ؟!
وانطلق صوت من جانبى يقول :
ــ الملك مالوش دعوه .. لماذا لانعزل الملك ؟
وصمت برهة .. وتساءلت : نعم .. لماذا لانعزل الملك ؟

وعرفت لأول مرة الهدف البعيد لحركة الجيش .. الهدف الذى فكرنا فيه مرارا ، ولم نحاول تنفيـذه ابدا ، الا فى مرة واحـدة ، اجتمع فيها فريق من الضباط فى منزلى ، وقرروا اغتيـال الملك .. وعارضت الفكرة ، لان اغتيـال الملك فى ذلك الوقت لم يكن يؤدى الى شيء .. ولان الانجليز كانوا يستطيعون يومها ، ان يضعوا الامير محمد على فى مكانه !!

وغير اللواء محمد نجيب ، مجرى الحديث بسرعة ، قائلا لى :
ــ تولى أنت سؤال على ماهر .. هل يقبل تولى الوزارة أم لا ؟
قلت :
ــ سأدعوه الى هنا لمقابلتك .
ــ يبقى عال .

وتركنى محمد نجيب ، وذهب الى حجرة أخرى ليجتمع بالاستاذ مصطفى الصادق ، عم الملكة ناريمان ، الذى تطوع يومها ليكون رسول سلام بين الجيش والملك .

وكان مصطفى الصـادق يحمل الى محمد نجيب فى كل عشر دقائق عرضا جديدا ..

عرض عليه ان يجيب الملك جميع مطالب الجيش ، بشرط ان يتوجه بها محمد نجيب الى الملك ملتمسا ـ كتابته ـ ان يتعطف جلالة الملك ويوليها اهتمامه ..

ورفض محمد نجيب ذكر اسم الملك في بيان الجيش ..

وعاد مصطفى الصادق يقول ان الملك قبل مطالب الجيش ، دون ذكر اسمه في البيان ..

ورفض محمد نجيب ان يجيب الملك مطالب الجيش الا بعد ان تتغير الوزارة ..

وجاء مصطفى الصادق يقول، ان الملك يرجو أن تمنحوه فرصة للتفاهم على ما تريدون ..

واجاب محمد نجيب : اننا عند موقفنا .. وسنتفاهم في حدود الاجراءات العسكرية التي اتخذناها ..

... الخ !

ولكي تبدو الجراة العنيفة التي كان محمد نجيب يتولى بها ادارة الحركة ، يكفي ان أؤكد ان فرق الجيش المرابطة في الاسكندرية لم يكن قد تحدد موقفها بعد .. وانه كان من المحتمل جدا ـ في هذه الساعة المبكرة من الصباح ـ الا تنضم للحركة ..

وتركت محمد نجيب ، وبدات أبحث عن على ماهر ..

واتصلت بخمس نمر تليفونية خاصة بعلى ماهر ، فلم أعثر عليه ..

واتصلت برئيس حركة التليفونات ، وطلبت منه باسم القيادة العامة ، ان يصلني بالقصر الاخضر .. فأوصلني به مباشرة ، ولم أجد فيه على ماهر ..

واخيرا اتصلت بالاستاذ ابراهيم عبد الوهاب ،وابلغته في اختصار خطورة الحالة ، وطلبت منه أن يسرع الى بيت على ماهر ، ويطلبني من هناك في تليفون القيادة العامة .

وذهب ابراهيم عبد الوهاب فعلا الى بيت على ماهر ..

ولكن مرت نصف ساعة ولم يتصل بي ..

واتصلت مرة ثانية بحرم الاستاذ ابراهيم عبد الوهاب ، واستطعت ان احصل منها على رقم التلفون الذى استطيع ان احادث فيه على ماهر ..

ورد على ماهر اخيرا ..

ولم اقل له من انا ..

انما قلت : هنا القيادةالعامة.. اللواء محمد نجيب يريد من رفعتك ان تأتى الى القيادة لامر هام .. فاذا وافقت فسنرسل لك حراسة تصحبك الى هنا.

وسكت على ماهر قليلا ، ثم قال :

ـ الباشا في الحمام .. استنى شويه لما نبلغه !!

وغاب رفعته قليلا ، ثم عاد يقول ، وبنفس الصوت :
ـ انا على ماهر .. انى لا استطيع ان احضر الى القيادة قبل ان افهم الموضوع .. أرسلوا لى مندوبين عنكم لاتفاهم معهم ..
قلت :
ـ سيصلك المندوب بعد دقائق ..
وحيلة « الباشا فى الحمام » حيلة قديمةعرف بها على ماهر، حتى اشتهرت عنه ، واصبحنا ـ نحن الصحفيون ـ نتحملها صابرين .. وكاننا مغفلين ! !
واخذت معى اثنين من ضباط القيادة ، وركبنا سيارة احدهما ، وتبعتنا سيارة جيب تحمل جنودا مسلحين بالتومى جن ، لحراستنا ..
وفى الطريق اتفقت مع صديقى ، على الا نتكلم مع على ماهر بشان الملك ، او مصيره ، او ان الحركة موجهة ضده مباشرة، انما نكتفى بالحديث عن الفساد والتطهير ، والاصلاح ..
كنت اخاف ان يعارض على ماهر فى عزل الملك ، او يتراجع عندما يقف على الهدف البعيد للحركة ..
واستقبلنا على ماهر فى الدور العلوى من داره فى الجيزة ..
وبدأ الكلام احد الضباط ..
وتحمس فى عرض اهداف حركة الجيش ، حتى بدأ يتحدث عن مصير الملك ، فمددت قدمى وضغطت بها على حذائه من تحت المائدة ، حتى يخفف من حماسته ..
ثم رجوت على ماهر بان يسمح لى ان اشرح له الموضوع ، بوصفى رسولا للواء محمد نجيب ..
ولم اقل له ان الجيش يريدك رئيسا للوزارة ..
ولكن قلت ان الجيش يريدك ان تكون مستشارة ..
ثم بدات أعرض مطالب الجيش الخاصة بالتطهير وبالدستور ، وفهم على ماهر أن معنى استشارته هو ان يكون رئيسا للوزارة ..
وفى هذه الاثناء دخل الاستاذ حسن ماهر ، وقال ان الاستاذ ادجار جلاد موجود فى غرفة اخرى ويريد ان ينضم الى اجتماعنا ..
ونظر على ماهر الينا ..
فاجاب الضباط : لا .. لن نتكلم اذا جلس معنا ادجار جلاد ..
وقال على ماهر ، ان ادجار جلاد موجود معه من الصباح ، وانه يتولى الاتصال بالسراى فى الاسكندرية ..
وعدنا الى حديثنا ..
وقال على ماهر انه يقبل ان يتقيد بالمبادىء الدستورية ، ومبادىء التطهير التى قررها الجيش ، ولكن لن يستطيع الان ان يتقيد بأية تفصيل !!

وابلغناه ان القيـادة فى انتظار حضور الاسـتاذ مرتضى المراغى مندوبا عن الوزارة ..

فقـال على ماهر انه يفضل ان ينتظر حتى تنتهى مقـابلة مرتضى المراغى ، واللواء محمد نجيب ، ثم بعدها يحدد موقفه ..

ثم قال :

ــ اننى لن أستطيع ان اتخذ اى خطوة الا بعد ان يكلفنى الملك باتخاذها .. واسمحوا لى ان أصرح لكم بانى سابلغ الحديث الذى دار بينى وبينكم للسراى فى الاسكندرية حالا ، وسيقوم جلاد (باشا) بتبليغه ..

قلت :

ــ أرجو ان تترك مهمة تبليغ هذا الحديث لنا ..

قال :

ــ لا .. ان واجب الامانة يدعونى انابلغه ، وأن أصارحكم بانى سابلغه .. وقمنا بالانصراف ..

وعند باب المصعد ، انتحى بى على ماهر ، وسـألنى عن اسمى الضـابطين اللذين كانا معنا ..

وقلت له الاسماء كاملة ..

وعدنا الى محمد نجيب ، وابلغته رأى على ماهر ، وقلت له انه قبل تشكيل الوزارة ، اذا عهد اليه الملك بتشكيلها ..

وقال محمد نجيب :

ــ عال .. ولقد ابلغت فريد زعلوك الذى كان يخاطبنى من الاسكندريةالآن بان الجيش يريد على ماهر ..

وقد أدلى محمد نجيب بعد ذلك بحديث لوكالات الانباء قال فيه انالجيش يريد على ماهر رئيسا للوزارة .

واتصلت بعلى ماهر ، وابلغته هذه الانباء ..

وبقيت القيـادة فى انتظار وصول الاستاذ مرتضى المراغى .. ثم ابلغت بوصوله الى المطار فأرسلت القيادة سيارات حربيـة لحراسته حتى مقر القيادة ، ولكن مرتضى لم يكن فى المطار ، وقيل انه فى وزارة الداخلية ، فأرسلت سيارات الحراسة الى هناك ، ولكن مرتضى لم يكن هناك أيضا ..

كان من المؤكد ان مرتضى وصل الى القاهرة ..

ولكن اين هو ؟ ..

لقد بقى ضباط الحراسة فى انتظاره بمكتب مدير الامن العام ما يقرب من ساعة ، ولكنه لم يظهر ،ولم يستطع مدير الامن العام ان يقول اين هو ، فغضب الضباط ، وعادوا الى مركز القيادة ..

وفي هـذه الاثناء ـ واحب ان اتكلم بصراحة ـ بدأت اعصابي تخونني ..
لقد توهمت ان شيئا يدبر للحركة في الخفاء ..
وتوقفت الاحداث ، توقفا مريبا زاد من شكوكي .. فالاسكندرية لم تعد تتصل بنا ، ومرتضى المراغي لم يظهر بعد ، والمندوبين بين الجيش والسراي قد كفوا عن نشاطهم ..
لابد أنهم يتخذوا تدبيرا ما .. ولابد انه تدبير خطير !
وكنت قد اتصلت بمكتب « روز اليوسف » في الاسكندرية ، فأبلغوني ان نجيب الهلالي قد صرح لوزرائه ، بانني مشترك في حركة الجيش وانني ذهبت الى على ماهر اطلب منه تشكيل الوزارة .. الى آخر القصة التى لم يكن قد انقضى على حدوثها ساعات .
واحسست بحبل المشنقة حول عنقي ..
وكنت التفت الى الطائرات التى تحلق في السماء ، خشية ان تكون طائرات انجليزية ارسلها الملك فاروق للسيطرة على القاهرة والقبض علينا .. رغم أن الانجليز والامريكان اكدوا في الصباح الباكر انهم لن يتدخلوا مادامت أرواح الاجانب في سلام ، ومادامت الحركة ليست موجهة الى القوات البريطانية في القنال ..
وكان كل من في القيادة يحس بما احس به .. يحس بحبل المشنقة .. ويحس ان حياته ـ وربما حياة عائلته ـ معلقة بنجاح الحركة ، ولكنني كنت الوحيد فيهم الذى أتكلم عن شكوكي ومخاوفي .. أما هم فكانوا في برودة الثلج حتى ان محمد نجيب وجد في اعصابه القدرة ليقابل على ايوب مدى ساعة ونصف ليتذاكر معه ذكريات الصداقة ..
وفلتت أعصابي مني في اللحظات الاخيرة ..
وطلبت من أحد الضباط ان يقطع حديث محمد نجيب وعلى ايوب ، ويدعوه لقى اليه بمخاوفي ..
وجاء محمد نجيب هادئا ، ثابتا ، ينفث دخان غليونه .. وكان الدنيا كلها من حوله أمان ..
قلت له :
ـ ان هذا الصمت الذى يحيط بنا لايريحني .. لابد انهم يدبرون شيئا !!
قال :
ـ وماذا تقترح ؟
قلت :
ـ أي شيء .. لتتحرك الجيوش .. لنسبقهم الى عمل شيء .. أي شيء . أنت ادرى .. أنت القائد !
وقال صوت بجانب محمد نجيب :

ـ كل شيء اعدت له عدته .. اطمئن !
وتركنا محمد نجيب وعاد الى حديثه الممتع مع على ايوب !
وفى الساعة الثالثة بعد الظهر ، دق جرس التليفون فى احدى حجرات القيادة ، وقال المتكلم :
ـ لقد استقالت وزارة الهلالى ، وعهد الملك الى على ماهر بتشكيل الوزارة وعادت الحياة تنشط من جديد بين الحجرات ..
ولم اشترك فى هذا النشاط ..
ركبت سيارتى ، وعدت الى بيتى ، لارى السيدة الكريمة التى انخلع قلبها على ، خلال هذه الساعات الطوال ..
وارتميت على سريرى لانام ، ولا ادرى كم نمت ، فقد كنت كمن قضى عشر سنوات واقفا على اعصابه ، وآن له ان يستريح ..
وفى المساء عدت الى على ماهر فى منزله ، وتناولت معه طعام العشاء برفقة فريق من وزرائه ، ثم اختليت به بعد العشاء ، لاروى له قصة الازمة كاملة ، ثم قلت :
ـ ان مطالب الجيش ابعد مما تصور !!
قال :
ـ ماذا يطلبون مثلا :
ولم اقل شيئا عن الملك ، بل قلت :
ـ انهم يطلبون الغاء البوليس السياسى مثلا ..
واجاب :
ـ خسارة .. دى اداة نافعة جدا ..
وقلت :
ـ ان طلباتهم من هذا النوع كثيرة .. وارجو ان تختار وزراءك من الشبان المعروفين بكفاءتهم ، وقوة وطنيتهم ، حتى يساعدوك على تلقى هذه المطالب
واستدركت قائلا :
ـ انى كاتب عبرت دائما عن افكار ضباط هذه الحركة .. وساظل دائما كاتبا ، ولا اريد الا ان اكون كاتبا .. ولذلك فانى استطيع ان ارى اكثر مما يراه غيرى .
وقلت هذا لانفى اشاعة ذاعت يومها ، عن انى مرشح للوزارة .. وخفت ان تكون هذه الاشاعة قد طرات على ذهن على ماهر ، وانا انصحه بان يختار وزرائه من الشبان الوطنيين ..
وتركت على ماهر ..
ولم يقتنع معاليه ـ يومها ـ بمبدا الاستعانة بوزراء شبان وطنيين
خرجت من عنده ، وكل ما فى راسى ان الملك قد هزم فى الموقعة الاولى ..

وكانت الهزيمة الثانية للملك فى اليوم التـالى ، عندما قبل مطالب الجيش كاملة رغم تطرفها ..

وكانت هزيمته الاخيرة يوم وقع وثيقة التنازل فى اليوم الثالث ..

ولكن لماذا تقرر التخلص من الملك ..

ولماذا هزم بهذه السهولة ..

هذا هو ما سجله هذا الكتاب ..

انه كتاب لم يسجل تصرفات الملك الشخصية الخليعة ، ولا نزواته الشاذة الفاضحة ، ولكنه سجل ما هو اهم ..

سجل مصيبة مصر بهذا الملك ..

احسان عبد القدوس

مقـــدمة

« ... وكان وراءهم ملك ، يأخذ كل سفينة غصبا ! »

« قرآن كريم »



ايها القارىء !

ليس هذا الكتاب الذى نقدمه لك عن الملك السابق فاروق الا بداية .
فلا شك ان فاروقا سينال من المؤرخين فى السنوات الاتية عناية كبيرة .
ولا شك ان كتبا كثيرة سوف تصدر متناولة كل ناحية من ماساته ، ومأساة شعبه معه . بل ان كتبا كثيرة سوف توضع عن كل فرد من افراد حاشيته التى صنعت مصير سيدها ، ودور كل واحد فيهم .. من احمد حسنين الى كريم ثابت والياس اندراوس وانطون بوللى وناهد رشاد !

اما الضرورة التى دعت الى الاسراع فى اصدار هذا الكتاب ، ولما يمضى على خلع الملك السابق شهر ، فواضحه .. ففى هذا الخضم الهائل من القصص والروايات ، والحقائق والاكاذيب ، والكلام المغرض والكلام البرىء .. شعر الناس ولا شك بالحاجة الى كلمة حق واضحة ، كاملة ، لا تجهض فى خبر أو مقال .

نعم ... فان الاكاذيب التى نشرت كثيرة

واكثر منها الحقائق التى رويت بطريقة معينة ، يراد بها الباطل !

وقد قرانا الكتاب الكبار يتبارون فى تفسير المأساة .. فيقول واحد أن فاروقا مجنون . ويقول آخر انه كان يعانى من نقص جسدى او عقدة نفسية .. ويقول ثالث أن ظروفه العائلية هى التى أدت به الى هذه النهاية

فاعلم أيها القارىء أن هذا الكلام ــ برغم ما فيه من جوانب الصحة ــ ليس الا دفاعا عن الملك السابق ! كما يدافع المحامى عن موكله القاتل بأنه مجنون ، لينقذ عنقه من حبل المشنقة ...

فالذى أطاح بالملك السابق ليس مجرد جنونه وحماقته وعقده النفسية . انما اطاح به أنه حاكم مستبد . ونحن اليوم فى حاجة لا الى أن نكره شخص فاروق فحسب، بل وان نكره ايضا الاوضاع التى صنعت فاروقا ، واتاحت له أن يكون مستبدا ... وهى أوضاع يمكن أن تصنع مستبدين آخرين غير فاروق ، وأسوأ من فاروق .

وأنت ــ أيها القارىء ــ تفهم ما أريد !...

فلو كان فاروق مجنونا وطائشا وزير نساء ، ولكنه كان ملتزما قواعد الدستور ، لما طار من على عرشه ، فى هذا الوقت على الاقل . لان جنونه وفساده كانا سيبقيان فى هذه الحالة وقفا عليه فى حياته الخاصة ... ولن يضير الناس أن يحطم اثاث قصره ، ويقذف الاكواب فى وجوه أصحابه وأهله . فهذا شىء يخصه ويخصهم . ولكن الذى أطاح به انه كان يحطم الوزارات ، ويدوس القوانين ، ويقذف بالاقذار فى وجه الشعب ، ويتدخل بحماقته وجنونه فى شئون الحكم والجيش والقضاء .

والمجنون لا خطر منه على الاطلاق اذا قيد وربط ووضع فى حجرة مغلقة

او فى مستشفى المجاذيب .. لكنه يصبح خطرا اذا اطلق على الناس واتيح له أن يصنع بهم ما يشاء

والدستور هو القيد الذى كان يجب أن يقيد به الملك السابق والقفص الذى كان يجب ان يوضع فيه... ولكننا أطلقناه من قيد الدستور ،وعلمناه ان كل شيء رهن اشارته ... فطغى وبغى وفسق وهتك ، وقال الناس أنه مجنون !

والقول بأنه مجنون فحسب ، ان كان يفسر مأساته هو فانه لا يفسر مأساتنا نحن ... وان لم يكن هذا دفاعا عنه ... فهو على الاقل دفاع عن الاستبداد ... ومحاولة لاقناع الناس بان فاروقا كان مستبدا مجنونا ... لتهيئة أذهانهم لقبول أسطورة المستبد العاقل .

والمستبد العاقل والمستبد المجنون .. كلاهما مستبد ! بل أن المستبد المجنون خطبه أهون وأيسر ، لان استبداده اقصر

وهل كان قياصرة الروس وملوك الفرنسيين كلهم مجانين . لان شعوبهم كرهتهم ولطخت تاريخهم ثم عزلتهم ؟. كلا ، ولكنهم كانوا جميعا مستبدين . لا يعرفون الا حقوقهم وسيادتهم وان الناس كلهم خدم لهم

وما الذى يمنع الناس فى المجتمع من أن يكونوا لصوصا وقتلة ومجرمين ؟ انها القوانين الموضوعة والقيود الاجتماعية التى تجعل السرقة والغصب والانتهاك أشياء محرمة علينا .

والدستور هو القانون الذى يحدد مكان الملك ، وينظم قيوده .

واسأل علماء التربية يقولون لك : ان الطفل الذى يعلمه أهله من صغره الاداب المرعية والقيود الاجتماعية ، ويلقنونه مايجوز له وما لا يجوز ، ينشأ طفلا عاقلا مهذبا ناجحا .. وان الطفل الذى يدلله اهله تدليلا جاهلا ، فيتركونه يصنع ما يشاء ، ويحصل على كل شيء .. يصفع أباه فيضحك له، ويبصق على الجيران فيشجع ، ويكسر الاثاث الثمين فيقال له فداك !. هذا الطفل يصبح حين يكبر ولدا عاقا شرسا عنيدا ، سرعان ما تنمو فى صدره الرذائل ، وتزداد فى طبعه الشراسة كلما اصطدم بشيء لا يجوز له وهو الذى تعود أن كل شيء مباح ... حتى يصبح آخر الامر مجرما عاتيا ، أو طريدا من طريدى المجتمع !.

وهذا هو ما فعلوه بالملك السابق تماما .. اذحرروه من كل قيد أو دستور أو قانون .. واقنعوه أنه صاحب الارادة الاولى ، والكلمة العليا .. الذى لا يخطىء .. فأصبح وحشا ضاريا .. ككل مستبد سبقه فى التاريخ .

ألم يكن يقذف الماء فى وجه كريم ثابت تعبيرا عن رضاه السامى ؟.

ألم يكن يقتل ويحرض على القتل ؟

ألم يكن يغتصب الاموال والاعراض ؟

ألم يكن ينهر رؤساء الوزارات الكبار ؟
لماذا ؟...
لانه كان يعرف ان رئيس الوزارة لو غضب لكرامته ومضى فسوف يجد بدلا منه عشرة رؤساء وزارات ولانه كان يعرف انه سيجد الفقهاء والاساتذة الذين يثبتون للناس ان تصرفاته دستورية وأعماله سليمة ...
فالبداية الحقيقية فى مأساة فاروق : أنه لم يلتزم الدستور !. أما جنونه وطيشه وفسقه فكلها نتائج لهذا التحلل من كل قيد .
وعلى ضوء هذه البداية نستطيع ان نحدد المسئولين ... انهم كل من فرطوا فى الدستور ، وزينوا له ان يخرقه ، وافتوا له بأن سلوكه صواب ، وزعموا للناس بأن جنونه فى مصلحة الوطن ... وكل من احاط به صديقا أو ناصحا أو امينا ...
أما ما تقرأه — أيها القارىء — الان من أن ناهد رشاد كانت تريد ترك الحاشية ، وان حسن يوسف كان يعارض تصرفات الملك ، وأن حافظ عفيفى كان لا يؤخذ برأيه ، وأن اندراوس طالما نصحه فلم ينتصح .. فلا تصدقه .. لانه كذب صريح
فما الذى منع كل واحد من هؤلاء السادة أن يقول : لا .. ويمضى ؟.
انهم اما كانوا يوافقون على تصرفاته عن اقتناع ، واما كانوا يسايرونها لمنفعة ... وكلا الموقفين جريمة !
وكل ما تنشره الصحف دفاعا عنهم انما يراد به اعطاء هؤلاء الناس فرصة اخرى لارتكاب جرائم جديدة !.
وبعد ...
فهذه هى الحقائق الكبيرة التى يريد هذا الكتاب السريع أن يثبتها ... وأن يسجلها فى ذاكرتك — أيها القارىء — بأحرف من نار ...
لكى لا تنسى !

فصل واحد .. سعيد !

ان الانسان لا يعرف اهو شـقى
ام سعيد حتى ينزل الى القبر !
ارسطو

٦ مايو ١٩٣٦

وعلى رصيف قصر رأس التين ، نزل الملك فاروق قادما من انجلترا ليجلس على العرش . ورآه الناس يافعا فى السادسة عشرة من عمره نحيفا ، طويلا، يعلو وجهه الوديع مزيج من البشاشة والحزن . وعلى الرصيف وقف رجال القصر القدامى يستقبلون سيدهم الجديد .. وعلى رأسهم رجل قصير القامة ، قد استبد به التأثر .. ولكنه ظل كما عرفه الناس .. بالجرأة التى تلمع فى عينيه ، والعزم المتجمد فى ذقنه ، والمزاج العصبى المرتعش فى أنفه الكبير .. ذلك كبير وزراء الملك الجديد ، والرجل الذى سيصبح رائده الاول فى السياسة المصرية : على ماهر !

وخارج اسوار القصر كان الناس يهتفون بجنون .. ولم تنقطع الهتافات طيلة رحلة الملك الى القاهرة .. وقد وقف الملك الجديد فى احدى نوافذ القطار يحيى المواكب التى لا تنقطع ، وتترقرق الدموع فى عينيه وهو يرى رعاياه بثيابهم المهلهلة وايديهم الخشنة .. يتعلقون بقطاره الابيض،متعرضين لخطر الموت ، من أجل نظرة يخطفونها الى طلعته .. وكبير وزرائه خلفه يحدق فيه ، بحدب الرجل على ابن صاحب له مات .. وتكرر المشهد فى القاهرة ، حتى دخل الى هذه القاعة الكبيرة ، واستوى على العرش

وكانت كل الاسباب تدعو هذه الملايين الطيبة الى فرحتها الطاغية

فمنذ قليل عاد الى الناس دستورهم بعد معركة قاسية مع الملك فؤاد .. وقد أجريت الانتخابات حرة هادئة معبرة عن ارادة الشعب والمفاوضات مع انجلترا تلوح عليها هذه المرة علامات التوفيق ، كما يؤكد لهم الزعماء !.. والطيبة الساذجة فى قلوب المصريين تعطفهم على هذا اليافع الذى فقد أباه فى غربته ، وجاء من بلاد بعيدة ليجلس على عرش اجداده ..كحكايات الامهات الطيبات . والقصص التى تنشرها الصحف عن الملك الجديد لا تدع فى نفوس الناس مجالا للشك فى أنهم مقبلون على عهد جديد

فهذا هو رائده أحمد حسنين ، ينثر على مندوبى الصحف جعبة مليئة بالقصص عن ديمقراطية فاروق ــ قصص سنعلم نبأها بعد حين ــ وهذا هو فاروق ــ بالاتفاق مع الملكة والدته ــ يطهر القصر من حاشية فؤاد : فالابراشى ناظر الخاصة العتيد يستقيل .. والسيدة التى عرفت باسم « الخازندارة » والتى كانت صاحبة الكلمة النافذة فى القصر والمكانة الاولى عند رب القصر .. والتى تعدى نفوذها حياة فؤاد الخاصة الى كتابة التقارير . هذه « الخازندارة » تطرد من القصر على أن لا تعود .. وتطرد معها الجارية الشهيرة « فردوس » واربع جوار اخريات من قولة ، وبعض السفرجية ، ورئيس الخدم الذى كان يدعى « احمد الكردى » .. وكلها اسماء كان الناس يلوكونها .. ساخطين ، خائفين !

واقبل المصريون الذين نشأوا على تأليه السادة يلتهمون ماتنشره الصحف عن ذكاء فاروق ، ورقة قلبه ، وسرعة خاطره ، وسعة اطلاعه ، وتخصصه فى الاثار القديمة . ومدرسوه القدامى يؤكدون ذلك كله فى أحاديثهم .. حتى مرضعته ، تلك التركية العجوز « عائشة جلشان » لا تنساها الصحف، فهى تدلى بحديث عن العبقرية التى لاحظتها على الطفل الصغير، وهو مايزال على صدرها رضيعا !!..

ومرت الشهور الباقية على تولى الملك سلطته الدستورية بسرعة .. وكان على ماهر قد استقال وخلفه النحاس بوصفه زعيما للاغلبية . واستمرت المفاوضات مع انجلترا.. ونبتت محاولات كثيرة لرفع سن الرشد التى يتولى فيها الملك سلطته الدستورية . ورفض النحاس يؤيده الرأى العام.. فقدكان الناس يتلهفون على تولى الملك الجديد سلطته الدستورية ، ويتوهمون انه لن يصنع بحقوقهم ما صنعه فؤاد ، وانه سيكون خيرا من مجلس الوصاية المكون من الامير محمد على وشريف صبرى وعزيز عزت .. والناس يتناقلون قصة اعضاء مجلس الشيوخ حين ذهبوا لمقابلة مجلس الوصاية .. اذ استبدت الحماسة برئيسهم محمود بسيونى فالقى خطبة ختمها بالدعاء للامة ان تفوز بالحرية والاستقلال التام .. فقاطعه الامير محمد على، قائلا : الاستقلال التام؟ علشان تتجننوا زياده ؟

ورد محمود بسيونى ذاهلا : نتجنن ازاى يا افندينا ؟ ..

وكان شريف صبرى جالسا ، فأسرع ينقذ الموقف ويحول مجرى الحديث

وسافر فاروق فى رحلة الى اوروبا مع اسرته ، واعلنت خطوبته لفتاة لها ابتسامه عذبة ونظرات طيبة ، هى صافيناز ذو الفقار،ومضى الناس يتحدثون عن فرح الملك المرتقب ، وجهاز العروس ، والام التى رأت ليلة القدر .. حتى جاء يوم ٢٩ يوليو ١٩٣٧ ، وسار الملك فى موكب التتويج الى البرلمان ، تحلق فوقه حمامات بيض اطلقها الناس،ووقف امام النواب الذين انتخبهم الشعب، يؤدى اليمين الذى لم يحرص عليه قط .

« أحلف بالله العظيم .. انى احترم الدستور ، وقوانين الامة المصرية ، واحافظ على استقلال الوطن وسلامة ارضيه ! » .

وعاد فاروق الى القصر ملكا متوجا

***

هل كان فاروق حقا على هذه الصورة التى رآها الناس ؟ وديعا رقيقا ، طاهر الذيل ، معترفا بحق الشعب ، عازما على احترام الدستور ؟

كلا على الاطلاق .. ولنرجع قليلا الى الوراء .

كانت تربية فاروق الاولى تحت اشراف ابيه الملك فؤاد. ولم يكن الملك فؤاد من الديمقراطية فى شىء ! فقد عرف عنه انه صارم مخيف فى حياته الخاصة ،

وانه يعامل موظفيه معاملة ارهابية تجعلهم يرتعدون امامه.. حتى قال المرحوم محمود شوقي باشا سكرتيره الخاص مرة : كنا امام الناس باشاوات ، اما معه فلن نكن الا خدما !

وكان شديدا فى رقابته على فاروق . فلم يسمح بان يكون له اصدقاء من اولاد الامراء مثلا او الباشوات . بل احاطه بطائفة من الخدم .. فشب فاروق دون ان يعرف صداقات الند للند ومجالسة الذين يخدمون انفسهم .. بل اعتاد ان يجالس الخدم الذين يتسابقون الى ارضائه بأى ثمن !!

وكان فؤاد يكره الدستور والكلام الذى جاء فيه عن حقوق الشعب . وانه مصدر السلطات وما الى ذلك، حتى ان الدستور المهور بامضائه لم يطبق طيلة حكمه سنين تعد على اصابع اليد الواحدة. وكذلك كان يكره سعد زغلول ثم مصطفى النحاس .. وقد ذاعت عنه قصة شهيرة تصور عواطفه نحو سعد تتلخص فى انه لما سمع بان شخصا ، اطلق على سعد النار واصابه استدعى كبير الامناء وقال له : اذهب لزيارة سعد فاذا كانت اصابته قاتلة فلا تلغى التشريفات ، اما اذا كانت غير قاتلة فالغها !

اى اذا كان سعد سيموت فليذهب الى الشيطان . اما اذا كان سينجو ، فلا مفر من مجاملته ، واظهار الحزن بالغاء التشريفات !!..

وحتى اذا لم تصح هذه القصة .. فلا شك ان الملك فؤادا لم يكن ينسى ان الانجليز ساوموا سعدا فى سيشل على عرش مصر ، وان الخديو عباس عرض عليه مساعدة الوفد ماليا على ان يكون من مطالبه اعادته الى العرش.. والعروش عند الملوك اغلى من اى شيء فى الوجود ... ولم يكن يرى بنفس راضية هذا الفلاح يدخل مكتبه ويقول له : لا .. ويقول له : باسم الشعب .. فلا يملك الا ان يكرهه كراهية حقيقية ، اذ يراه خطرا عليه .

وكان فؤاد الى ذلك شحيحا، وراءه سنوات من الفقر الشديد قبل ان يصعد الى العرش .. وامامه سعى دائب لتكوين ثروة طائلة .. حتى مات عن تركة تبلغ ٤٩٫٣٠٠ فدان ، ولم يكن ساعة تولى العرش يملك شيئا .

وليس معقولا بعد ذلك ان نتصور ان الملك فؤادا كان يربى ابنه تربية ديمقراطية ، وانه نشأه على احترام ارادة الناس ، والتزام حدود الدستور ، والاعتراف بكرامة المواطنين ...انما اراد له أن يشب وله مثل سطوته وشدته حتى تعنو له الجباه .. وقبل ان يموت ترك لابنه مذكرات وتعليقات .. فيها خلاصة وافية لنصائحه ، وتجاربه ، وآرائه فى الساسة والاحداث .. عكف فاروق بعد عودته على قراءتها مع رائدة احمد حسين .. فكانت درسا لا ينسى ..

وتلك هى التأثيرات الاولى فى تكوين فاروق ...

وقرر فؤاد ان يرسل ابنه الى انجلترا فاختار له بعثة تتكون عدا الخدم

من ثلاثة : احمد حسنين وعزيز المصرى وعمر فتحى ...
وكان عمر فتحى مجرد حارس خاص .. اما احمدحسنين وعزيز المصرى، فاى تناقض ؟


عزيز المصرى

عزيز المصرى .. الثائر القديم ، المتعصب لوطنه ودينه ، الذى يكره الانجليز بالذات كراهة خاصة ..
واحمد حسنين .. ذو الثقافة الانجليزية ، والعادات الانجليزية .. ولاعب الشيش الانيق ، الذى يعرف كيف يظهر بمظهر « الجنتلمان » فى احاديثه ، ومناوراته !
وكان لابد ان يختلف الرجلان ..
فعزيز المصرى بطبيعته الحارة وتاريخه الذى يفخر به ، لا يمكن ان يقبل رئاسة حسنين رجل البلاط ، البارد الاعصاب .. وعزيز المصرى يريد ان ينشىء فاروقا تنشئة عسكرية خشنة .. وان يحدثه عن جده ابراهيم بالذات ، وعن عراقة الشعب المصرى وكفاحه وابطال الحرية فى تاريخ الشرق ..
اما حسنين ، وهو رجل طموح ، فقد ادرك بذكاء الانتهازى ان مستقبله معلق باقدام سيده ، فعمل على ان يرضيه ليستحوذ عليه .
وعرف فاروق على يد حسنين .. مغامرات الليل !..
وكان حسنين وفاروق يداوران عزيز المصرى ويتركانه ينام ثم يخرجان الى الليل والمدينة .. وضبطهما عزيز مرارا ، وكان يثور ، ويهدد بشكواهما ، ثم يهدأ ...
وتشاجر عزيز المصرى مرة مع حسنين على المائدة امام فاروق .. حين قادهما الحديث الى احمد عرابى وسعد زغلول . كان عزيز المصرى يريد ان يلقن فاروقا انهما رجلان وطنيان حاولا ان يؤديا لوطنهما خدمات جليلة .. اما حسنين فلا يلفت نظر فاروق الا الى ان عرابى اراد خلع توفيق، والى ان سعد زغلول هو عدو ابيه ..
وكان فاروق فى اخطر سنى المراهقة ، فمال الى حسنين .. بحكم طبيعته المدللة التى تابى ان تتعلم او يفرض عليها راى او يشعر بتوجيه .. ونفر من عزيز المصرى الذى كان يريد ان يوجهه قسرا ..
وذهب عزيز المصرى .. وبقى معه حسنين ...
وعاد حسنين فى ركاب سيده، مستحوذا عليه، وبدا ينشر خيوط طموحه،

قصصا عن ذيمقراطية الملك ورقة قلبه وسمو مشاعره ..
وغطت فرحة الناس على كل شيء ... وكانت آمالهم كبيرة . فلم يعرفوا شيئا الا بعد ان اصبح ملكا متوجا ، وحمل مسئولية الحكم !

تحطيم الدستور

الطاغية .. هو الحاكم الذى لايعرف من
القانون الا هواه

فولتير

أحزاب الملك

هـذا هو الفتى الذى اجلسـوه وهو فى الثامنة عشرة من عمره على عرش مصر !..

فماذا حدث ؟..

فى ليلة توليـه سلطته الدسـتورية ، وقعت اول ازمة بين القصر والوزارة الوفدية . وكانت أزمة عميقة الدلالة ، بعيدة المعنى ، حول اليمين الذى يحلفه الجيش فى احتفالات التتويج .

كان القصر يريد ان يحلف الضبـاط ... «ان نكون مخلصين اوفياء للملك **مطيعـين لاوامره الكريمة »** .. ورأت الوزارة ان تغـير القسم بحيث يصبح « مخلصين للملك ، **مطيعين للدستور »**

وثار رجال القصر . فمـا معنى اصرار الوزارة على ان يقسم الجيش يمين الولاء للدستور ايضا فى يوم تتويج الملك ؟. ولماذا لايكون الولاء للملك فقط ؟.. ولماذا تعمدت الوزارة ان يكون «الاخلاص» للملك و «الطاعة» للدستور ؟ ... والطاعة كلمة واضحة لها معنى محدد ، بعكس كلمة «الاخلاص» العامة .

وما نحسب ان الفتى القادم من انجلترا ، عديم الثقافة ، كان يعرف فى ذلك الوقت كل هذا الكلام . ولكنهم الناصحون والمستشارون ورجال البلاط . . بدأوا يعلمونه انه هو كل شىء ، وان الجيش جيشـه لا جيش الشعب ، وان الولاء يجب ان يكون له لا للدستور !.. وليس عجيبا ان نرى الفريق ابراهيم عطا الله ــ بعد عشر سنين تقريبا ــ يقف فى نادى ضباط الجيش خطيبـا .. ويعلن انه قد تقرر تغيير شعار الجيش من «الله . الوطن . الملك » الى « الله . الملك . الوطن » .. ووجم الضبـاط يومها ، ورددوا الهتـاف بصوت خافت هزيل ..

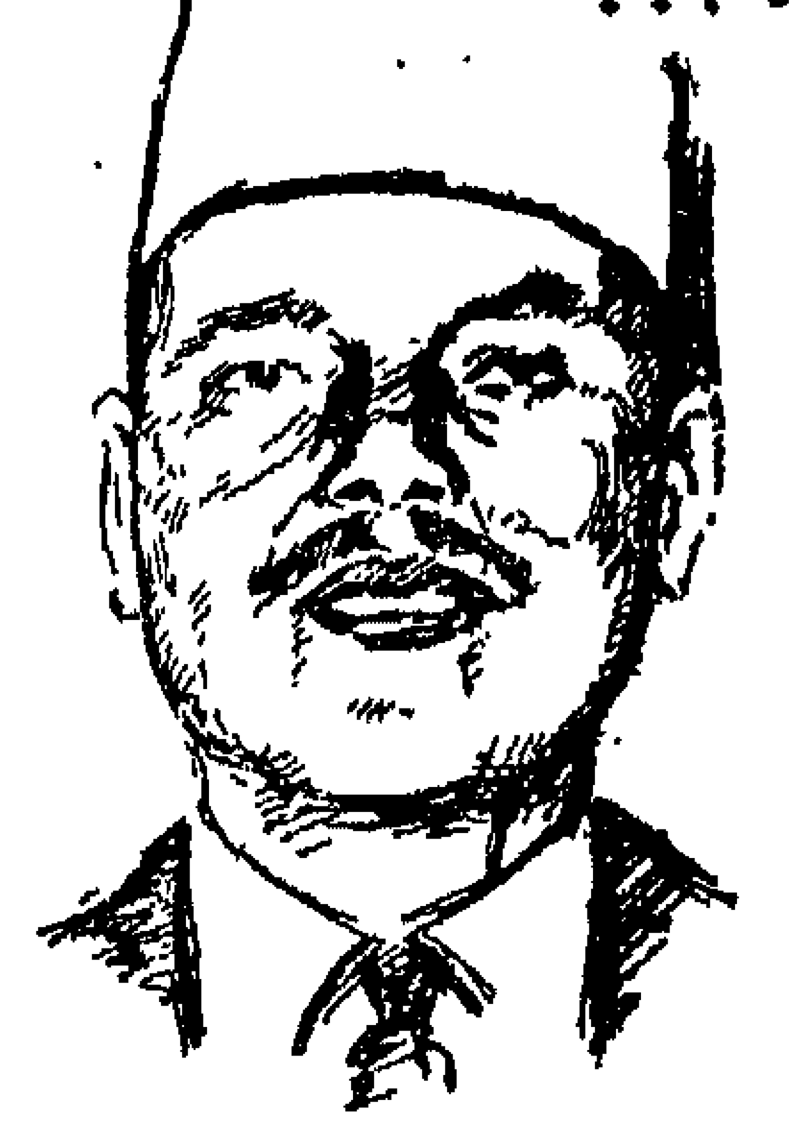
ولكن هذه القاعدة كانت قد تقررت منذ وقت طويل . ولو قد طـال بهـم الزمن وقتا آخر لقدموا الملك على الله ايضا !..

وقعت هـذه الازمة يوم تولى فاروق سلطته الدسـتورية ، فكانت انذارا بالمستقبل الرهيب .. ولا بد لنا من دراسة هـذه الفترة البالغة الاهمية التى تحطم فيها الدستور ، وانفتحت فيها الثغرة لكل ما اعقب ذلك من فساد ..

وكان الموقف السياسى ينقسم الى معسكرين : الوفد فى ناحية .. والاحزاب المعادية فى ناحية اخرى ...

اما الوفد ، فقد اصبح بعد عقد معاهدة ١٩٣٦ والغاء الامتيازات الاجنبية صاحب النفوذ الشعبى الاكبر والاغلبية البرلمانية المطلقة . وظن الوفد ان القضية

الوطنية التى نشأ من اجلها قد انتهت بعقد معاهدة ١٩٣٦ ، واطمأن الى انه سيحكم هذه المرة مدة طويلة بعد ان خرج الانجليز من الموقف كما توهم .. فاسترخت عضلاته ، وانطلق يحكم ويتعثر ويخطىء .. وبدات المحسوبيات والاستثناءات المعتادة تتكاثر فى افقه ، والاتهامات المتعلقة بالنزاهة تعلق بثياب قادته ووزرائه . ورأى الوفد أن حزب مصر الفتاة الفاشى النزعة قد انشأ فرقا عسكرية باسم فرق القمصان الخضر . فلم يبادر الوفد الى حلها لانها مخالفة للقوانين ، بل انشأ لنفسه فرقا باسم القمصان الزرقاء .. اصطدمت بالفرق الخضراء حتى اختل حبل النظام فى ظروف كثيرة ...


محمد محمود

وفى الجانب الآخر كانت المعارضة.. تتكون من حزب رئيسي هو حزب الاحرار الدستوريون برئاسة محمد محمود ، ثم حزبين صوريين هما حزب الشعب برئاسة اسماعيل صدقى وحزب الاتحاد برئاسة حلمى عيسى.. وجمعية مصر الفتاة .. وبعض الشخصيات المستقلة مثل على ماهر ولطفى السيد وعبد الفتاح يحيى

وكانت المعارضة تعتنق الكلمة الشهيرة التى اطلقها محمد محمود فى ذلك الوقت قائلا : ان مهمة الاغلبية قد انتهت !!

وتفسير ذلك ان الانجليز سمحوا بعودة الاغلبية الى الحكم حتى يوقعوا معها المعاهدة التى يريدون .. والان وقد وافق الوفد على المعاهدة ، ولم يعد قادرا على سحب امضائه ، لم تعد للانجليز مصلحة فى بقاء الوفد فى الحكم .. فعلى الاقلية اذا أن تسعى للوصول اليه !

وكانت احزاب المعارضة اكثر رجعية من الوفد ، فقيرة الى التأييد الشعبى ، لما لها من سوابق كثيرة فى الطغيان وتعطيل الدستور او الغائه . ولم تكن المعارضة ـ وهى على هذه الحال ـ مستعدة ابدا لان تتجه بمعارضتها الى الناس ، وان تجاهد لكى تحول تيار الراى العام عن الوفد تدريجيا ، عن طريق تبصير الناس بأخطائه ورسم برنامج جديد لهم .. لم تكن المعارضة أهلا لشىء من ذلك ، ولم تفكر لحظة واحدة فى ان تسلك للوصول الى الحكم هذا الطريق الطويل الشاق .. ولما كان مستحيلا على هذه الاحزاب ان تتحد مصلحتها مع مصلحة الشعب ، فلم يعد امامها الا ان ترتبط بمصلحة الملك .. سياسيا

واقتصاديا واجتماعيا .. وهكذا اصبح همها ان تقوى سلطة الملك وتدعم نفوذه .. فكنت ترى هذه المعارضة بدلا من انتقول ان الوفد يبتعد عن مطالب الشعب ويستغل تأييده .. تحاول ان تقنع الملك بان الوفد يعتدى على حقوقه ويغتصب نفوذه .. حتى يدعوهم الملك الى الحكم ، بوصفهم اوفى واخلص !..

وبدات الحملة ...

واخذت المعارضة بصحفها ، واتصالاتها ، ورجال البلاط بمناوراتهم ودسائسهم .. بدأوا جميعا يعملون بنشاط .. لاغراء الملك على تمزيق الدستور .. وكانت البداية ببعض القصص التافهة .

قررت الوزارة اصلاح الحرمين الشريفين على حساب الحكومة ، ونشر ذلك فى الصحف . وقرأ الملك النبأ فاهتم بالموضوع وطلب تقريرا عنه .. والتقطت المعارضة هذه الواقعة البسيطة .. واستنتجت منها ان الوزارة اتخذت هذا القرار وشرعت فى تنفيذه دون ان تحيط الملك علما .. ومضت تندد بالوزارة التى لاتعمل للملك حسابا ، والتى لا تحيطه مقدما بمثل هذا الموضوع الخطير!!

تلقت الوزارة دعوة لحضور مؤتمر نيون الذى عقد بمدينة نيون الفرنسية. وقبلت الوزارة الدعوة ، وعينت اسماء المندوبين وارسلت اليهم التعليمات ..

وعلمت صحف المعارضة ان الوزارة لم تأخذ راى الملك : الوزارة اذا تتجاهل الملك ! .. يجب اقالة الوزارة التى تتجاهل الملك الى هذا الحد !

الصحف تنشر صورة للملك وهو خارج من احد المساجد عقب صلاة الجمعة وبجواره وقف مصطفى النحاس، وقد عقد يديه خلف ظهره .. وتثور المعارضة لكرامة الملك ، وتصب جام غضبها على رئيس الوزراء الذى يسىء الادب امام سيد البلاد ، ويستهين بالملك الشاب ، ويظن نفسه اعلى منه مقاما حتى انه ليعقد يديه خلف ظهره وهو واقف بجواره ...

والملك الذى لاتزيد سنه على ١٨ سنة هجرية لـ يرى كل ذلك ، ويسمع الذين يفزعونه بدعوى الخطر المحدق به ... واعتداء الوزارة على حقوقه ، فى حين يجب أن يكون هو المعتدى على حقوق الوزارة .... ثم يرى تعلق الجماهير بالوفد ، ونصائح ابيه التى تحذره من هذا الحزب وهذه الجماهير ، فتتعقد نفسه وتمتلىء بالحقد والكراهية ... ويحدث مرة ان يكون خارجا من مسجد السيدة زينب بعد صلاة الجمعة وخلفه الناس ، وتدوى فى أذنه هتافات الجماهير فى الميدان بحياة النحاس، فينظر الى رئيس وزرائه ساخرا، ويقول له:

ــ ما تتفضل قدامى .. الناس عايزاك !!

ويرتبك النحاس ، فلا يسعفه الكلام
وفى هذا الجو ، يقع اول صدام حقيقى ..



مصطفى النحاس

الملك يريد ان يعين مهندسا انجليزيا فى الباخرة «المحروسة» .. وكان على ماهر فى وزارته السابقة قد اصدر قانونا ينظم قواعد استخدام الموظفين الاجانب . ولما علمت الوزارة برغبة الملك ارادت ان تطبق القانون على هذا المهندس الانجليزى .. ولكن الملك رفض ان تتدخل الوزارة فى شئون موظفى القصر .

وتمسك كل من الطرفين برأيه

ووصل الامر الى صفحات الجرائد .. الصحف الوفدية تشد ازر الحكومة وتدافع عن حقها فى التدخل وضرورة تطبيق قوانين الدولة على موظفى القصر كغيرهم من الموظفين .. والصحف المعارضة تسمى تصرف الوزارة اعتداء على حقوق الملك .. وتشن « السياسة الاسبوعية » حملة عنيفة دفاعا عن حقوق الملك التى يعتدى عليها الوفد ، قائلة ان الوفد يستأنف محاولاته القديمة لانتقاص سلطة سيد البلاد !

كان حزب الاحرار الدستوريين يرى ان انتقاص حقوق الملك شىء يعاب !

واراد النحاس ان ينهى الازمة ويتعرف ماوراءها .. فذهب لمقابلة الملك ، وقال له: انا يا مولاى احرص الناس على حقوق جلالتكم .. ولكن هناك قانون على ماهر لابد ان يطبق .

ويرد الملك قائلا : انا سألت على ماهر فقال لى انه حين اصدر هذا القانون لم يخطر بباله موظفو السرايات .

ويدرك النحاس بصفة قاطعة ماكان يشك فيه : ان على ماهر فى الموقف !

وينتهى الحوار باقتراح الملك احالة الامر الى لجنة المستشارين الملكيين .

ويقابل القصر هذا « الاعتداء » على حقوق الملك بالتصرفات الصغيرة التى يلجأ اليها عادة لاشعار رئيس الوزارة بانه ليس محل الرضاء السامى .. فالنحاس يريد ان يقيم حفلة ابتهاجا بخطبة الملك ولكن الملك يرفض . والملك يقيم مأدبة تكريم لوزير البحرية البريطانية ، ويدعى النحاس ولايدعى كرم

عبيد وزير الخارجية بالنيابة رغم ان البروتوكول يحتم دعوته .. ويثور النحاس ويسأل احمد حسنين فى الحفلة لماذا اغفلت دعوة وزير الخارجية ، فيقول حسنين : بعدين .. اقول لرفعتك ! ..

ويزوغ !

وفى اثناء ذلك كله كان الحديث لايفتأ يتردد عن المرشحين لمنصب رئيس الديوان الشاغر ... والصحف ترشح اسماء كثيرة ، والناس يترقبون فى قلق اسم رئيس الديوان لانهم يعرفون جيدا ان اختيار رئيس الديوان سيحدد خط المستقبل . والوزارة تهتم بالامر فهى تقترح انشاء منصب وزير لشئون القصر يعين فيه عبد الفتاح الطويل فيرفض الملك .. ثم تعرض بعض الاسماء المستقلة فيرفض الملك ايضا ، ويقول بالحرف الواحد : سوف اعين من اشاء ، فى اى وقت أشاء !

فمن يقع عليه الاختيار ؟

الرجل الذى مات فؤاد فى عهده ، والرجل الذى اوصى ابنه فى مذكراته .. الذى عرف بولائه للعرش ووقوفه فى وجه الوفد :

على ماهر

ويذهب سعيد ذو الفقار الى رئيس الوزارة ينبئه بصدور المرسوم ، فى نفس الوقت الذى يذاع فيه النبأ على الصحف ... نفس الطريقة التى عين بها حافظ عفيفى ، كما يذكر الناس ، فى نوفمبر سنة ١٩٥١ !!

وتثور الصحف المؤيدة للحكومة قائلة ان هذا العمل غير دستورى ... وتقول اننا اذا سلمنا للملك جدلا بأن يعين فى وظائف القصر كما يشاء ، فان وظيفة رئيس الديوان بالذات وظيفة رئيسية ، وشاغلها حلقة اتصال بين الملك والوزارة ، فيجب ان يكون شخصا تطمئن اليه الوزارة ايضا ...

والصحف المعارضة قد اطمأنت الى مستقبلها ، فهى تخرج لسانها للحكومة قائلة ان الملك حر يفعل ما يشاء !

ويذهب النحاس الى الملك مستنكرا .. فيقول له فاروق : انا عينته لانه كان محل ثقة والدى الملك فؤاد ومحل ثقتى ، كما ان الامة تثق فيه

النحاس : انا اعرف كفاية على ماهر واخلاصه ونزاهته .. ولكن يامولانا القول بأن الامة تثق الان فى على ماهر قول لايرتاح اليه الواقع .. وان المحيط

الذى يرفع الى مولاى المعلومات لايمكن الا ان يكون محيطا محدودا ليس فى وسعه أن يكون متصلا تمام الاتصال بكافة طبقات الشعب . واما انا فانى متصل بالشعب واعرف حقيقة ميوله

الملك : مفهوم .. ده طبعا رايك بصفتك رئيس حزب الوفد

النحاس : انا مش رئيس حزب يا مولاى .. انا زعيم الامة !

الملك : على كل حال دى مسألة تقديرية ...

ويعود النحاس الى بيته مهموما .. ويقول لزواره : انا باحبى (اى الملك) وباتفاءل بوجهه خيرا ! .. بس يفتح لى قلبه .. يقول لى عايز ايه ! .. وانا مستعد اعمل له كل اللى نفسه فيه ! !



علي ماهر

ولكن الازمة لاتحل بل تتعقد نهائيا . وبظهور على ماهر على المسرح ، وامساكه بعجلة القيادة فى القصر ، تبلور الصراع تماما ، واصبح خلافا دستوريا صميما ، يتناول الجذر الاساسى للنظام الدستورى كله : ما هى صفة الملك فى النظام الدستورى .. هل هو ـ كما يقول الفقهاء الغربيون ـ كالصورة المقدسة المعلقة على الحائط ، يحترمها اهل البيت ولكنهم لايأخذون رايها ؟ .. ام ان له ان يحكم ويتدخل مباشرة فى حمل المسئولية وتسيير دفة الامور ؟ ..

وكان الخلاف قد انحصر فى مسألتين على التحديد :

الاولى : ان الوزارة ارادت ان تعين يوسف الجندى وزيرا للداخلية فرفض الملك

الثانية : ان الوزارة رشحت فخرى عبد النور ليعين فى مقعد خال بمجلس الشيوخ ، ولكن الملك اعترض ورشح عبد العزيز فهمى

اما الاعتراض على فخرى عبد النور فكان لمجرد احراج الوزارة وتطوير الازمة حتى تستقيل . واما الاعتراض على يوسف الجندى .. فلانه تزعم ثورة سنة ١٩١٩ فى بلدته زفتى ، وتجاسر فأعلن استقلالها وانشأ فيها امبراطورية .. وتحصن فيها يقاوم الانجليز ! وكان ذلك كافيا لان ينظر اليه القصر دائما بارتياب ، ويعتقد ان له ميولا خطرة ! وفى هذه المناسبة تعلم الفتى أن يستأسد ، وان يصرخ مرة بعد خروج النحاس من عنده : هوه كل مرة يوسف الجندى .. يوسف الجندى .. قولوا للنحاس مش عايز اسمع منه بعد النهارده ولا كلمة عن يوسف الجندى ! !

ولكن الاشخاص هنا لايهموننا ... بل الذى يهمنا هو المبدأ الذى يوشك

ان يتقرر .. فلو أصبح من حق الملك ان يتحكم فى اختيار اشخاص الوزراء واشخاص اعضاء الشيوخ ، فمعنى ذلك ان الملك يحكم مباشرة . لانه يختار الذين يحكمون . ومعناه اهدار لسلطة الامة التى تنتخب البرلمان ، والبرلمان الذى يؤيد الوزارة ، ويعطى الثقة للوزراء او يسحبها منهم . ومعناه انتوقيع الملك على المراسيم ليس اجراء شكليا فحسب ! .. واذا كان حزب الاغلبية لا يستطيع ان يختار وزراءه ، ، فماذا يستطيع ؟..

ولم تكن هذه هى اول مرة يثور فيها هذا الخلاف الخطير. فقد نشب قبل ذلك فى سنة ١٩٢٤ بين الملك فؤاد وسعد زغلول ... حين بدىء فى تعيين اعضاء مجلس الشيوخ لاول مرة بعد اعلان الدستور . وقدم سعد زغلول قائمة بأسماء الشيوخ الذين ترشحهم الوزارة . واراد فؤاد أن يتدخل فى الاختيار برفع هذا الاسم وترشيح ذاك .. ورفض سعد مستندا الى انتوقيع الملك على المرسوم اجراء شكلى لايعنى ان له حق مناقشة المرسوم

ولما استحكم الخلاف بين الطرفين ، والدستور لم يجف مداده بعد ، اتفقا على الاحتكام الى العالم البلجيكى البارون فانبوش لان الدستور المصرى مستمد من الدستور البلجيكى . وجاءت فتوى الرجل مؤيدة لموقف سعد . وقالت الفتوى بالنص :

سعد زغلول

((ان مبدا عدم مسئولية الملك يعتبر اساس هذا النظام الذى يقضى بأن الملك لايتولى سلطته الابواسطة وزرائه وهو مبدا لايحتمل اى استثناء من الوجهة القانونية ، بل يمتد الى جميع اعمال الملك ، فاذا استثنى عمل واحد فان هذا الاستثناء يصيب النظام الدستورى فى روحه واساسه ، لذلك ارى ان تعيين اعضاء مجلس الشيوخ يجب أن يكون بناء على مايعرضه مجلس الوزراء))

على هذا النحو الحاسم جاءت الفتوى مقررة ان الملك ليس له ان يتدخل فى اختيار اعضاء مجلس الشيوخ .. فما بالك بالوزراء ؟ ..

فلو كانت احزاب المعارضة تعرف قيمة الدستور وتتمسك بأحكامه ، لنسيت خلافاتها مع الوزارة ، ولوقفت بجانبها فى ازالة هذا الخطر الداهم ، ولصاحت كل الاحزاب والصحف والهيئات فى وجه الملك ورجاله : مكانكم ! .. ان أخطاء الوزارة شىء واعتداءكم على الدستور شىء اخر !

ولكن المعارضة لم تصنع شيئا من ذلك ... بل انطلقت تشن الحملات على الوزارة ، وتنشر الابحاث والمقالات تثبت بها أن الوزارة تعتدى على سلطات الملك ، وانها تكيد له ، وانها غير مخلصة للعرش .. وتبدى استعدادها — طبعا ! — لو أصبح الحكم لها أن تنفذ ما يشاء الملك !

وسارت المظاهرات فى الشوارع تهتف للوزارة ، وسارت مظاهرات اخرى تهتف ضد الوزارة .. وخرج الملك الى شرفته يحيى المظاهرات المعادية للوزارة .. وهللت المعارضة لهذا التدخل السياسى السافر ، الفاضح ، الذى لم يقدم عليه ملك على الاطلاق !

واتصلت المقابلات عبثا لحل الازمة . بين مكرم عبيد وصبرى ابو علم عن الوزارة ، وعلى ماهر عن السراى .. وحسم الامر فى النهاية بخطاب اقالة كتبه على ماهر، جاء فى اسبابه ان الوزارة اقيلت «لمجافاتها لروح الدستور !»

ايكون غريبا بعد ذلك ان يصبح الملك هو المتحكم فى اختيار الوزراء واعضاء الشيوخ ... فنقرا ان السراى شطبت اسم هذا ووضعت اسم ذاك ؟ ... ايكون غريبا انيفرض الملك علىوزارة الوفد سنة ١٩٥١ اعضاء لمجلسالشيوخ من نوع ادجار جلاد واحمد النقيب ؟ .. وان يفرض على الهلالى وسرى والنقراشي وعبد الهادى وزراء مثل محمد حيدر وكريم ثابت واسماعيل شيرين .. ويرفض تعيين وزراء مثل محمد نجيب ؟ ..

ايكون غريبا ان يذهب اليه عبد السلام فهمى جمعه رئيس مجلس النواب على راس هيئة المكتب، فاذا تحدث عنارادة الشعب صاح فى وجهه : « اسمع يا باشا .. ارادة الشعب من ارادتى انا ؟ .. »

ايكون غريبا أن يصمم علىعدم ادخال الوزارة احدالذين وقعوا على عريضة المعارضة سنة ١٩٥٠ .. فيضطر واحد منهم —حافظ رمضان— الى الاعتذار ويسعى الهلالى لديه حتى يعفو عن اخر .. هو طه السباعى ؟ ..



ايكون غريبا أن توجد فى سوق السياسة عملة نادرة اسمها « الرضاء السامى » .. ترفع من يحوزها وتخفض من يفقدها ؟ ..

ايكون غريبا أن يضطهد رجلا مثل طه حسين زمناطويلا لانه يملأ الصحف حديثا عن المعذبين فى الارض .. فاذا اراد الصحفيون انينتخبوه نقيباتدخل فى الامر ، وارسل اليه الوزير محمد هاشم يقصيه عن هذا المنصب الذى يتم الاختيار فيه بالانتخاب ، تحاشيا

الوفد من جهة ، وأوفياء لرجال احمد جلاد الذى كان يطمع فى المنصب من جهة اخرى ... فاذا عين له حسين بعد ذلك وزيرا .. ناداه فى حفلة حلف اليمين ، وقال له أمام الوزراء جميعا ، انه يعطيه هذه الفرصة للاختيار؟ ..

لو ان الهيئات السياسية وقفت جميعا امام الطغيان فى اوله ، لرفض طه حسين فى هذه الوقفة ان يكون توليه الوزارة اختيارا ، ولقال للملك فى وجهه انى هنا أيها الملك بارادة الشعب لا بارادتك !وقد اختبرنى الشعب طويلا قبل ان يحملنى الى كرسى الوزارة .. اما انت فلا صفة لك فى هذا الاختيار !

ولكن الدستور كان قد انهزم من زمان بعيد .. واصبح جثة ملقاة عند اقدام الملك ..

وكلف الملك محمد محمود بتأليف وزارة جديدة فألفها

وكلفه باجراء انتخابات مزيفة .. فأجراها وزيفها !

وكانت هذه هى الضربة الثانية ، والقاضية . فهذه هى اول مرة تجرى فيها انتخابات تزيف نتيجتها ، بقوة البوليس ، فى ظل دستور سنة ١٩٢٣ وقبل ذلك كان فؤاد اذا ضاق ذرعا بالدستور الغاه او اوقفه .. ولكن هذا التصرف كان يكشفه للرأى العام تماما ، ويكتل ضده القوى .. فجاءت هذه التجربة الجديدة غشاء عن ذلك كله .. وعرف الملك انه يستطيع أن يوجد البرلمانات التى يشاء ، وقتما يشاء ...

وهكذا بدأنا نرى الملك يحضر الوزارات ويخرجها .. ويرغم كل وزارة على حل البرلمان السابق و « تفصيل » برلمان جديد على الصورة التى يريد .. واصبح النواب يباشرون مهمتهم وهم يعلمون أن بقاءهم تحت القبة معلق بمشيئة الملك وحده ، لا بارادة الشعب ..

أيجرءون بعد ذلك على مناقشة مخصصات الملك ؟ ..

ايجسرون على رفض اعتماد مليون ونصف من الجنيهات لاصلاح المحروسة ، أو رفض اعانة شركة سعيدة التى يملك فيها الملك ١٨ الف سهم ؟ ...

وانظر بعد ذلك .. فلن تجد برلمانا واحدا اتم مدته الدستورية ولن تجد وزارة خرجت الا بارادة واحد من اثنين : الملك .. او الانجليز !

فمحمد محمود لم يلبث على رأس وزارته تلك اكثر من عشرين شهرا ، وكان على ماهر مايزال فى رياسة الديوان عاملا لحساب نفسه ، ففوجىء رئيس الوزارة يوما وهو فى فندق وندسور ، يجهز حقائبه للقيام برحلة الى مرسى مطروح ، فوجىء بسعيد ذوالفقار يدخل عليه ويبلغه ان الملك يريده ان يستقيل واستقال ليحل محله على ماهر ... وحكم على ماهر بنفس البرلمان الذى يكرهه ، وبتأييد الحزب الذى طرد رئيسه .. لان على ماهر رجل الملك ، فلو عارضوا فسيرسلهم جميعا الى الشارع ! ...

والنقراشى ، استدعى الى قصر القبة فى سنة ١٩٤٦ عقب حوادث كوبرى

عباس وطلب منه ان يستقيل فاستقال ..
وابراهيم عبد الهادى ، ارسل اليه محمد حيدر فى جنح الليل سنة ١٩٤٩ وأمره بأن يقدم استقالته قبل أن يطلع الصبح فقدمها ...
والهلالى خرج أول مرة لانه اصطدم بحاشية الملك
وحسين سرى خرج لانه لم ينفذ رغبات الملك ...
والنحاس أقيل بعد الاقالة الاولى مرتين اخريين ...
وعلى ماهر نفسه ، راح آخر الامر ضحية هذه السياسة التى وضع قواعدها ... فخرج من وزارته بعد شهر واحد فقط فى فبراير ١٩٥٢ ... بمؤامرة دبرها رجل الملك الجديد : حافظ عفيفى !

أحمد حسنين

هذا الرجل النحيف ، الماكر ، الذي ظل يمشي خلف سيده منذ كان صبيا ، والذي عرف طيلة هذه المدة كيف يرضيه ويستحوذ عليه .. قد آن له ان يقف في المقدمة ..


احمد حسنين

وقبل ان نمضي في بيان دوره الخطير .. نروي قصة صغيرة تصور لنا عقليته ، وطريقته في التضليل .. والقصة منشورة في كتاب « الاعمدة السبعة المنهارة » بقلم جون كيمش .. ويروي المؤلف انه زار مصر ، وقابل حسنين رئيس الديوان الملكي . وقال له ان الفلاح المصري في حالة سيئة جدا ، وانه ينام مع البهائم في حجرة واحدة . وبيته مظلم لاماء ولانور فيه .. فرد عليه رئيس الديوان قائلا : بالعكس . ان الفلاح المصري يحب هذه الحياة .. وهو لايكون سعيدا الا اذا نام مع ماشيته ودواجنه ، وافترش الارض الطيبة وجلس في ضوء الشمعة الشاعري ! ! !

وخرج الصحفي الانجليزي ذاهلا .. من هول ماسمع !

تولى احمد حسنين هذا رئاسة الديوان بعد خروج علي ماهر من الوزارة (يونيو ١٩٤٠) بشهرين .. وارض النفوذ امامه ممهدة . **فقد استطاع علي ماهر ان يؤكد للملك سلطة غير دستورية ، وان يجعل له ارادة واضحة مباشرة في الحكم تزحم ارادة الشعب .. فلم تلبث المادة ٢٣ من الدستور التي تقول ان « جميع السلطات مصدرها الامة » ان اصبحت حبرا على ورق .**

ولم يكن احمد حسنين مثل علي ماهر .

فقد عمد علي ماهر الى تدعيم سلطة القصر كرجل سياسي يريد ان يصل الى الحكم ويطبق آراءه .. بصرف النظر عن نتائج هذه الخطة ، وحظ هذه الآراء من قبول الشعب . اما حسنين .. فلم يعرف عنه انه رجل سياسي .. بل كان آخر «منصب» سياسي تولاه هو سكرتارية الجنرال ماكسويل قائد القوات البريطانية في الشرق !.. ولم يكن له ماض في الحركة الوطنية مثلا او في الخدمة العامة .. انما هو رجل من الحاشية ، ارتفع الى رئاسة الديوان

بحظوته عند سيده ، فكان معنى توليه هذا المنصب ان الحاشية اصبحت تحكم وللحاشيه قصة اخرى .

فى الفترة الاولى لرئاسة حسنين ، جمع حوله عددا من الصحفيين ، وذوى النفوذ بين الرأى العام ، وقاد حملة دعاية مسرحية ليقدم الملك الى الناس فى هالة معينة تبرر تدخله فى شئون الحكم . واستطاع ان يستغل حادث ٤ فبراير وظروف الحرب لاظهار الملك فى صورة الوطنى الذى يكافح الانجليز من اجل مصر .. والذى يترافع امام الوزراء عن مصالح الشعب ، والذى نقبل وزارة النحاس لانه يريد ان يوفر « الغذاء والكساء » للناس !

فلما انتهت الحرب العالمية ، وتهيأ الناس للعودة الى الحياة الطبيعية .. اقال الملك وزارة الوفد ، وكان السبب المباشر للاقالة لافتات تحمل جملة « يعيش الملك ويحيا النحاس » وكان من راى الملك ان لايقرن باسمه أى اسم آخر .

ولم يعمد حسنين الى رفع القيود واقامة برلمان حر .. او حتى «متوازن»!. ولم يفكر مثلا فى اتجاه قومى حتى تتجه مصر الى المطالبة بحقوقها فى فرصة مابعد الحرب .. بل صنع بواسطة وزارة من احزاب الاقلية برلمانا لايمثل الوفد فيه غير نائب واحد هو حنفى الشريف ! ولما كان من المستحيل ان يقال ان هـذا البرلمان يمثل الامة تمثيلا حقيقيا او حتى قريبا من الحقيقة .. فمعنى ذلك ان القصر يحكم بصراحة لامواربة فيها ــ بلا دستور !

واستمر هـذا النظام مايقرب من خمس سنوات ... حطم فيها الملك ، يتقدمه رائده احمد حسنين ، وتحيط به الحاشية ... حطم البقية الباقية من قواعد الدستور .. حتى ان اشتغال الملك مباشرة بالسياسة لم يعد يبدو امرا غريبا . ولم يعد هـذا التدخل السافر مقصورا على الصغائر من شئون الحكم الداخلية ، بل امتد الى سياسة مصر الدولية ، وقضيتها الوطنية ...

فقد جاء روزفلت الى مصر ، وجاء تشرشل ... وكان الملك ــ الذى جعله الدستور غيرمسئول ــ هو الذى يذهب مع احمد حسنين لمقابلتهما ، واجراء المباحثات السياسية معهما ... واحمد ماهر رئيس الوزراء لايتدخل ...

وقام الملك برحلات ليقابل الملك عبد العزيز آل سعود وغيره ، وليضع خططا لسياسة مصر العربية ... وليعادى هذه الدولة ويصادق تلك ... كأنه هو الملك فى بلد دستورى له السلطة التى لعبد العزيز سعود فى بلد لم يعرف الدستور بعد ! ...

واصبح السفراء يعينون بمحض ارادته ... فكانوا يرفعون تقاريرهم اليه ، ويتشرفون بمقابلته او مقابلة رئيس ديوانه قبل ان يقابلوا رئيس الوزراء ، او وزير الخارجية .

واصبح القصر هو محور المفاوضات مع الانجليز ... وبذل الملك محاولات سافرة لفرض الاتفاقيات على الشعب ... وصلت الى حد تهديد الزعماء .. وكان تهديده لمكرم عبيد - بعد محاولة اغرائه - احدى المحاولات التى فضحتها الظروف ... واراد الملك ان ينتقم من مكرم لحملته على الدفاع المشترك .. فذهب يحضر جلسة من جلسات مجلس النواب ليرى ابراهيم عبد الهادى يسب مكرما .. وليرى نائبا آخر يخلع حذاءه ويحاول ضرب مكرم وهو واقف على المنبر ...

ثم كافأ ابراهيم عبد الهادى على فصاحته فى مهاجمة مكرم ، بان عينه رئيسا للديوان الملكى بعد قليل !.. وكان احمد حسنين قد قتل فى حادث تصادم .

وذاع بين الناس لاول مرة تدخل رجال الحاشية ... وعرفوا لاول مرة اسماء كريم ثابت وانطون بوللى وناهد رشاد وحلمى حسين .

واصبح الملك يفرض رجاله وزراء دائمين .. ففرض محمد حيدر وزيرا فى وزارة النقراشي ثم ابراهيم عبد الهادى ثم وزارتى حسين سرى الائتلافية والمحايدة ! ...

بل ان الدولة اشتبكت فى حرب فلسطين ... وقبلت وزارة النقراشي أن تدخل هذه الحرب ، على مسئولية الملك ! ... دون أن تحاول ان يكون لها فى الامر شيء ، بل دون ان تقبل مناقشة فى شيء .

كان الملك والحاشية يصدرون الاوامر من القصر الى القوات المحاربة فى الميدان راسا .. وكان التقدم والتقهقر وقبول الهدنة واستئناف القتال كلها مسائل يقررها فاروق وحيدر والحاشية ! ..

فى القصر .. كان حيدر يراجع الملك فينهره ويقول له انه يعرف مايصنع .

وفى مجلس الوزراء كان الوزراء يناقشون حيدر فينهرهم ويقول لهم انه واثق مما يصنع ! ..

وفى مجلس الشيوخ حاول على ماهر ان يناقش النقراشى ، فصاح فيه ان الوزارة تعرف ماتصنع !! ..

وغضب يومها على ماهر وانسحب .. وانسحبت معه اى مناقشة فى حرب فلسطين .. ولحرب فلسطين قصة اخرى

وهكذا . لم يمض على مصرع احمد حسنين شهور .. حتى اكتشف الناس عبقريته كمخرج كبير !..

عرفوا ان الملك لم يكن يحارب الانجليز . وانما كان يكره اللورد كيلرن فقط . وانه كان يراه خطرا على عرشه ..

ورأوا الملك «الصالح» يقضى لياليه فى الاوبرج وحلمية بالاس .. ولفضائحه رائحة تزكم الانوف ...

واكتشفوا ان هذا الملك الذى يفكر دائما فى الشعب .. انما يفكر فى كيف ينهب الشعب !..

وحين اكتشف الناس هذه الحقائق .. بدأوا يتحركون ولكن من غير نظام فشهدت هذه السنين الخمس حوادث بالغة العنف ..

اضرب البوليس لاول مرة فى تاريخ مصر اضرابا رهيبا .. واكتسحت الثورة شوارع القاهرة والاسكندرية ، حتى تصدى لها الجيش ..

واضرب الممرضون واعتصموا بالقصر العينى الذى اشتعلت فيه النيران ولم يخمد الاضراب الا بعد ان حضرت الدبابات ، وتحولت منطقة القصر العينى الى ميدان قتال ..

واضرب الطلبة اضرابات عنيفة استعملت فيها القنابل والاسلحة النارية وقتل فيها سليم زكى حكمدار العاصمة .

وفى اعقاب معركة كوبرى عباس فى ٩ فبراير ١٩٤٦ هتف طلبة الجامعة لاول مرة بسقوط الملك . ومزقوا صوره المعلقة فى مبنى الجامعة واحرقوها .. وقذفوا سيارات القصر الملكى بالحجارة واغرقوها بخراطيم المياه . واطفأوا الشعلة التى كان يجب ان تصل الى الملك يوم عيد ميلاده – ١١ فبراير – وقاطعوا الحفلة التى حضرها الملك لافتتاح المدينة الجامعية .. ولم تخمد الثورة الا بسقوط وزارة النقراشى .

واجتاحت مصر موجة من الاغتيال السياسى .. تبادل فيه الارهابيون والحاكمون ارتكاب الجرائم .. فقتل النقراشى وحسن البنا ونسف بيت النحاس وضرب النحاس بالمدافع الرشاشة .

وانقلبت مصر كلها الى ساحة معركة . وساد عهد من الارهاب المظلم لامثيل له حتى اصبح الفرد العادى لايستطيع ان يسير ويده فى جيبه .. فقد يشتبه البوليس فيه ويحسبه يحمل قنبلة !.. واصبح ابراهيم عبد الهادى رئيس الوزارة لايسير الا فى موكب تحرسه المدافع الرشاشة . اما الملك فلايبرح قصره ابدا ..

ابراهيم عبد الهادى

فلما شعر الناس بان الوقد آت الى الحكم .. تنفسوا الصعداء ، وكانوا كالغرقى فتعلقوا بهذه القشة الطافية فوق سطح الماء ... وظنوا انها قارب النجاة ! .

مسئولية الوفد

جاء الوفد الى الحكم فى شتاء ١٩٥٠ باغلبية ساحقة لم يكن يتوقعها الوفديون انفسهم . وتدفقت امواج الجماهير اياما متوالية على بيت النحاس ورياسة مجلس الوزراء تحيى العهد الجديد . بل ان كثيرين من الذين كانوا يكرهون الوفد رحبوا بعودته . لا حبا فى الوفد ولكن كراهة للملك الذى اصبح مصدر شر لا يعادله شر

كان هذا شعور الجميع بل لقد كان شعور الملك نفسه . وقد كان يظن ان محاربة الوفد واقصاءه عن الحكم مدى خمس سنوات لا شك اضعفه ، وأن الانتخابات ستأتى ببرلمان « متوازن » ... فلما جاءت الانباء بانتصار الوفد هذا النصر الكاسح ، اسرع منزعجا الى بيت حسين سرى فى الليل ، وقال له: انك مسئول عن فوز الوفد ... وانهم سوف يعودون الى الاحتكاك بى ولذلك ارى أن تصبح رئيسا للديوان لكى تتولى التفاهم معهم .

ولكن الوفد انكشف بسرعة ، وخابت الآمال التى كانت معلقة عليه قبل ان يأتى الربيع . حتى ان خير اسم نطلقه على انتصار الوفد هو انه هزيمة ساحقة ! وكانت هزيمته بالغة من الناحية التى تهمنا فى هذا الكتاب، ناحية الملك

فقد صفق الناس لمجيء الوفد ، ينتظرون منه أشياء ثلاثة : ان يطلق الحريات . وأن يتخذ خطة ايجابية فى مقاومة الانجليز .. وان يوقف الملك عند حده .


فؤاد سراج الدين

ويجب ان نعترف بأن الوفد اطلق الحريات . وبان الصحف كتبت فى سنتى ١٩٥٠ و ١٩٥١ ما لم تكتبه قط ، وان كان لمجلس الدولة فى ذلك فضل كبير .

ويجب ان نعترف ايضا بان الوفد، وان كان قد طاول فى المفاوضات كثيرا ، الا انه استجاب فى النهاية للضغط الشعبى الذى اتاح له اطلاق الحريات أن يقوى، واقدم على الخطوة التى نكص عنها الجميع ، وهى الغاء المعاهدة ... والسماح للشباب المصرى بان يذهب الى القنال ، ويحمل السلاح ، ويضرب

الرصاص فى صدور الانجليز ؟

أما موقف الوفد فى جبهة الملك .. جبهة الدستور .. فقد كان تقهقرا عاما! وهذا التقهقر له تفسيران : تفسير يقول به الوفد نفسه ، ولنا عليه رد. وتفسير نقول به نحن ونراه السبب الرئيسى لتغير الوفد.

فالوفد يقول انه عمد الى مجاملة الملك هذه المرة بالذات ، وارضاء طلباته، وتنفيذ ما يستطاع منها . والتظاهر بمحاولة تنفيذ ما لا يستطاع مع السعى فى الخفاء وفى نفس الوقت لاحباط المطلوب .. مثلما فعل فى تشريعات الصحافة ... اذ ثار الملك على الوزارة وانذرها بضرورة اغلاق الصحف التى تهاجمه . فأوعزت الى النائب الوفدى اسطفان باسيلى بتقديم تشريعات الصحافة ... وتظاهرت بأنها مهتمة باقرارها ... وأوعزت فى الوقت نفسه الى الصحافة الوفدية والنواب الوفديين بمهاجمة التشريعات ورفض الموافقة عليها .

يقول الوفد انه تحمل كل هذا العناء .. لسبب واحد : هو انه كان ينوى الغاء المعاهدة . وكان يعلم فى الوقت نفسه ان الملك لن يرضى عن هذه الخطوة. ولما كان لا يجرؤ على اقالة الوزارة بسبب محاربتها الانجليز ، فانه سيعمد ولا شك الى التمحك فى اى ازمة داخلية لاخراج الوزارة وتفويت فرصة الغاء المعاهدة . لذلك قرر الوفد أن يتجنب اى ازمة داخلية مهما كان الثمن ،ابتغاء تحقيق العمل الاكبر : الغاء المعاهدة

هذا ما يقوله الوفد. وهو لايقوله اليوم ، بل كان يقوله منذ كان فى الوزارة. وقد حدث أن كان النحاس عائدا من الاسكندرية الى القاهرة فى القطار ،وكان معه فى الديوان بعض النواب الوفديين ، فقالوا له أن الناس «أكلت وجوههم» من انحناء الوفد وتدخل « غير المسئولين » فانفجر فيهم النحاس ، وشرح لهم هذا السبب

ويومها اقتنع النواب الوفديون ...

ونحن نعتقد أن هذا السبب له جانب من الصحة . وانه كان فى حساب الوفد وهو يتراجع أمام الملك . ولكن هذه الحقيقة ذاتها هى ابلغ الدليل على التغير الذى أصاب الوفد والضعف الذى نال منه

ولو كان الوفد باقيا على قوته وتطرفه القديمين ، لسلك لاحراج الملك وتورطه فى الغاء المعاهدة ، وسيلة أخرى

كان حريا بالوفد أن يرتبط بالجماهير وبالرأى العام وبالطوائف ارتباطا قويا. وأن ينبه هذه الجماهير بلباقة الى الخطر الذى يتهدد القضية من الملك . وكان الناس مهيئين تماما لتقبل هذه الحقيقة . بل كانوا يعرفونها فعلا . وبدلا من أن يلوح فى وجه القصر براية المساومة ، كان عليه أن يرفع فى وجهه سلاح التهديد .

ولسنا نرسم خطة نظرية . فهذه بعينها هى الخطة التى سلكها مصدق فى ايران . فقد استطاع أن يثير تحفز الناس جميعا لقضية البترول ، وان يجعلها بالنسبة لهم قضية حياة أو موت . قضية لا وسط فيها . وافهم الشعب صراحة أين اعداؤه واين اصدقاؤه . وكان يكسب من الشاه فى كل يوم أرضا جديدة . ولما انتهز الشاه الفرصة المواتية ليضرب ضربته ويبعد مصدق عن الحكم . خف الشعب كله لنجدة مصدق . ووقف الجميع فى وجه الخيانة صفا واحدا .. من انصار كاشانى الى انصار حزب توده الشيوعى واخرج سكان طهران اثاث بيوتهم الى الشوارع يقيمون به المتاريس . وقذف كل واحد بنفسه فى المعركة . وامتنعت معظم فرق الجيش عن التدخل لقمع الثورة فلم ينقض يوم كامل حتى كان مصدق ذاهبا الى القصر الامبراطورى ... يملى شروطه .

ولكن الوفد لم يلجأ الى هذه الخطة الحاسمة ، مرتكنا الى المساومة . ناسيا ان تقهقره امام الملك كان يسىء الى القضية الوطنية نفسها . ولم يدرك ذلك حتى حانت الساعة الفاصلة ، واستطاع الملك أن يطعن القضية الوطنية طعنته النجلاء .

فما هو السبب الحقيقى اذا لتقهقر الوفد ؟ ..

الواقع أن بنيان الوفد القديم يتحلل تدريجيا منذ زمن . وان هذا التحلل اتاح للعناصر الغريبة عنه أن تتسرب اليه .. كما يتسرب الماء الى شقوق الجدار ، حتى يهوى متصدعا .

فقد كوفىء زعماء الوفد على جهادهم القديم مكافآت ضخمة ... اتاحت لهم مستوى من الحياة ومن المصالح كاد ان ينقلهم الى طبقة جديدة غير الطبقة التى بدأوا جهادهم منها ، فضعف ارتباطهم بها وتجاوبهم معها . وهذا كلام يصدق على زعماء الوفد الذين بقوا فيه ، والذين خرجوا منه على السواء ... وان نظرة واحدة الى ابراهيم عبدالهادى مثلا وسليمان غنام اعضاء لجنة الطلبة القديمة التى كان رئيسهم فيها حسن يس . ونظرة الى «افندية» الوفد المكافحين والمحامين المغمورين الذين اصبح منهم الوزراء والمحامون والاغنياء واصحاب العزب والدور ... تظهرنا على النقطة التى بداوا منها والغاية التى انتهوا اليها ...

يضاف الى هذا التغير الداخلى ، ان نظام تكوين الوفد وتشكيلاته نظام عتيق لايسمح « للقاعدة » اى لجماهير الحزب وشبابه وتشكيلاته الصغيرة ان تكون لها قوة ضغط حقيقية على القيادة ، فتظل هذه القيادة مربوطة دائما الى اتجاهات « قاعدة » الحزب المرتبطة بالجماهير ومطالبها المتجددة المتطورة

فلو كان رئيس الوفد ينتخبه اعضاء الوفد المصرى ، وكان عضو الوفد المصرى ينتخب بواسطة اعضاء الهيئة الوفدية ، وعضو الهيئة الوفدية تزكيه لجان

الحزب الفرعية .. لعمل عضو الوفد المصرى حسابا للجنة الحزب الفرعية فى اقصى انحاء القطر . ولكن تشكيل الوفد ـ كتشكيل كل الاحزاب المصرية ـ عكسى. فرئيس الوفد يعين عضو الوفد المصرى . وهيئة الوفد المصرى تختار اعضاء الهيئة الوفدية . واعضاء الهيئة الوفدية هم الذين يتحكمون فى اللجان الفرعية !

وقد ادى هذا الوضع ذاته الى أن تسربت الى كيان الوفد عناصر غريبة عليه . واصبح الناس يرون فى مقاعد الزعامة والوزارة والتوجيه قوما بعيدين عن الوفد وليست لهم فيه سابقة جهاد معين او تضحية بارزة او بلاء مذكور مثل فؤاد سراج الدين وعبد اللطيف محمود وعبد الجواد حسين ... الى آخره . فى حين بقى الذين يكونون كيان الوفد الحقيقى من المحامين ورؤساء اللجان وصغار التجار بعيدين عن مراكز السلطة والتوجيه ... بل لقد رأيناهم فى ظروف كثيرة يعارضون الوزارة والزعامة جميعا !

هذا التغيير الذى اصاب الوفد جعل لقيادته مصلحة اخرى تستوجب الحرص عليها ، بمحاولة البقاء فى الحكم اطول مدة ممكنة ... حتى اصبح البقاء فى الحكم فى ذاته غاية . كما اصبحت قيادة الوفد حريصة على استقرار الاوضاع التى كانت تحاربها قديما .

واصبح الوفد طبعة شعبية من حزب السعديين ، أو الاحرار الدستوريين!! واذ اصبح الوفد يؤمن بالمساومة ليبقى ، ظن ان الملك يمكن ان يساوم ليقبل خروج الانجليز من مصر . ونسوا ان هذه نقطة حاسمة بالنسبة له ... وان الملك منذ فقد الشعب كله بات يعرف ان القوة الوحيدة التى يمكن ان تبقيه فى عرشه هى الانجليز ، واصبح مستحيلا ان يقبل اخراجهم من مصر .. وبالقوة، خوفا من ان تتحول هذه القوة ضده فورا .

وقد غطت المساومة ورغبة البقاء فى الحكم على عيون الوزارة الوفدية حتى بعد ان ظهرت نوايا القصر بتعيين حافظ عفيفى رئيسا للديوان . فهذا التعيين لم يغب مغزاه عن طلبة المدارس فأضربوا اضرابات بالغة العنف وهتفوا بسقوط حافظ عفيفى وبسقوط الملك وصاحوا بصريح العبارة : ان تعيين حافظ عفيفى طعنة فى ظهر القضية الوطنية

ومع ذلك فان الوزارة لم تحتج على تعيين حافظ عفيفى ، على الاقل ، كما احتجت قديما على تعيين على ماهر . ولم تغير خطتها فى مهادنة القصر ومحاولة « ستره » ومساومته وارضاء طلباته .

وحتى حين وصل الموقف الى احسم مراحله ، وقرر مجلس الوزراء الوفدى قطع العلاقات مع انجلترا ... وتدخل القصر يطلب تأجيل هذه الخطوة للتفاهم بشأنها . . عاد مجلس الوزراء واعلن انه أجل البت فى هذه المسألة يومين ... ليساوم القصر ويظفر برضاه ، بدلا من ان يحرجه بالقطع فعلا

وفى هذين اليومين حرقت القاهرة . . واعلنت الاحكام العرفية واقيلت الوزارة ، والقى القبض على الفدائيين ...

وبعد شهور . . عاد عبد الفتاح عمرو الى لندن ! ! ...

هكذا تقهقر الوفد . . ولم يعد فى مستوى تلك اللحظات الحاسمة . وهيأ نفسه لهزيمة يوقعها به الملك ، وحاشية الملك ، واحزاب الملك ... وكل الذين كانوا يكرهون خروج الانجليز ... ونظر الوفد وهو يتلقى الطعنة الى الدستور . . فوجده قد صار قطعا ممزقة واشلاء مغرقة ... وقد اصبح الملك وحاشيته سادة الموقف من جديد ... فلما اعلنت الاحكام العرفية ، سقط الشعب كله فى الشرك المنصوب ، ووضع الملك وحاشيته اقدامهم القذرة على عنقه فائزين ! !

الفساد الأكبر

ان الف منافق يجلسون فى ثنايا تاجك ،
ومع انهم يقبعون فى هذا الحيز الضيق ، الا
أن ما يقومون به يصب القطر كله !
شكسبير

هكذا اصبح فاروق انسانا شاذا في وضعه: انسانا يملك مائتي مليون جنيه، ويملك شعبا من عشرين مليون نسمة ، ويملك ان يصنع بهذه الاموال وهؤلاء الناس مايشاء وفي أي وقت يشاء .. دون ان يجرؤ واحد على ان ينطق بكلمة لا .. او يقول له — بكل ادب — انه مخطيء .. او حتى تبدو على وجهه علامة استياء !..

أليس هذا وضعا شاذا ؟.. فكيف لاتكون التصرفات الناجمة عنه تصرفات شاذة ؟..

ان الشذوذ الحقيقي في الموقف هو شذوذ «الوضع» لا شذوذ الشخص . وآية ذلك اننا لو استعرضنا تواريخ الملوك المستبدين ، اى الذين كانوا في مثل ظروف فاروق ، لوجدنا ان فاروقا هذا لم يكن بدعا بينهم ، ولم تكن تصرفاته تختلف عن تصرفاتهم ..

في فرنسا ، عرفنا لكل ملك عشيقة رسمية مقدمة على الملكة .. وعرف الناس عن حياة مدام بومبادور ومدام دي باري وغيرهما اكثر مما يعرفون عن لويس الخامس عشر .. وقد كان الملك يستدين وينهب خزانة الدولة ويفرض الضرائب الغالية لكي يشتري لعشيقته عقدا ثمينا !

وفي روسيا راينا الاسرة القيصرية في آخر عهدها ، تسلم قيادها ، وقياد الدولة كلها ، لراهب افاق هو راسبوتين ، راح في التاريخ مثلا على الجريمة والخيانة والفسق . فقد كان يستعمل الشعوذة ليفسق بالقيصرة ونساء القصر ، ويبيع الجيش المحارب في الجبهة للعدو بأبخس الاثمان !

وكان خلفاء آل عثمان يقبلون الرشاوى علنا .. ويبيعون كراسي الوزارة والقيادة والولاية . بل كانوا يبيعون بلادا بأسرها .. وقد اشترى اسماعيل استقلاله النسبي نظير بضعة مئات الالوف من الجنيهات !..

ولماذا نذهب بعيدا ، ولدينا في مصر الامثلة قريبة حاضرة ؟.

لقد كرس محمد على الكبير موارد مصر ليجيش جيشا .. وجر وراء الجيش في حروب لا معنى لها في كريت ، واليونان ، وشبه جزيرة العرب وروسيا . لمجرد توطيد العرش الفاسد في استانبول .

وتكرم سعيد فارسل الجيوش المصرية الى المكسيك !.. لان نابليون الثالث كان مشتبكا في حرب استعمارية هناك ، فاراد سعيد ان يجامل صديقه الامبراطور .. بالف ومائتي جندى مصرى ارسلهم ليحاربوا اربع سنوات قاسيات في المكسيك ، وليعود منهم ثلاثمائة جندى فقط !

وعرفنا عباسا الاول الذى اغلق المدارس ونفى العلماء وعطل المصانع !

وعرفنا سعيدا الذى منح امتياز قناة السويس لصديق له .. لمجرد الصداقة .. وهو اخطر امتياز عرفته وستعرفه مصر في تاريخها !

وعرفنا اسماعيل الذى اسرف وبذر وسرق ونهب ، وقتل وزير ماليته ،

وترك البلد بعد ان رهن مديرياتها وجماركها ومرافقها للمرابين الاجانب
وعرفنا توفيقا ، الذي ضحي باستقلال البلد في سبيل عرشه ، وفتح للانجليز ابواب مصر .. ما دام سيبقى في ظل الانجليز ملكا ..

وسوف نرى ان فاروقا لم يفعل اكثر من ذلك .. لم يفعل اكثر من انه حارب نشر التعليم كعباس ، وزج الجيش في حرب تجارية كمحمد علي ، ومنح الامتيازات لندمائه كسعيد ولجأ إلى القتل للتخلص من خصومه السياسيين كما فعل اسماعيل . وكان وكيلا للانجليز في مصر كسلفه توفيق .

لم يفعل فاروق شيئا اكثر من ذلك .. ولكن الفرق الوحيد بينه وبينهم انه ارتكب هذه الموبقات في القرن العشرين ، وفي شعب تطور كثيرا ، وقطع في طريق الوعي شوطا طويلا .. فكانت اعماله مفضوحة ، غير مقبولة . ولم ينظر الناس الى مظالمه كأنها اشياء طبيعية كما كانوا ينظرون الى مظالم اسلافه .. ولم يعد العالم يقبل تدخل دولة اجنبية لحماية عرش ، كما كان يحدث قديما .

المال من أى طريق

مات الملك فؤاد عن تركة من الارض الزراعية تبلغ ٤٩٫٣٠٠ فدان .. خص فاروقا منها ١٥٤٠٠ فدان ، تنازل عن حوالى الفى فدان للملكة السابقة فريدة فتكون ثروته سنة ١٩٣٧ عبارة عن ١٣٤٠٠ فدان .. تركها بعد خمسة عشر عاما وقد وصلت الى حوالى ٩٦٫٠٠٠ فدان املاكا خاصة .. ورقم مشابه من الاوقاف التى يديرها ويستولى على ايرادها ..

ومعنى ذلك ان فاروق حين رحل، كان يسيطر على حوالى ٢٠٠٫٠٠٠ فدان فاذا عرفنا ان مساحة الاراضى الزراعية فى مصر كلها حوالى خمسة ملايين ، يعيش فيها ومنها خمسة عشر مليونا من البشر .. امكننا ان نقول ان الارض الملكية كان يعيش فيها حوالى ٦٠٠٫٠٠٠ نسمة .. ستمائة الف من الافراد، عبيدا عبودية خاصة للملك ، غير ان العبودية العامة التى كان يشترك فيها العشرون مليونا !

وتصور ايها القارىء هذا المنظر الرهيب :

منظر نصف مليون من البشر ، ينهضون كل صباح .. يفلحون الارض بفئوسهم ، ويحفرون الترع ، ويطهرون المصارف وقد انغرزوا الى وسطهم فى الطين ، يجمعون روث البهائم ، ويحلبون البهائم ، ويعودون الى كهوفهم آخر النهار ، يتفصدون عرقا ويتخلعون تعبا ومرضا . . بعد ان يكون كل واحد منهم قد صنع قطرات من الرزق . . تتجمع فى خيوط رفيعة ، وتتجمع الخيوط وتتجمع ، حتى تصبح كلها فيضا هائلا من الذهب .. يتدفق تحت اقدام هذا الفرد ، الواحد الاحد .. بجسده الضخم ووجهه الاحمر واوداجه المنتفخة ولحمه الغليظ . . وله بعد ذلك ان يفعل بهذا الذهب ، المصنوع من عرق الملايين ، ما يشاء .. يبذله لغانية ، او يخسره على مائدة قمار ، او يشترى ارضا جديدة ، وعبيدا آخرين !..

فهذا هو الاقطاع الذى كان يجلس على قمته فاروق .. والذى كان مثلا أعلى لنماذج الاقطاع الاخرى فى جنبات الوادى السعيد ..

ولم تبلغ ثروة الملك السابق هذا المبلغ الرهيب بوسائل شريفة . . اما الوسائل غير الشريفة فكثيرة ..

فاحيانا كان الملك يعجب بمساحة من الارض مملوكة لافراد من رعاياه .. وتبدأ الخاصة فى مناوراتها التى تنتهى دائما بارغام المالك على بيع ارضه بسعر بخس !..

واحيانا يضع يده على مساحات هائلة من الارض غير المزروعة، ويستصلحها

بأيد مجانية من المساجين ، ومشروعات مائية من ميزانية الدولة .. كما فعل في الارض التي استولى عليها بالقرب من مرسى مطروح ..

واحيانا يشتري ــ بأسعار بخسة جدا ــ ارضا مملوكة لقصر موضوعين تحت وصايته .. كابناء الامراء المتوفين .

اما استيلاؤه على اراضي الوقف.. بعشرات الالوف من الافدنة .. فقدكان يتم بعمليات نصب كبرى . واغتصاب حقيقي من الدولة .. وفي سبيل حصوله على وقف كان لايجد غضاضة في الاطاحة بوزير ، او بوزارة باسرها !

ولنرو قصة الاستيلاء على احد من هذه الاوقاف .. وقف اسماعيل باشا .. الذي تقدر قيمته بخمسة ملايين جنيه، من ارض وعمارات وغيرها.

وقد بدات القصة في اوائل سنة ١٩٤٨ ، حين دق جرس التليفون فيمكتب الاستاذ علي عبد الرازق ، وزير الاوقاف في ذلك الوقت ، وكان المتحدثنجيب سالم ناظر الخاصة .

وقال نجيب سالم : ان نطقا ملكيا ساميا صدر بضم وقف اسماعيل الى الاوقاف التي تديرها الخاصة الملكية .

وبهت الوزير .. لهذه الخمسة ملايين جنيه التي يريد الملك ان يستولي عليها بنطق سام كريم . وقال لنجيب سالم : اريد كتابا رسميا بذلك .. وسترد الوزارة عليه ..

وارسلت الخاصة الملكية كتابا تقول فيه « .. بما انه قد صدر النطق السامي بنقل ادارة هذا الوقف الى ديوان الاوقاف الخصوصية الملكية ، فارجو التنبيه باتخاذ الاجراءات اللازمة لتسليم اعيان هذا الوقف وما يتعلق بها من مستندات ونقود وغير ذلك » ..

وردت وزارة الاوقاف تقول انايراد هذا الوقف مرصود على بعض الاغراض المحددة . وان باقي الايراد يدخل في ميزانية وزارة الاوقاف التي لابد منها لمواجهة واجبات الوزارة ..

ولم يعجب الخاصة هذا الرد ، فأرسلت تكرر ان « النطق السامي » قد صدر بذلك .. وتبودلت بين الطرفين خطابات عديدة .. وتطورت المسالة الى أزمة . وفاحت رائحة الازمة حتى وصلت الى الصحف، وبدات الجرائد تلمح الى القصة بوسائل شتى ..

واستدعى النقراشي علي عبد الرازق يوما ، وقال له أن الملك قال بالحرف الواحد : « وزير الاوقاف بتاعكم مش عارف يتعاون مع ناظر الخاصة ! » .

وفهم علي عبد الرازق معنى هذا « النطق السامي » الجديد فكتب استقالته وانصرف ... ولكن القصر لم يشأ أن يخرج الوزير ويفتضح الموقف . فاستانف المفاوضات ، حتى اتفق على أن تدير الخاصة الوقف بشرط أن تتعهد كتابة بارسال ريع الوقف الى وزارة الاوقاف

ونفذت الخاصة تعهدها مرة واحدة . فارسلت الى الوزارة شيكا بمبلغ ٤٠٠٠٠ جنيه . نشرت الصحف انه منحة ملكية كريمة من الجيب الخاص وارتفعت اكف المشايخ والعلماء بالدعاء . وبعدها لم ترسل الخاصة مليما واحدا !...

وبطريقة اخرى اغتصب الملك وقف شاوه . ومساحته ١٠٠٠٠ فدان

فقد رفع احد امراء آل حليم دعوى لتعيينه ناظرا على الوقف لانه ارشد الاسرة كنص الوقف . وفى الجلسة وقف محامى الخاصة ، يقول : انالملك يطالب بأن يكون هو الناظر ، لأنه « أرشد » الاسرة

والتفت القاضى الى الامراء يسألهم : هل لديكم من هو « أرشد » من جلالة الملك ؟

وقال الامراء المذهولون : لا .. العفو !!

واستولى الملك « الرشيد » على الوقف !

ووقف « قوله » الذى تبلغ مساحته ٢٣٠٠٠ فدان

ووقف الوادى ، ووقف المنتزه ، ووقف حفيظة الالفية ، الذى وقفته صاحبته الطيبة على معاهد العلم ، وخصص للانفاق على الجمعية الجغرافية الملكية ومعهد الصحراء وجمعية اوراق البردى

الى آخر الاوقاف ...

وكان أول ما تفعله الخاصة بعد استيلائها على هذه الاوقاف لحساب الملك السابق ، ان تطرد موظفي الوزارة منها ، وكثيرون منهم شردوا من جراء ذلك ، ثم تديرها بنفس الطريقة التى تدير بها الاملاك الخاصة

وكيف كانت تدار أملاك الملك ؟

هل كان موظفو التفاتيش الملكية يعيشون عيشة رحبة ، فى هذه المزارع النموذجية التى تخرج ما لا تخرجه اى ارض فى الوجود ؟

هل كان الفلاحون الذين يكدحون فى أراضى الملك اسعد حالا من غيرهم من الفلاحين ؟

كلا ... وعلى طول الخط !

فالملك يريد من المال اكثر ما يمكن الحصول عليه . وناظر الخاصة يطيع سيده ويسعى لارضائه فهو يضغط على مرؤوسيه . وفى اسفل السلم ، تحت هذا الضغط المركب ، يلهث الفلاح ، وتزهق منه الانفاس !

وكلما تفنن الموظفون الكبار فى ارهاق الفلاح ، والتحايل على استخراج المال ، رضى عنهم سيدهم . ورضاء سيدهم كالعملة الراسخة .. مقوم بالذهب!

وكان أبرع ما تفننت فيه الخاصة الملكية ان جعلت معظم مرتبات موظفيها تخصم من مصاريف الاوقاف الخيرية التى تديرها . وهكذا اصبحت ميزانية الخاصة الملكية تتحمل مرتبات الموظفين . واصبحت مزارع الملك تدار مجانا!

ومــاذا تريد المزارع ، غير الموظفــين ؟. العمــال الزراعيين طبعا . وهؤلاء امرهم سهل ، يوكل الى بعض الموردين الذين يوردون « عمال التراحيل »

وعمال التراحيل هؤلاء عبارة عن عشرات الآلاف من التعســاء الذين لم يجدوا فى قراهم خبزا يكسبونه بعملهم ، فأسلموا انفسهم لمقاول من موردى الانفــار . يعرف اين يحتاج الســادة الى أيد تعمــل ، فيشحن العمــال الى مزارعهم ، وهناك يعملون .. بلا عقد ولا ضمان ولا أسرة ولا سكن ولا شيء الا كسرة الخبز يأكلونها ، يوما بيوم ، مبللة بعرق اجسادهم

وقد لا يجد المقاول العدد الكافى من هؤلاء التعســاء .. ومن التعســاء من لا يجد قوته ولكنه يرفض أن يبرح قريته الى ارض لا يعرفها . وهؤلاءلامفر من أنتزاعهم بالامر .. وتصل الى القرية لوريات تحمــل لافتة « الخاصــة الملكية » ويستعين المقاول بالادارة فى شحن اللوريات بالآدميين ... وحــين يصلون الى الارض الملكية تخلى لهم احدى حظائر المواشى القديمة ،يحشرون فيها على روث البهائم ، وهناك يمرض منهم من يمرض ويهرب من يهــرب ويموت من يموت . ولكن الاحياء عليهم أن ينهضوا مع كل فجر ، ويخرجوا معلولين منهوكين ، فاقدى الصحة ، وبغير طعام ، يعمــلون فى الأرض حتى الغروب ، حين يرجعون الى حظائر الماشية كالجيش المنهزم

وينتهى الموســم ، ويتفرقون عائدين الى قراهم .. اكثر جــوعا وعــريا ومرضا مما تركوها .. لم يكسبوا شيئا الا ان حياتهم امتدت هذه الايام !

أما الاجر اليومى التافه فى هذه المدة ، فقد ضاع أكثره فى «الاستقطاعات اليومية » . فهذا اخطأ فى عمله فيخصــم منه ، وذاك مرض يوما فليس له اجر ، وقرب نهاية الموسم توزع عليهم الحبــوب التى أتلفهــا الســوس . ويخصم ثمنها من اجورهم .

وهناك غير عمال التراحيل .. الفلاحون المقيمون .. الذين يستوطنون مع اسرهم قرى المزارع الملكية ونجوعها وكفورها . وهؤلاء جذورهم أرسخ من عمال التراحيل ، ولــكنهم ليســوا مستقرين على أى حال . فالارض التى يستأجرونها مملوكة للخاصة . والبيوت التى يسكنونها مملوكة للخاصة . والمياه التى يشربونها مملوكة للخاصة .. والعقود التى يبصمونها على بياض تحتفظ بها الخاصة .. فماذا يفعل الفلاح ؟

انه لو عارض ناظر الزراعة فقد اضاع نفســه . وأصبح بغير أرض ولا بيت ولا مــاء ولا شيء على الاطــلاق . ولن يجــد فى الارض قوة تحميــه . ناظر الزراعة فى القرية ملكا صــغيرا يدور فى فلك الملك الــكبير ... ملك صغير له بلاط وجنود وسلاح . وله حاشية وبطانة وجواسيس . وله نفوذ يسيطر على المركز والعمدة وشيخ الخفر .. وله بعد ذلك رعايا يعبــدونه . فمن يجرؤ ويفتح فمه ؟

وتصاب الابقار بالحمى القلاعية ، وتصاب الاغنام بالحمى الفحمية .. فياتى الطبيب البيطرى ويتلف منها الرأس والاحشاء فحسب . اما اللحوم بما فيها من جراثيم المرض فتوزع على الفلاحين .. بالثمن !

والحق أن ذلك لم يكن يحدث كثيرا . فقد كانت صحة المواشي الفاروقية جيدة والحمد لله . وكان الملك يبذل لها عناية لا يبذل نصفها للآدميين .. فهى — المواشي ! — تنزل فى بيوت جدرانهـا من الطوب المشطوف ونوافذها من الزجاج الملون ، وفى كل بيت « دوش » وحنفية ميـاه ، وآلة ميكانيكية تقذف روث البهائم الى الخارج . فاذا أصيب ثور أو عجل بعد ذلك كله بشىء. خف اليه نطس الأطباء ... بالحقن والادوية والاحتياطات ، حتى تقوم سليما معافى !!..

وغير المستأجرين ، وعمال التراحيل ، والبهائم المترفة .. يوجد المساجين .. الذين كان الفريق محمد حيدر يجرهم مصفدين فى أغلالهم وراءه أينما ذهب . وهؤلاء كانت تستخدمهم الخاصة فى استصلاح الاراضى البور ، وشق الطرق وحفر المصارف وما الى ذلك

وبعد هذا العذاب الغليظ ، تخرج الارض خيراتها ، وتبدأ الخاصة فى بيعها . ونرى العجب : فاستيراد الفاكهة توضع فى وجهه العراقيل حتى لا تهبط أسعار فواكه الخاصة . وبورصة القطن ترتفع وتنخاض بفعل الاصابع التى تلعب من وراء الستار .. ومن بينها اصابع ملكية

وفى غمرة هذا البحر الواسع من العرق والدم والدموع . يأتى الى مصر زوار اجانب .. فتدعوهم الخاصة الملكية الى زيارة مزارعها النموذجية فى انشاص وغير انشاص .. ويذهب الزوار يشهدون الخضرة اليانعة ، والنباتات النادرة ، والثمار التى لانظير لها ، والابقار الفاروقية الفاخرة ، والتبر الذى يتفجر من الارض الطيبة .. ويعودون ذاهبين . ويدلون بتصريحات عن التقدم العظيم الذى احرزته مصر ... والسعادة التى يرفل فيها فلاح مصر !!

وفى المزارع الاخرى ، يقتدى كبار الملاك بمليكهم .. يلتهمون الاراضى ويكنزون الاموال ويستغلون الفلاحين بنفس الطريقة .. مطمئنين الى ان يد القانون قاصرة دونهم .. والى ان اى اصلاح واسع النطاق فى نظام الملكية الزراعية مستحيل .. ما دام الحاكم بامره هو المالك الزراعى الاول !..

كذلك كانت كل المحاولات لاصلاح نظام الوقف تتعثر فى بعض الطريق ... والقانون الوحيد المتواضع الذى اتيح له ان يرى النور .. تزعم معارضته فى مجلس الشيوخ مفتى الخاصة الملكية — وهو عضو بالمجلس — ونص فيه على استثناء الاوقاف الملكية من جميع احكامه !..

ولم يقف جشعه عند حد الارض الزراعية .. بل اخذ يمتد الى الحياة الصناعية .. فقررت شركة سعيدة اهداءه ١٨ الف سهم .. اى ١٨٠,٠٠٠

جنيه . ولم تخسر شركة سعيدة هـذه الهدية الباهظة .. لان وزير المالية فؤاد سراج الدين وقف فى البرلمان يدافع بكل ما لديه من قوة عن مرسوم بمنح هذه الشركة «اعانة» قدرها نصف مليون جنيه !..

وعرفت سائر الشركات الطريق : ان تجامل الملك ، وحاشية الملك .

.. وهناك غير الارض ، والشركات .. الحكومة . وهـذه اطوع الجميع واسلس قيادا .. لان نفوذه عليها مباشر . وهو الذى لايقيد سلطته دستور، ويحميه القانون من كل نقد او لوم ، يستطيع ان يفعل بالحكومة ما يشاء ..

فهو من ناحية .. كان لايدفع للحكومة شيئا ولا يخضع لقانون من قوانينها. لايدفع ضرائب على ايراداته الهائلة . ولا يدفع رسوما جمركيـة على واردااته الباهظة ... ولكنه يأخذ من الحكومة كل شيء ...

فانت اذا تصفحت ميزانية الدولة .. ولتكن آخر ميزانيـة اقرها البرلمان عن سنة ٥١ — ١٩٥٢ .. تجد ان ميزانية الملك تبلغ ٩١٦ر٣١٥ر١ جنيه .. اى ٢٠٠/١ من ميزانية الدولة .. وفى البلد غير هذا للواحد .. عشرون مليونا! .. ولكن ليس هـذا المبلغ فى الواقع هو كل شيء ... فقـد لجأت الحكومات الى وسيلة بارعة تخفى بهـا حقيقة ما تتكلفـه الدولة لهذا الملك ، وهى ان توزع النفقات على الوزارات المتولية للتنفيذ ... وعليك لكى تعرف ما تتكلفه الدولة له ان تنقب فى ميزانية كل وزارة ...

ستجد فى ميزانية وزارة الاشغال مثلا :

٠٠٠ر١١٥ جنيه .. مصروفات تكييف هواء للقصور الملكية
٠٠٠ر٧٠ جنيه .. لانشاء ثكنات للحرس الملكى
٠٠٠ر٢٠ جنيه .. لانشاء اربع نقط مطافى فى القصور
٠٠٠ر٢٠ جنيه .. لتعديل مطبخ قصر القبة
٤٠٠ر١٧ جنيه .. لصيانة حدائق القصور الملكية .

وستجد مئـات الالاف مرصودة لانشـاء تماثيل الاسرة العلوية ، وشـق شوارع خاصة لاظهار هـذه التماثيل . ومئات الاف اخـرى لترميم القصور الملكية الاثرية ..

ثم تنتقل الى وزارة المواصلات .. فتجد مئات الالاف المرصودة لشق طرق خاصة فى تفاتيش الملك ، ومئات الاف لشراء القطـارات الملكية وصيانتهـا ، وانشاء محطات خاصة بالملك ..

ولعلك سمعت عن « قطـار الملذات » الذى دفعت فيـه وزارة المواصلات للمصانع الايطالية ٠٠٠ر١٧٠ جنيه .: والذى كان حديث الصحف الاوروبية حين انتهى صنعه فى الصيف الماضى : هذا القطار المزود بحجرات النوم اللينة ، والحمامات الفاخرة ، والصالونات الحالمة ، واجهـزة الارسال والاستقبـال ، والتليفونات المتصلة بالخارج .. كان قطعة كاملة من الجنة تجرى على قضبان ..

ثم تنتقل الى ميزانية مصلحة الطيران المدنى ، فتجد انها قد رصدت ١٧٥٠٠٠ جنيه لاتمام المطار الملكي الخاص فى انشاص ..

وهكذا .. فى كل وزارة تقريبا . فلو جمعنا الى ميزانية القصر الملكى، هذه النفقات جميعا ، والضرائب والرسوم التى كان يجب ان يدفعها.. لصعد الرقم الى ما يقرب من عشرة ملايين جنيه .. كانت تنفقها الدولة سنويا على هذا الرجل الذى يستغل ٢٠٠،٠٠٠ فدان ! اى ١/٢٠ تقريبا من الميزانية المخصصة لعشرين مليونا .. فهو يساوى فى حساب الدولة — من هذه الناحية فقط — مليون مصرى !!

فهل يشبعه كل هذا ؟.. كلا .. بل انه يعمد الى عمليات من النصب الصريح . واقرب مثل على هذا النصب الفاجر : قصة فخر البحار ... ولا فخر !

وقد بدأت القصة فى مكتب الاستاذ حسين فهمى وزير المالية .. اذ دخل عليه امير البحار احمد بدر وقال له : انه يقترح على الحكومة ان تشترى «فخر البحار» من الملك لتستعمله فى تدريب الجنود البحريين . وانه يعرض له ثمنا بسيطا .. هو ١٣٦،٠٠٠ جنيه فقط !

ووعد الوزير ببحث الامر .. ولما تحرى عن اليخت عرف ان الملك السابق اشتراه من الامير يوسف كمال بمبلغ ٣٦،٠٠٠ جنيه فقط .. منذ ١١ سنة. وعرف انه لايصلح مطلقا لتدريب رجال البحرية ..

وعاد امير البحر احمد بدر .. وبسط له الوزير نتيجة ابحاثه .

وقال امير البحر ببساطة : الواقع ان الصفقة لايقصد منها ابدا تدريب البحارة . فهذه مسألة لا تهم . وسوف يكون البيع صوريا.. اى ان الحكومة تشترى اليخت ثم تتركه تحت تصرف الملك .. وغاية ما فى الامر ان الملك محتاج الى ثمن اليخت .. ومحتاج الى اليخت !..

ورفض الوزير ان يحتمل هذه المسئولية .. وخرج الوزير، وتمت الصفقة!

وكان هذا السطو والنهب قد اصبح مزاجا متمكنا من نفس فاروق .. فمضى ينهب الناس .. اينما وجد فرصة للنهب ..

كانت الاثار الثمينة تختفى من مصلحة الاثار ومن الحفائر .. ويشمر المحققون عن سواعدهم ويتتبعون التحف الضائعة ، حتى يصلوا الى موظف يقول : تكرم وتعطف جلالة الملك .. ولطشها ! ..

ومن الاثار ما اخذه الملك، ومنها ما اخذه التابعون.. والنفع لابد ان يصحبه الانتفاع .. ولكن اين الموظف الذى يذهب فيقرع باب القصر الكبير ، ويصيح بربه : اين التحف ؟..

وسمع الملك مرة فى احدى مناسبات الجامعة العربية، ان المبنى الموجودة به الامانة العامة غير لائق .. واعلن الرجل ببساطة انه يهب الجامعة قصر

المناسترلى فى الروضة ، على ضفاف النيل .. وتبادل رجال الجامعة القبلات، ورفعت الحكومات العربية الدعوات، وتسابقت الصحف فى نشر آخر المكرمات.
ثم تقدم للجامعة قوم يقولون :
— ان هذا القصر ملك لنا .. فكيف يتبرع به الملك ؟..
وكانت فضيحة عربية ... طويت فى اعماق السجلات !

سرقة الاموات !

كان شاه ايران السابق منفيا اثناء الحرب الاخيرة ، ومات فى المنفى..ورأى امبراطور ايران ان خير مكان يدفن فيه مصر ، البلد الشقيق ، وعند صهره الملك الكريم فاروق ..
وظهر فاروق بمظهر الشهم النبيل .. وامر بان تقام لدفن الشاه جميع الشعائر التى تقام لدفن ملوك مصر .. وارسلت ايران بعثة دبلوماسية كبيرة لحضور الجنازة والدفن ..
وجيء بجثة الشاه ، وامامها من يحمل سيف الميت .. سيف من الذهب الخالص مرصع بالاحجار الكريمة .. وانتهى الدفن ، وتلفت اعضاء البعثة يريدون السيف ليحملوه الى ولد الفقيد .. فلم يجدوه ..
واضطر رجال الحاشية — وهم يعرفون — الى أن يمثلوا دور افرادالعصابة .. ويتساءلوا مع السائلين . اين السيف ؟..
واتجهت الانظار الى القصر ، وتوجهت اليه البعثة بالسؤال .. فجاء الرد : ان مولانا الملك احتفظ بالسيف فى حجرته الخاصة ، وسينتهزون الفرصة لتذكير جلالته بالسيف وعرض الامر على مسامعه الكريمة ..
وعادت البعثة الى ايران .. وثار الشاه لهذه السرقة الوضيعة .. التى امتدت الى الاموات.واصر الشاه على ان يسترد السيف،واتصلت المكاتبات..
حتى ضاق فاروق بالامر وقال : قولوا له اننى لم ار السيف ولم اسمع به ولا اعرف عنه شيئا !..

وسرقة المرضى

كان يزور احمد احسان ، الامين الثالث فى قصره ، وهو مريض فى عوامته الانيقة .. وخرج الملك من حجرة نوم الرجل الذى يلهج بالدعاء المؤثر لهذا التفضل السامى .. ولاحظ فى طريق خروجه ان عوامة الامين حافلة بالتحف الثمينة .. فاشار الى خدمه ان يحملوها الى القصر !..
وقام الامين من فراش مرضه يطالب بالتحف ، ولا يرضى بها بديلا .. واحرج الملك ، فأعاد التحف ، وطرد الامين !..
فهل بقيت جريمة مالية لم يرتكبها هذا الملك ؟..
نعم .. الرشوة ! وكان فاروق يأخذ الرشوة على مائدة القمار ...
فى اثناء حرب فلسطين ، اعتقلت الحكومة عددا كبيرا من اثرياء اليهود ..

فكان يذهب مندوب الواحد منهم الى نادى السيارات، ويلاعب الملك، ويخسر.. عشرة الاف او عشرين الفا .. وفى آخر السهرة يلتمس الافراج عن الخواجة فلان ... فيصدر بذلك النطق السامى !..

والى نادى السيارات عرف كثيرون الطريق ..

فانت تستطيع ان تخسر عشرة الاف جنيه .. وتصبح باشا مثل محمد سلطان !..

وانت تستطيع ان تخسر عشرين الفا ، وتأخذ من الدولة اربعين الفا ، كما فعل سمير بشارة .

وسمير بشارة تاجر ورد الى وزارة التموين صفقة من الصفيح واخذ الثمن المتفق عليه ٥٥٫٠٠٠ جنيه . ولكنه عاد فقال ان الصفقة تستحق ١٠٠٫٠٠٠ جنيه .. فيجب ان يأخذ من وزارة التموين ٤٥٫٠٠٠ جنيه اخرى

وعرف سمير بشاره الطريق الى نادى السيارات ، وخسر على مائدتها ما تيسر ... ثم عرض قضيته ..

وبدأ الناس يقرأون فى الصحف اخبار نشاط خاص يبديه الياس اندراوس فى وزارة التموين.. والياس اندراوس مستشار الملك، فلا بد ان المسائل التى يبحثهامع وزارة التموين خطيرة.. ويروى مندوبو الصحف ان الياس اندراوس «باشا» خرج من مكتب الوزير متجهما مرة.. ومبتسما مرة .. ولكنه يضع على وجهه دائما قناعا من الاهمية والخطورة ..

وكانت مقابلات اندراوس كلها للضغط على وزارة التموين .. وأرغامها على صرف المبلغ لسمير بشارة ..

واخيرا ضاق الملك ذرعا بمماطلة الوزراء .. وعقد اندراوس اجتماعا خطيرا مع محمد هاشم وزير الداخلية فى وزارة سرى الاخيرة .. واستدعى حسين الغمراوى وزير التموين .. وكانت ازمة الجيش فى قمتها .. ولم يتصور احد ان الاجتماع يبحث مسألة سمير بشارة ..

ولكن الايام لم تسعفهم ... فقد طار الملك من عرشه ، ودخل اندراوس السجن !..

فهل عرفت الان وظيفة المستشار «الاقتصادى» لصاحب الجلالة ! ..

بقى ان تعرف وظيفة المستشار الصحفى ، ومستشار السياسة الخارجية ... ولكن تلك قصة اخرى ، سنرويها بعد حين .

شهوة النساء والقمار

فى حياة فاروق منذ اصبح مراهقـا .. فترة واحـدة طاهرة .. تلك هى فترة خطبته للملكة السابقة فريدة والسنوات الاولى لزواجه منها ...

وكان من حظ فريدة ان تلمح البوادر الاولى لتغير فاروق النهائى، ثم شهدت هـذا التغـير يتم بسرعة رهيبـة .. ووقفت وحـدها تدافع موجة الفسق والفسـاد .. تحـاول ان تمنع زحف الوصيفـات اللواتى تكرههن مثل ناهد رشاد وحـرم كريم ثابت .. وحاشية السوء مثل بوللى ومحمد حسن وحلمى حسين .

ولم تستطع فريدة ان تصد الزحف، فقد كان على راسه الملك نفسه . ولم تسـتطع ان تبقى اسـيرة الفسـاد . فركلت التاج وخرجت مرفوعة الراس.


الملكة فريده

وكان الشعب الذى حجبت عنه الرقابة كل الانباء يحس بكل شيء .. وكان غريبا ومثيرا حقا ان يعلن نبأ طلاق فريدة .. فتنفجر المظاهرات فى جميع انحاء القطر مرة واحدة ، كأنها اندفعت كلهـا بزر كهربائى واحد . وسارت مدارس البنات تهتف فى اسـيوط وفى المنيا والقـاهرة وطنطا والاسكندرية هتـافات واحدة :

ــ لا ملكة الا فريدة !

ــ حذاء فريدة فوق راس فاروق !

ــ خرجت من بيت الدعارة الى بيت الطهارة !

هكذا فهم النـاس الموقف . . واصبحوا ينظرون الى القصر الباهر المضيء نظرتهم الى مكان مظلم ، دنس ، تفوح من جنباته رائحة الرذيلة والعار !..

وقد بدأ الملك السابق يمارس «نشاطه» مع نساء محترمات .. محترمات فى حكم المجتمع ان لم يكن محتـرمات بحكم القوانين الاخلاقية . ولـكنه كان يعامل رفيقاته معاملة مهينة ، ولا يحرص على ان يتكلف مع المراة التى تبـذل له كرامتها اى مظهر كريم .. واشتهر عنـه ذلك حتى اصبحت كل واحـدة

تنفر منه ، وتفر من وجهــه ، فلم تبق امامه الا الكباريهات ، وبائعــات الهوى الرفيعات !

ولم تكن المغامرة فى مصر تكلفه مالا كثيرا .. اذ تغنيه سطوته كملك . وكان من الرجال والازواج من يعملون بحكمــة موليير الســاخرة .. التى اطلقها فى احدى مسرحياته مخاطبا زوجا جاء يحتج على مشاركة الملك له فى وزجتــه ، فصاح به :

« ليت شعرى .. هل فى مشاركة الارباب من عار ؟!.. »

اما فى الخارج ، فقــد كان يضطر الى دفع الكثير .. لان الغــانية التى تبيع الهوى فى كان أو دوفيل لن تفخر بأنها صاحبت ملك مصر ، حتى يقنعها هــذا الفخر عن الاجر .. كما قــد تفعل فى مصر غانية .. بدأت مجــدها فى شارع محمد على ! وقد كتبت مجلة « ردار » الفرنسية مرة تتحــدث عن التسعيرة الملكية فقالت « الهبت انباء قرب وصول فاروق الى دوفيل مخيلة الغانيات فى المنطقة كلها .. وهن يذكرن ان الملك كان يدفع فى العام الماضى ٥٠٠,٠٠٠ فرنك لتلك التى تجالسه .. وانه يدفع ثلاثة ملايين فرنك (حوالى ٣٠٠٠ جنيــه) لتلك التى تتشرف برفقته حتى الصباح ! »

ولكن شهوة النساء سرعان ما اصبحت شيئا ثانويا بالنسبة له .. يوم عرف اراقة الوقت والمال على المــائدة الخضراء ... فلم يلبث هــذا الذى بدأ يلعب للتسلية والتجربة ، ان اصبح مقــامرا شرها لايبرح مائدة القمار الا ليستريح قليلا ريثما يعود .



ناهد رشاد

واصبح نادى الســيارات الملكى فى شارع سليمان باشا كعبة القصاد ...

واصبحت حجرة الملعب مكانا تخرج منه الاخبــار ، والتنبــؤات ، والاقوال المأثورة !.. وكم شهدت الحجرة كرامة الرجال ، والوزراء ، والدستور ، وكرامة الدولة كلها .. تراق ..

كان الملك يلعب يوما ، حين حــدثه محمد حسن الخادم الخاص بأن حركة تنقلات ضباط البوليس قد صــدرت وانها قد نقلت من القاهرة الى الاقاليم ضباطا يجب اعادتهم . وكان الضباط يجب اعادتهم لانهم تقربوا الى محمد حسن بالمال او الخدمات . وذكر الخادم مولاه بذلك وهو يلعب القمار ، بمناسبة وجود وكيل وزارة الداخليــة فى ذاك الوقت ــ مرتضى المراغى ــ فى نادى الســيارات .

واستدعى الملك الوكيل العام يسأله ، فقال انه لايعلم شيئا ..
وامر الملك باحضار الوزير فورا .. ومعه كشف حركة التنقلات ..
وفى حجرة القمار ، واللاعبون متحلقون حول المائدة ، ودخان السيجار منعقد .. دخل وزير الداخلية وقد «كبس» الطربوش و «زرر» الجاكته .. واخرج من جيبه كشف الحركة .. وخادم الملك يناقشه فى بعض تفاصيلها، والملك يحسم المناقشة كل حين بنطق سام .. والحثالة من لاعبى القمار جالسين يتفرجون ، على وزير الداخلية فى موقفه المهين !..
ووزير الداخلية المذكور شخص ، فى السياسة المصرية ، خطير !..
وكأنه لم يقنع بأن يتحدى مصر .. فأراد أن يتحدى العالم ... فبدأ يشن على اوروبا رحلات ماجنة .. يثبت فيها لنساء الغرب فحولته ، ويصيح فى ساحات القمار : هل من مبارز ! ..
وافردت صحف العالم صفحات لاخباره .. ووجدت فيه بطلا فاق كل مجان الارض من على خان الى قاطع الطريق جوليانو !
ولنبدأ مع الملك السابق احدى رحلاته الى الخارج ...
فها هو اليخت يصل به الى كابرى . وها هى جريدة « الديلى امريكان » تصف وصوله فتقول انه استأجر فندق « قيصر اغسطس » بأكمله ، ويتكون من ١٥٠ حجرة ، اجرة المبيت فيها ١٢٠٠ جنيه عن الليلة الواحدة غير نفقات الاقامة والاكل . اى أنه دفع فى العشرين يوما ٢٤٫٠٠٠ جنيه للمبيت فقط !
وتستطرد الجريدة قائلة : ان نزلاء الفندق قابلوا وصول جلالته بالسخط البالغ ، لان الادارة اخرجتهم من الفندق وافسدت عليهم عطلتهم استعدادا لاستقبال صاحب الجلالة الذى أصر على أن يكون له الفندق كله
ولايبقى الملك فى كابرى اكثر من عشرين يوما ، يذهب بعدها على راس قافلة الفضيحة الى الزيفييرا .. وتفرد مجلة « تايم » صفحات كاملة تصف فيها يوما من أيام الملك السعيد .. فتقول :
فى الساعة الرابعة بعد الظهر ، ينتبه جميع الراقدين على شاطىء الريفييرا فقد نزل من الدور الثانى بفندق كارلتون عدد كبير من الخدم والحرس ، ومعنى ذلك ان جلالته قد استيقظ . وبعد قليل يظهر فى شرفة الفندق رجل بدين ، له راس ضخم وشارب منفوش ، ويلقى بجسده الذى يزن ٢٢٥ رطلا على مقعد وثير .. ثم يطلب زجاجة كوكاكولا ! ولمدة خمسة عشر دقيقة طل الملك ساكتا لاينطق بحرف ، ثم تقدم منه تابعه واعطاه جريدة ، القى عليها نظرة سريعة ثم القاها على الارض . وبعد دقائق ينطلق فى قافلة من سيارات الكاديلاك الى احدى حفلات الكوكتيل .
وهكذا ــ كما تقول الجريدة ــ يبدأ يوم جديد من ايام فاروق .
وفى الساعة العاشرة ليلا يظهر صاحب الجلالة فى صالة القمار ، ويجلس

الى المائدة التى لايحدد فيها اللعب بمبلغ ما .. وقد فتح قميصه وظهر الشعر الغزير فى صدره ورقبته ، ويكفى بعد ذلك ان يشير باصبعه ليضع تابعه امامه كوما من النقود ! فاذا كسب صاح « كسبتكم ! » وهو يزار بالضحك العالى ، واذا خسر ضحك ايضا ! .. اما خارج الكازينو ، فالناس يتحدثون عن « سوزيت » و « جانيت » وغيرهما ممن حصلن على هدايا ملكية ثمينة

وتصف مجلة « باراد » نفس المشهد فتقول : ان الملك السابق يقضى فى اوروبا اعظم شهر عسل عرفه القرن العشرون . وانه فى كل ليلة ، بينما تنام زوجته الصغيرة نوما هادئا فى فندق كارلتون ، يكون منهما فى لعب السكاراه والروليت ، ويدفع الى المائدة الاف الدولارات وهو يقول ضاحكا : الناس يقولون اننى اخسر ثروات كبيرة فى اللعب .. ولكننى أملك اكثر مما يتصورون

وتعقب المجلة بقولها ان الملك القامر خسر خلال تسع ليال مبلغ ٣٠٠٫٠٠٠ دولار ، اما نفقاته على هذا النحو خلال ثلاثة شهور ، فهذا ما لايمكن احصاؤه! وقد أصبح مألوفا فى اوروبا منظر هذا الملك الذى لا يعنيه سوى قضاء اوقات بهيجة يدفع ثمنها ملايين من التعساء فى مصر !

وينتقل الملك الى دوفيل، وتتسابق الدول فى نشر اخباره، وعناوينها تقطر بالفضيحه .

جريدة « فرانس بريس » تحمل عنوانا مثيرا : فاروق ينتزع قصب السبق فى دوفيل ويخسر ٤ ١/٢ مليون فرنك فى نصف ساعة !

وجريدة « فرانس سوار » تقول فى صدرها : اسبوع عظيم يبدأ فى دوفيل نجمه الاول الملك فاروق .. عشرات من رجال البوليس السرى يحرسون المجوهرات ..

وجريدة « بارى بريس » تقول : الف ليلة وليلة فى دوفيل .. الملك فاروق فى الامباسادور بين البيجوم اغاخان ومدام كحيل ومدام كريم ثابت والاميرة محمد سلطان ! !

ولم يكن القمار كل شىء طبعا .. فهناك النساء .. وفى ذلك تقول جريدة « نيويورك هيرالد تريبيون » : ان الملك فاروق سهل المنال بالنسبة للنساء .. وثمة فتاة تدعى نانسى كوريمى اهتمت بها صحف نيويورك مدة طويلة لانها كانت صديقة عزيزة له .. ويقال انه عندما ذهب الى قبرص اخيرا صحب معه ثلاث عشرة فتاة !

وتقول « بارى بريس » ان وصول ميمى ميدار ابنة احد الاثرياء الامريكان الى بياريتز كان طبقا لخطة موضوعة مع فاروق .. فقد رآها فى دوفيل وسألها : من أين هى ، فلما قالت له انها من امريكا اجاب : سوف اذهب اليها يوما ما ! وفى اليوم التالى تلقت ميمى باقة من الزهور .. وكانت هذه اللفتة السامية سببا كافيا لبث الذعر فى أسرة الفتاة .. فأسرعوا بترك دوفيل ! ..

وتنشر « فران تيرور » نبأ يهم بعض النســاء .. فلقــد عرف ان فاروقا اشترى بعض المجوهرات الثمينة من محلات فان كليف ، ولكن لم يعرف بعد ـ كما تقول الجريدة ـ من ســتكون المحظوظة : هل هى ســامية جمال ؟ ام الراقصة ســيرين اوجيمونا ؟ أم المغنية آني بريبه ؟ انه على كل حــال يحمل المجوهرات فى جيب سترته الايمن . ويقال أن « ســونيا » عارضة الازياء فى محلات كارفن ستكون هى الفائزة .

وفرانس سوار تؤكد ان آني بريبه هى مغنية الملك المفضلة ، وانها احيت موسما فى مصر ، من أجله فقط ..

و « رادار » تقول : أن فاروقا له راقصة مفضلة ، تماما مثل الملك «هيرود» فى التاريخ القديم .. اما « سالومى » الحديثة فاسمها سامية جمــال . وقد شهدت دوفيل فى ليلة من ليالى الشرق الساخنة سامية جمال ترقص حافية القدمين ، فى ثوب مطرز بالفضة ، وقد ارسلت شعرها يصرخ فى الهواء ! ..

ويخطب مصطفى النحاس فى مصر فيتوجه الى البقعة الطاهرة من اوروبا ، التى حل بها الملك الصالح ..

وينتهى الصيف ، ويعود موكب الفضيحة الى مصر .. ويصــطف الوزراء والكبراء لتحية المقامر الشهير، وتطلق المدافع ٢١ طلقة، وتصدر الصحف وقد حلت صدرها بصورته ، وكتبت تقول : عاد الى ارض الوطن من رحلته الميمونة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم .. حفظه الله ذخرا لمصر !!

الموت للخصوم

لعله لم يحدث أن اهتزت العدالة فى مصر .. كما اهتزت فى عهد فاروق . وسوف يتحدث التاريخ عن هذه الحقيقة الرهيبة بالتفصيل .

ولعل فاروقا ـ اذا كان قد درس شيئا من التاريخ ـ لم يدرس الا دسائس الملوك وجرائمهم، والطرق التى كانوا يتخلصون بها من خصومهم . ومن المؤكد انه كان يعجب بجده اسماعيل لانه اغتال وزير ماليته اسماعيل صديق المفتش ونجح فى اخفاء جريمته . وكان يعجب بجده الاكبر محمد على لانه دبر مذبحة القلعة لاعدائه المماليك ونجح فى تنفيذها . ولسنا فى ذلك محتاجين الى ان نحلل نفسيته ومزاجه ، وهو الذى روى عنه انه قال مرة : انه لايحسد احدا فى العالم الا حاكم جزيرة «كميزان» الذى دعا وزراءه الى وليمة على ظهر باخرة ثم ربطهم فى حجارة ثقيلة والقاهم فى قاع البحر .. فاستراح من الوزراء الى الابد !

وهذا الرجل الذى كان يستمتع بأقصى حرياته وامكانياته ، والذى تعود ان يرتكب كل انواع الجرائم بغير حسيب .. ليس غريبا ان ينزلق الى ارتكاب جريمة القتل . وهو الذى تعود أن لايقف فى وجهه انسان .. كان لابد يضيق جدا ببعض الرجال ذوى الصلابة ، الذين لايعرف منهم خلاصا نهائيا .. الا بقتلهم .

وقد عشنا فى عصر فاروق نشهد نوعا فريدا من الجرائم العامة : فالمفروض ان القتل السياسى ينصب على الحكام والمسئولين وذوى السلطة ، وان يكون القتلة من الشباب المعارض المتطرف ... وقد كان طبيعيا ان تقع حوادث اغتيال السر دار وبطرس غالى واحمد ماهر والنقراشى ... وقد قتل هؤلاء جميعا وهم فى السلطة . كما كانت محاولات اغتيال سعد سنة ١٩٢٤ واسماعيل صدقى سنة ١٩٣١ ومصطفى النحاس سنة ١٩٣٧ تقع كلها عليهم وهم فى الحكم .

ولكننا فى عهد فاروق رأينا جرائم الاغتيال تقع على الزعماء الشعبيين وخصوم الملك وهم فى المعارضة، مجردين من السلطة .. مثل اغتيال امين عثمان ومحاولة نسف بيت النحاس ثم محاولة اغتياله بالمدافع الرشاشة ثم اغتيال حسن البنا ..

او تقع على شخصيات عرفت بعداءها للملك والحاكمين ، او احتكت به فى مناسبة ما .. مثل رفيق الطرزى وعبد القادر طه

وهذا وضع غير طبيعى على الاطلاق . ولا تفسير له الا ان الوضع قد انقلب

فاصبحت القوة الحاكمة هى التى تحل بالامن وترتكب جرائم الاغتيال ضد الافراد .

وكان طبيعيا بعد ذلك ان نعرف نوعا من نادرا من التحقيقات «المفتوحة» التحقيقات التى لايمكن ان تنتهى الى الحفظ لان حقائقها تصرخ بان الحفظ مستحيل .. ولايستطاع أن تنتهى الى الادانة الصريحة .. لان المدانين فوق القانون ... وهكذا تظل « مفتوحة » عسى ان يلحقها النسيان

ولسنا محتاجين الى كل هذا الاستنتاج وقد بدأت اعادة التحقيق جديا فى هذه القضايا ، ووصلت الابحاث فى أكثرها الى نتائج حاسمة ... لولا ان التعرض لهذه النتائج بالتفصيل الصريح ، يعد مخالفا للقانون !

ويوم تصبح هذه الاتهامات قضايا، وتصبح احكاما ... سوف تحتاج الى كتب مستقلة بها ، تروى صفحاتها الدامية !

الحاشية والمستشارون

قلنا ان تربية فاروق الاولى لم تكن تربية سليمة او طبيعية ... وقلنا ان الملك فؤادا بعقليته القديمة وطبيعة المستبد، لم يفكر فى ان يجعل من ابنه ملكا ديمقراطيا ، بل كان همه أن ينشئه وله سطوته ، ورهبته ، واستبداده ...

وهكذا وضع فاروق منذ طفولته فى قفص من ذهب . فى عالم غير حقيقى ، لاتتعدى جدرانه اسوار القصور الملكية .. فى القاهرة والاسكندرية . والى ان سافر فاروق الى انجلترا ، لم يحاول فؤاد ان يجعل له اصدقاء .. من امراء فى سنه او فتيان من بعض الاسر ... ولم يحاول طبعا أن يدخله فى مدرسة عامة ، او يضعه فى فرقة عسكرية ، أو يرسله بحارا فى سفينة بحرية ، كما يفعل ملوك الانجليز مع اولادهم . ونشأ حتى هذه السن لايحيط به سوى الخدم والاغوات فى القصر . والانسان ـ حتى ولو كان ملكا ـ لابد له من صداقات ... فلم يكن ممكنا والحالة هذه ان يكون خدم فاروق خدما، بل اصبحوا له اصدقاء .

وانت لاشك تعرف ـ ايها القارى ـ شيئا عن خدم القصور ... فى جميع العصور . انهم ليسوا كالخدم الذين تعرفهم فى بيتك وبيوت الاخرين .. فالخادم فى بيتك لايقبل اهانتك ، لانه يستطيع ان يجد مخدوما غيرك . ولكن خدم القصور يعرفون ان الامكانيات والفرص فى القصر لايوجد لها شبيه . فهم لابد ان يلتصقوا دائما به ، ويعملوا على البقاء فيه بأى ثمن ..

وخدم القصور يحققون اغراضهم ويؤكدون تفوقهم .. بالتسابق فى التذلل والزلفى ، وتحقيق رغبات السيد مهما تكن ، والدس والكذب والخديعة والختل .. وهؤلاء هم الذين صادقهم فاروق فى اول حياته ، وتلك هى الصفات التى عرفها قبل اى شيء .

لم يعرف فاروق اذا صداقة الاكفاء ، واحترام الانداد ... ولكنه عرف احاطة الخدم به ، وتذللهم له ، واستجابتهم الى اغرب مطالبه ، واحمق نزواته ولما اصبح احمد حسنين رائده، ثم أمينه الاول، ثم رئيس ديوانه .. علمه أن من حقه أن يكون سيدا على الجميع ، مرغوبا ومرهوبا من الكافة ... وان لايقف فى سبيل ارادته ارادة .

وكان طبيعيا بعد ذلك ان يكون اصدقاؤه كلهم من هذه الطغمة التى التفت حوله الى أن سقط . وكان طبيعيا أن يظل الى آخر ايامه على العرش لا يقرب اليه الا الحثالات، ولايرى الاشياء الا من خلال الفاسدين والدساسين والمنافقين من طلاب الوصول ...

كريم ثابت


كريم ثابت

كان كريم ثابت صحفيا بالوراثة .. اشتهر بأنه نشأ فى دار المقطم التى كانت لسان دار الحماية والمندوب السامى البريطانى ... كما اشتهر بعبقريته فى الكتابة عن الموضوعات التافهة ! وكانت غزواته الصحفية الخالدة ان يعرف أصناف الاكل التى يحبها ملك ايطاليا ونوع السجاير التى يدخنها ملك الافغان!

وفى سنة ١٩٢٧ .. وفاروق فى السابعة من عمره .. بدات صلة كريم ثابت «الروحية» به ! ...

فقد كتب كريم ثابت مقالا حماسيا خطيرا بعنوان ضخم يقول : نريد ان نرى الامير فاروق !! ..

وفى المقال قال ان الشعب يشكو مر الشكوى ، لانه حتى الان لم ير صورة للامير فاروق .. ولم ير الامير نفسه .. ولم يعرف بالدقة ماذا يأكل الامير ، وكيف يلعب ، والى أى الهوايات يميل !! ..

ولم يثمر المقال غايته المرجوة .. وجاءت سنة ١٩٢٨ ... وكانت مصر كلها فى ثورة تطالب بدستورها المعطل . وفى غمار هذه الثورة استطاع كريم ثابت فى مقابلته مع شاهين باشا طبيب القصر ان يعرف بعض التفصيلات عن الامير فاروق ... فأسرع ينشرها فى مقال عريض ..

واستدعى الملك فؤاد شاهين باشا وزار فى وجهه : انت قرات مقال كريم ثابت عن فاروق ..

وتحللت مفاصل الباشا وهو يرتجف خوفا وقال بصوت مرتعد : ليه .. هوه وحش ؟ ..

فقال الملك : بالعكس .. ده كويس قوى ...

وتنفس الباشا الصعداء ، وأسرع يقول : ده أنا اعطيته المعلومات يامولانا !.

واصبح اسم كريم ثابت اسما قريبا الى قلب السراى !

ومرت السنوات ، واصبح فاروق ملكا ، وكريم ثابت مازال يذرع الارض جريا وراء معرفة امزجة الملوك وهواياتهم .. كأنه كان يستعد لليوم العظيم ، والرسالة الكبرى .. حين تصبح مهمته ارضاء مزاج الملك فاروق وهواياته !

وعلم كريم ثابت أن فاروقا وزوجته الملكة فريدة ذاهبان الى الاقصر لقضاء بعض أيام الشتاء فى فندق « كتراكت » ... فاسرع يشد رحاله الى نفس

الفندق ، طمعا فى نصر صحفى ثمين .. كأن يكتشف كم بيضة يأكلها الملك فى فطوره ! ...

وعثرت الملكة فريدة يوما بابنة كريم ثابت الطفلة ، فداعبتها ، وحملتها بين يديها .. وداعبها الملك .. وجاء كريم ثابت على رائحة الصيد ... فقدمه رجال الحاشية الى الملكة فريدة ، وقدمته الملكة فريدة الى فاروق ...

وكم ندمت الملكة فريدة فيما بعد على ذلك !

واستطاع كريم ثابت من تلك اللحظة ان يلزم مولاه . وبدأ نشاطه «العلنى» باصدار كتاب عن الملك فاروق .. نجتزى من الكلام عنه بنقل فهرسه كاملا . لترى – ايها القارئ – عبقرية كريم ثابت فى نفاق مولاه ... وكيف استطاع أن يقدم سيده الجاهل الفاسق الى الناس فى صورة العالم الديمقراطى الصالح.

الفهرس

الفصل الاول : كيف تشرفت بمعرفة الملك فاروق

وهو يكشف عن ديمقراطية صاحبى الجلالة الملكية ويشرح الفرصة التى اتاحت للمؤلف فى الاقصر شرف التعرف بجلالتيهما

الفصل الثانى : رحلات جلالته الصحراوية – وهو يكشف عن سعى جلالة الملك الى المناطق من بلاده للتعرف عليها . وتقشف جلالته وديمقراطيته واهتمامه بطبيعة الصحراء وما ينبت فيها

الفصل الثالث : كثرة معلومات جلالته وحبه للاطلاع والقراءة – وهو يدور حول كثرة اطلاع جلالته وحبه الكثير للقراءة . واهتمامه بكل ماينمى معلوماته . وبشراء طوابع البريد ومجموعة المداليات والنقود . والحصول على كل ما يفيد مصر من الوجهة العلمية والتاريخية

الفصل الرابع : ديمقراطية جلالته – وهو يبحث فى جولات جلالته وزياراته غير الرسمية – وغشيانه بعض الاندية بمفرده او مع احد رجال حاشيته وتبسطه فى الجلوس والحديث بدون كلفة

الفصل الخامس : فى غيرة جلالته على الدين – يبحث فى احترام جلالته للدين وحرصه على التقاليد الدينية . وخروج جلالته لصلاة الجمعة ونسجه على منوال جده الاكبر والمغفور له والده العظيم فى التسامح الدينى وعدم التفريق بين الاديان

الفصل السادس : فى عطف جلالته على الطبقات العاملة والصغيرة والمحرومة – وهو يبحث فى حب جلالته للفقراء منذ صغره وحدبه عليهم فى كل المناسبات وخاصة فى اعياد جلالته وفى شهر رمضان . واهتمامه بأمر تموينهم

الفصل السابع : الملك الرياضى – وفيه يتحدث المؤلف عن روح جلالته

الرياضية وحبه للرياضة وعناية القائمين بها وتكريمهم وأثر ذلك فى النهضة الرياضية فى البلاد

الفصل الثامن : فاروق المعتز بمصريته ، ومصر المعتزة به — وهو يدور حول حب جلالة الملك لبلاده واعتزازه بكل ما هو مصرى . والتفاف الشعب حول مليكه واعتزازه به .

وقرأ الناس الكتاب الرائع وصاحوا : سبحان الله . . ما هذا بشرا !!.

وأصبح كريم ثابت من حاشية الملك . ثم أصبح له مستشارا صحفيا. ثم جعله باشا ، وقبل سقوطه بأسبوعين جعله وزيرا !

واصبحت مهمة كريم ثابت « العلنية » أن يسير خلف مولاه ، ليحصى مناقبه ، ويسجل للتاريخ حسناته . وينشرها على الناس فى كل حين !

ذهب الملك فى رحلة الى الصحراء فكتب كريم ثابت : انه قام بالرحلة لكى يأخذ نماذج من الماء الذى يجرى فى الصحراء ومن الزراعات وطبقات الارض لكى يقوم بتحليلها فى القاهرة !. وقال ان السيارات تعطلت فى أثناء الرحلة وتعطل جهاز اللاسلكى ، وعجز المهندسون عن الاصلاح . فأصلحها الملك .. الميكانيكى الاول !

وسافر الملك فى رحلة ماجنة فى البحر الاحمر ، فكتب كريم ثابت : انه سافر لكى يبحث عن الثروة المعدنية ويدرس الجزر الصحرية !. وقال « الذين تشرفوا بمرافقة جلالته فى اليخت الملكى رأوا أنه اذا كان هناك رجل واحد لم يتمتع براحة ما فى أثناء هذه النزهة فهذا الرجل هو الملك ! »

وضبط الملك مرة عائدا من سهرة ليلية فى شوارع القاهرة . فكتب كريم ثابت بالنص : « كلما سمح الوقت لجلالته خرج من القصر متنكرا ، وركب أول مركبة يصادفها فى طريقه ، وطلب من سائقها أن ينطلق بها فى الاحياء الوطنية . وهناك « يعكف على درس حالة الطبقات الفقيرة . هذه الطبقات الفقيرة التى لم تفتأ تلقى من عطفه وبره ما يعجز البيان عن وصفه ! »

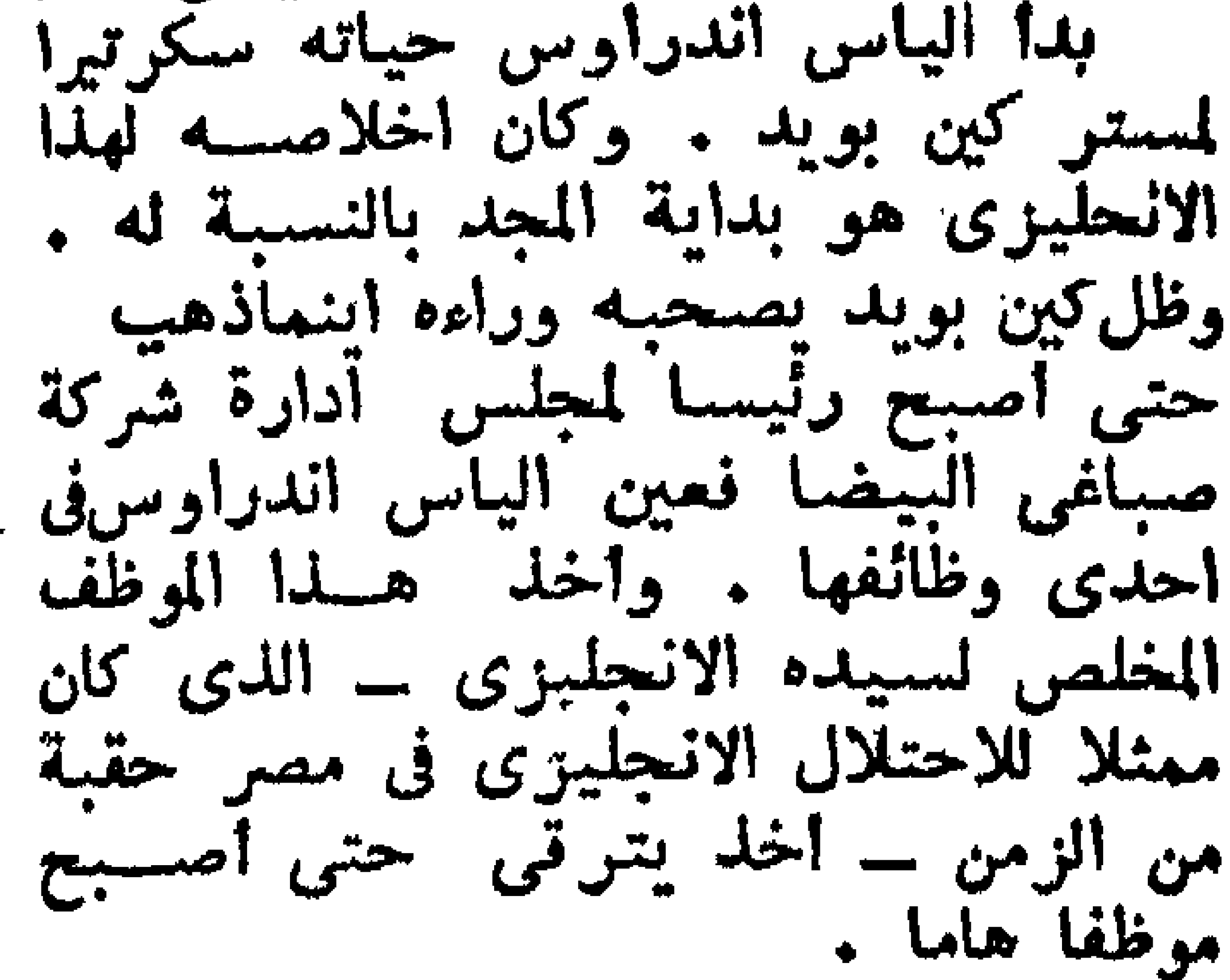
معقول طبعا .. الم يسمه ابوه « الفاروق » تيمنا باسم عمر بن الخطاب ؟!

ودعى الملك لزيارة مطار « بانيفيلد » الامريكى اثناء الحرب فكتب المستشار الصحفى يقول : انه أذهل الخبراء الامريكان بعلمه فى فن الطيران!

بل لقد قابل الملك يوما وزير المكسيك ، ثم باربوزا كارنيرو وزير البرازيل وكتب كريم ثابت يقول : خرج وزير البرازيل دهشا من كثرة معلومات جلالته عن البرازيل ... وقال لى وزير المكسيك : لقد أذهلنى حديث الملك عن المكسيك فكأنما عرفها وأقام بها

وسبحانه تعالى ... يؤتى العلم من يشاء !

الياس اندراوس


الياس اندراوس

بدأ الياس اندراوس حياته سكرتيرا لمستر كين بويد . وكان اخلاصه لهذا الانجليزى هو بداية المجد بالنسبة له .

وظل كين بويد يصحبه وراءه اينماذهب حتى أصبح رئيسا لمجلس ادارة شركة صباغى البيضا فعين الياس اندراوس فى احدى وظائفها . واخذ هذا الموظف المخلص لسيده الانجليزى ــ الذى كان ممثلا للاحتلال الانجليزى فى مصر حقبة من الزمن ــ اخذ يترقى حتى أصبح موظفا هاما .

ونشبت الحرب العالمية الثانية ، واقترب الالمان من العلمين ، واضطر الانجليز فى مصر للفرار الى فلسطين أو الى السودان . وترك الانجليز شركة صباغى البيضا فى عهدة هذا المصرى جنسية ، الانجليزى قلبا ... فأدارها بمهارة ... وعادوا حين زال الخطر ليجدوها سليمة ، مزدهرة نامية .

وكان ثمن الاخلاص عضوية مجلس ادارة الشركة ، وشركات اخرى من التى تقع تحت طائلة النفوذ الانجليزى .

وعرف فاروقا على مائدة قمار . وكان بارعا لبقا فى الطريقة التى يخسر له بها ، وكانه يخسر رغم انفه . وربطته هذه الصلة بالملك فاصبح مقربا عنده ، واصبحت له عنده قيمة سياسية اخرى ترجع الى وثيق اتصاله بالانجليز . فهو يستطيع أن يكون احد عملائهم فى بلاط الملك ، ويستطيع أن يكون سفيرا للملك فى دوائر الانجليز

وعينه الملك مستشارا اقتصاديا له . وقد عرفنا ماهية هذه الوظيفة

وقد أصاب الياس اندراوس وكريم ثابت ثراء عريضا عن طريق اتصالهم بالملك . عين كريم ثابت مستشارا للاذاعة بمرتب ۲۰۰۰ جنيه سنويا . وعين عضوا فى مجلس ادارة شركة قنال السويس مندوبا عن الحكومة المصرية بمرتب ٥٠٠٠ جنيه سنويا . غير المنافع « السرية » التى كانت تعود عليه . كالخمسة الاف جنيه التى اخذها من ميزانية مستشفى المواساة « للدعاية » والتى انكشف امرها فى تقرير لديوان المحاسبة ، وكانت محل معركة عنيفا فى مجلس الشيوخ

وفتحت الشركات أبوابها لرجال الحاشية المقربين للملك ، وعلى رأسهم كريم ثابت والياس اندراوس ، كطريقة وحيدة لحل مشاكلها وتنفيذ مآربها

فكنت ترى الحكومة مكفهرة الوجه ، هائجة مائجة تريد أن تعصف بشركة مياه الاسكندرية . ويجتمع مجلس ادارة الشركة ويقرر تعيين الياس اندراوس عضوا فيه . فينقلب سخط الحكومة الى رضى وثورتها الى هدوء

وتتعقد مشاكل شركة السكر مع وزارة التموين ، ويلوح كان الحكومة تتشدد فى موقفها ، ويجتمع مجلس الادارة ويقرر تعيين كريم ثابت عضوا فيها . فيلين عود الحكومة ، ويسترخى حبلها المشدود

وهكذا .. حتى نشرت جريدة « المصرى » مرة نبأ تعيين الياس اندراوس فى ثلاث شركات فى يوم واحد . وتعيين كريم ثابت فى شركتين فى نفس الاسبوع ! ولم يخف مغزى النشر على احد . فتعيين واحد من هؤلاء فى شركة ما ايذان بحق سوف يضيع على الشعب والحكومة . وربح حرام سوف يجنيه الذين لايشبعون من الارباح

وبعد هؤلاء تجد قائمة طويلة من افراد الحاشية .. أصدقاء الملك

محمد حلمى حسين ، الذى كان « صولا » يقود سيارة الملك . وانجذب اليه الملك كعادته فى الانجذاب الى السفلة من غير ذوى المبادىء ، وبحكم مزاولته له فى المغامرة والجريمة ... فأصبح هذا السائق اثيرا عند مولاه ، واصبح الكبار يتقربون اليه

وكان الملك مرة فى نادى ضباط الجيش ، وكان عزيز المصرى يشغل مركز القيادة . وخرج عزيز المصرى يمر على حجرات النادى فوجد سائق الملك جالسا فى احدى الحجرات وقد التف حوله الضباط وكبار الموظفين يضاحكونه ... وثار عزيز المصرى لهذا المنظر ونهر السائق ، وامره ان يذهب الى الخارج ويقف بجوار السيارة التى يقودها ...

وفى طريق العودة روى حلمى حسين للملك القصة ، فقال له: ضع على كتفك نجمتين !

واصبح ملازما اول . ثم تتابعت عليه الترقيات حتى اصبح اميرالايا ، كتفا لكتف مع ضباط الجيش القدامى . ثم اصبح الملك يرسله الى اوروبا فى بعثات لشراء الاسلحة ... وكان الناس يعجبون كيف يرسله الملك فى هذه المهمة الدقيقة الشريفة ، حتى عرفوا انها لم تكن مهمة شريفة ... فزال العجب !

بل وارسله مرة فى وفد مصر الرسمى لتهنئة سوريا باستقلالها ، ليجلس هذا اللص بين شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية وبين سعد الله الجابرى رئيس الوزارة !

ثم محمد حسن .. النوبى الاسمر الانيق ، البارع الذكاء ، الذى دخل القصر خادما يشرف على ثياب الملك ويخلع له حذاءه . فأصبح اثيرا عند السيد ، مقربا اليه . واصبح يرجوه رجال الدولة وارباب الحاجات الكبيرة!

وليس أبلغ فى الدلالة على نفوذ هذا الرجل من القصة التاريخية التى يرويها وزراء الوزارة الهلالية الثانية : فقد اجتمع الوزراء فى بولكلى يتدبرون الموقف الخطير الذى نجم عن حركة الجيش .. وحاول حافظ عفيفى ان يذهب الى القصر فوجده محاصرا وجاء الى بولكلى منضما الى الوزراء ... وكانت الازمة فى ابانها ، والملك نفسه فى خطر . وامسك حافظ عفيفى بالتليفون ليتصل بالملك فى قصر راس التين فرد عليه محمد حسن . وعبثا حاول حافظ عفيفى ان يخاطب الملك شخصيا ، فقد كان محمد حسن يقول له : عايز منه ايه وانا اقول له ؟.

ففى هذه الساعة الحرجة ، لا يستطيع رئيس ديوان الملك أن يتصل به مباشرة .. لان الملك يكتفى بأن يتلقى الكلام من خادمه محمد حسن !.

وظل محمد حسن على موقفه ازاء رئيس الديوان ، حتى امسك اسماعيل شيرين بالتليفون ، وصاح فيه أن يوصله بالملك ، فلما رد عليه الملك صاح فيه منفجرا : ياراجل عرشك فى خطر ... وباعت لنا محمد حسن ؟!.

ثم انطون بوللى ... الكهربائى

وبترو .. الحلاق !.. والحثالات التى كان منها جلساء الملك واصدقاء جده ولهوه على السواء !

وقد استأثرت هذه الطغمة بصداقة الملك ومزاجه وثقته .. حتى أصبح كبار رجال القصر القدامى اغرابا فى القصر . وكانوا لا يرون الملك الا نادرا ، ومن خلال هؤلاء الخدم ... وقد يحدث ما يسىء الى كرامتهم ، ولكنهم يسكتون

وقد كان ابراهيم عبد الهادى بعد خروجه من رياسة الديوان يروى كثيرا من الصغائر التى كانت تسىء اليه . والتى تدل على نوع حياة الملك ، ومدى اهتمامه بمستشاريه . من ذلك انه دخل على الملك السابق مرة ليعرض عليه بعض الاوراق .. فوجده جالسا مع كريم ثابت يتبادلان رواية النكت البذيئة باللغة الفرنسية ويضحكان فى عربدة . ولما رأى الملك السابق رئيس الديوان قال لكريم : قول النكتة تانى بالعربى علشان الباشا مايعرفش فرنساوى ...

فرد كريم : ولا عربى كمان !

وضج الاثنان بالضحك الشديد ... ورئيس الديوان واقف بقامته الطويلة ، والاوراق فى يده .. لا يدرى ماذا يصنع ؟

الدول الأجنبية أيضا

لم يقف فساد فاروق عند حدود مصر . ولم يقتصر على الاساءة الى كل مرفق وكل ركن وكل معنىً كريم فى البلاد . بل امتد الى خارج الحدود .. يمزق علاقات مصر بالدول الاجنبية ، ويفسد صداقتها ، ويربك وضعها الدولى كله .

وقد روينا قصة سرقته سيف شاه ايران الميت ... وكانت هذه السرقة الوضيعة مصدر ازمة عنيفة وفتور طويل فى علاقات مصر بايران

وروينا قصة سائق سيارته حلمى حسين فى بعثة « الشرف » التى ذهبت تهنىء سوريا باستقلالها . وكان هذا التصرف مصدر احتجاج من حكومة سوريا ، وثورة من صحفها

وهناك قصص أخرى ...

فمنذ سنة تقريبا ، ملأت الصحف فجاة انباء ازمة حادة فى العلاقات بين مصر واليونان . واستدعت الحكومة المصرية سفيرها عدلى اندراوس من اثينا . وعجب الناس لهذه الازمة بلا سبب ... والتى تهدد علاقات مصر بشعب تربطه بنا صداقة طويلة وطيدة

ولكن الازمة كان لها سبب ... وسبب غير مشرف ...

فقد ادلت الملكة فردريكا بحديث نشرته مجلة « لايف » فى انحاء العالم كله .. روت فيه انها كانت مع زوجها الملك فى مصر أيام الحرب العالمية الاخيرة . وان الملك فاروقا غازلها مرة وحاول ان ينسيها واجباتها الزوجية فاضطرت الى ان تلقى عليه درسا قاسيا فى مبادىء الاخلاق ، وفى أن من يخون رابطة الزوجية يكون حيواناً لا تربطه بالانسانية صلة !!

والقصة صحيحة طبعا .. والا لما تحدثت بها ملكة وسيدة وزوجة عن نفسها :

وكانت فضيحة أثارت اشمئزاز العالم كله

وغضب ملك مصر لكرامته ... أو غضبت حكومة مصر لكرامة الملك .. وهددت بقطع العلاقات ... وأخيرا انتهت المسألة بأن أصدرت الملكة فردريكا تكذيبا للحديث .. على أن ينشر التكذيب فى مصر فقط !.

وفى الصيف الماضى كان الملك فى سويسرا ... وذهب يوما للاستحمام فى احدى البحيرات . ولما خلع ملابسه وهم بالقاء جسمه الضخم فى الماء ، اقترب منه أحد المصورين والتقط له صورة ... ولكن الملك استدار بعنف ، وهجم على المصور وانتزع منه آلة التصوير ، وتجمع حراس الملك وانهالوا

على المصـور ضربا .. ولم يقبـل المصور الذى نشـأ فى بلد حر ان يغتصب أحد منه آلته ولو كان ملكا . فذهب الى القضاء شـاكيا ملك مصر بتهمـة الاغتصاب ومطالبا اياه برد آلة التصوير اليه . وحـكمت المحـكمة عليـه فاعطته درسا قاسيا فى احترام الحريات وقوانين البلاد السويسرية .

وخرج الملك من سويسرا غاضبا ليلقي بنفسه فى أول بحيرة ايطالية !.. وصرح للصحفيين بقوله : انني لن اطأ بقدمى أرض سويسرا مرة ثانية !..

ولم تغضب سويسرا طبعا لانه لن يعود اليها ... بل غضبت لهذا التصريح الذى لايليق صدوره من شخص ذى صفة رسمية رئيسية ...

وحملت عليه صحف سويسرا حملة هائلة !

وكانت آخـر مآسيـه مع دولة الباكستـان .. ووزير خارجيتهـا ظفر الله خان

والسيد ظفر الله خان معروف بجراته وصراحتـه ، وقد كان مارا بالقـاهرة فى طريقـه الى بـلده ... و « تشرف » بمقـابلة الملك . وكان الرجـل قد عاش فى الخارج زمنا طويلا ، وقرأ من فضائح فاروق ومهـازله ما يسيء اليـه والى مصر والى بلاد الشرق كلهـا ... وقال الرجل لفـاروق بلباقة مؤلمـة : ان بلاد العالم الاسلامى الآن محط انظار العـالم اجمع . وان اعداءها الكثيرين يتربصون بها ويحصون عليها الاخطاء . وان هذا الموقف يلزم رؤساء الدول الاسـلامية بأن يرعوا فى سلوكهم تقاليد الاسلام وان يتمسكوا بقواعده، وأن تكون حياتهم المستقيمة قدوة لشعوبهم ودعاية أمام العالم أجمع !!

ظفر الله خان

وفهم فاروق المقصود . فنهض واقفا .. وأنهى المقابلة ...

وكتم الملك السابق غيظه ونقمته على الوزير الصريح ... وبات يتربص به. ويتربص معـه الشيخ مخلوف مفتى الديار المصرية .. او بالاحـرى مفتى القصور الملكية .

وانتهز الشيخ مخلوف الفرصة ، وادلي بحديث عجيب : قال فيـه ان ظفر الله خان من طائفة القاديانية ، وهى ملة كافرة ... ولم يقف عنـد ذلك حتى يبقى غرض الحديث مستورا ، بل استطرد يقول : ان على حـكومة الباكستان وهى حكومة اسلامية ان تطرد من وزارة خارجيتها هذا الوزير الكافر !!. لانه لايجب ان يبقى على راس دولة اسلامية وزير كافر !...

وهكذا رد على قول ظفر الله خان انه لا يجب ان يبقى على راس دولة اسلامية ملك فاسق !!..

وثارت الصحف فى مصر والباكستان تحمل على المفتى المدفوع . واقسم الهلالى - وكان رئيسا للوزارة - ليعزلنه من منصبه جزاء وعون. ه ... ولكن الهلالي لم يلبث أن تبين الامر . وعرف ان الملك لا يقبل ابدا أن تمس شعرة من راس مخلوف ... هذه الراس التى تخرج له الفتاوى والتحليلات !!..

***

والمتصلون بسياسة مصر العربية ، والتيارات المحيطة بجامعة الدول العربية ، يعرفون الى أى حد كانت هذه التيارات تتأثر بأهواء الملك السابق وميوله الشخصية

وكانت مظاهر هذه الاهواء تبدو فى صورة فتور مفاجىء فى علاقات مصر « الرسمية » بدول عربية اخرى كالعراق مثلا .. رغم الصداقة الوطيدة ، والمصلحة المتحدة الراسخة بين الشعبين . ولم يكن ذلك الا لتحاسد متبادل بين الاسر المالكة هنا وهناك !. وكان فاروق يتقرب الى الملك عبد العزيز آل سعود ويزوره ويستزيره اغاظة للملك عبد الله فى الاردن !.

ولا ينسى الناس أن تدخل الملك السابق فى السياسة العربية أثر فى مستقبل شعب عربى تعيس .. هو شعب اليمن !.

فقد ثار شعب اليمن وقتل الامام يحيى .. واستولى ابن الوزير على السلطة وفر ولى العهد - الامام احمد - الى تعز - معتصما بها من غضبة الشعب . وهلل الرأى العام فى البلاد العربية كلها ، لا للدم الذى اريق ، ولكن للصفحة الجديدة التى بدأ شعب اليمن يفتحها . وتمنى الناس لشعب اليمن ان يحاول اللحاق بركب الحضارة

وبدا أن الجامعة العربية تؤيد الحركة الجديدة . وسافر امينها العام فعلا لتسوية الامور ، والتفاهم مع العهد الجديد . ولكن رغبات فاروق وعبد العزيز آل سعود ادركته فى الطريق فأوقفته ... ماذا ؟ . ان الملكين يرفضان تشجيع الثائرين بأى نحو . ويطالبان بضرورة اجلاس الامام احمد على العرش . لماذا ؟. لانهما يريان ان ظلما وظلاما يهبطان بشعب ما اهون من ان تتزعزع قوائم العرش فيه او تقل هيبته . ولان هذه الاراء الخطرة تنتقل بالعدوى !...

واجلس الامام احمد على عرش اليمن ... وقطعت رؤوس الثائرين الاحرار بالفؤوس . وعلقت على الاعواد !!

حفيد الرسول !...

جلس نابليون مرة وقد بدا عليه الحزن . وكان قد فرغ من فتح اوروبا

كلها . وسأله الناس فيم حزنه ، فقال :لقد جئت الى هذه الدنيا متأخرا .. فلو انني خلقت منذ الف سنة لاستطعت أن ادعي الالوهية وأن ازعم للناس انني ابن الله فيركع لي العالم اجمع ، اما الان فلو قلت اني سليل الآلهة .. لسخرت مني احقر بائعة سمك في باريس !!.

ايكون هذا هو شعور الطغاة ؟... تعنو لهم الجباه ، وتدين لهم الدنيا، فلا يقنعون ، وينظرون الى السماء !...

ايكون هذا نفسه ما ساور فاروقا ، اذ وجد نفسه . منذ كان مراهقا في الثامنة عشرة قد أصبح طاغية على عشرين مليونا ، وحاكما مطلقا ،واغنى ملوك الارض .. يستطيع أن يسرق ويفسق ويقتل والملايين تقول : يحيا الملك الصالح .. الظاهر العادل ؟.

كم من البشر وصلوا الى هذا المستوى ؟.

ولماذا لا يصبح مقدسا بنحو ما ؟. لماذا لا يتصل بالنبي ... كسائر الملوك والزعماء الذين يقلون عنه .. الملك عبد الله والملك ادريس السنوسي والسيد عبد الرحمن المهدي ... وغيرهم ؟.

ويروي حسين الجندي ، الفتى الاول في قصة النسب ، هذه المأساة فيقول :

« سلمني الملك السابق مذكرة في هذا الموضوع في مأدبة ملكية اقامهابقصر بقصر عابدين يوم ٢١ يناير ١٩٥٢ ، وطلب مني أمام النحاس باشا وسائر الوزراء أن أبحثها بصفتي وزيرا للاوقاف . واستحثني فؤاد سراج الدين على أن أسرع في تنفيذ رغبة الملك . فكلفت حجازيا معروفا وهو الاستاذ امين التميمي ببحث الموضوع . وبعد فترة قدم الي المستندات التي تمكن من الوصول اليها فعرضتها بدوري على نقابة الاشراف التي اصدرت قرارها المعروف !!»

وهكذا اراد فاروق أن يكون حفيدا للرسول .. بالامر

وارادت « المصري » أن تسخر من هذه المهزلة ، فتحدثت عن تفاصيل اكتشاف النسب ، وقالت ان حسين الجندي بعد أن عجز باحثو الوزارة عن اثبات النسب ، عثر على شخص حجازي اسمه امين التميمي ..سبق أن استدعاه الملك عبد العزيز آل سعود ليثبت له نسبا مشابها .. فكلفه باجراء هذا البحث !!..

اي عثر علي محترف متخصص في وصل الانساب !!..

ولكن فاروق اخطأ الحساب ... ولم يفهم كما فهم نابليون .. انالزمن قد تأخر .. وان بحثه عن القداسة والتشريف عن هذا الطريق المفتعل يجعل احقر بائعة سمك في القاهرة تضحك منه !.. ولم تنس شوارع المدن

المصرية بعد تلك الفكاهات الساخرة التى تداولتها الالسن تعليقا على هذا النسب !...

وكان النسب أيضا سخرية البلاد الاخرى ... وفى العراق كتبت جريدة « صدى الاهالى » لسان الحزب الوطنى الديمقراطى تهاجمه وتسخر به ، وتقول ان فاروقا اذا كان يريد بهذا النسب ان يكون خليفة على المسلمين .. فمن شروط الخليفة أن لا يكون فاسقا ولا فاجرا ولا ظالما !...

واحتجت السفارة المصرية في العراق على المقال . وعطلت الحكومةالعراقية الجريدة الكبيرة لمدة سنة . فأضافت الى اسباب السخط بين العراقيين سببا جديدا !...

موكب النفاق

عرفت مصر الكثير عن تقديس الملوك ، طيلة تاريخها منذ آلاف السنين !

عرفتهم آلهة يعبدون من دون الآلهة . . وعرفتهم يحفرون اسماءهم على تماثيل الجرانيت ليخلدوا وتذهب اسماء الفنانين الذين ذاقوا مرارة الخلق الفني ونحت التمثال من الحجر . وعرفتهم يسوقون الآلاف ليقيموا اهراما يدفن فيه فرعون ، أو معبدا تقدم له فيه القرابين ... وعرفت مصر الى عهد قريب جدا . . وحين صار اسلاف فاروق ملوكا . . عرفت ان الحاكم اسمه « ولى النعم » وان يقال له « مولانا » . . وان رئيس الوزراء اذا رفع الى « المقام السامى » كتابا سمى نفسه فيه « الخادم » المطيع ! . . فلما سارت المظاهرات فى شوارع القاهرة منذ سنة او يزيد ، تهتف ان : لا مولى الا الله !. فزع الحاكمون، واسرع البوليس يقبض على الفتيان الكافرين . . الذين زعموا ان لا مولى الا الله . . كأنهم لا يعرفون ان الله اصبح له فى آخر الزمان شريك !

ومنذ اصبح أحمد حسنين رائدا لمولاه ، ثم امينا له ، ثم رئيسا لديوانه . . وهو يدرك ان التقدم الحديث قدسخر للملوك وسائل جديدة غير حفر الاسماء على الجرانيت يخدعون بها الناس عن انفسهم . . وان أدوات الدعاية من ادب وفن وصحافة واذاعة تتيح له ان ينشر تأثيرا واسعا . . وان يبرز ملكه الفاسق الجاهل الطاغية فى الصورة التى يهواها .

وكانت هذه الخطة الواسعة التى بدأ حسنين يطبقها ذات أهداف بعيدة . . هى اقناع الناس تدريجيا بأن تتركز المسئولية فى يد الملك شخصيا ، وان يكون فى سطوته الغناء عن البرلمانات والوزارات المسئولة ونصوص الدستور . .

وانت تلحظ هذه الغاية اذا قارنت بين استبداد فؤاد واستبداد فاروق . كان فؤاد يستبد من خلال الاخرين . . من خلال وزراء يحركهم واحزاب يصنعها ــ ولو مؤقتا كحزب الاتحاد وحزب الشعب ــ اما فى عهد فاروق فقد تضاءلت مسئوليتهم، واصبح فاروق يحكم مباشرة ... وباتت احزاب الاقلية وبرلماناتها شيئا ثانويا كأدوات للطغيان فأنت ترى مثلا برلمانا مثل البرلمان الذى دام من سنة ١٩٣٧ الى ١٩٤٢ ، يتقلب على رئاسة الوزارة فى عهده محمد محمود ثم على ماهر ثم حسن صبرى ثم حسين سرى . . وفيهم واحد فقط هو محمد محمود يمثل حزب الاغلبية فى ذلك البرلمان . . والثلاثة الباقون من غير ذوى الاحزاب ، ولا صلة تربطهم بكراسى الرئاسة الا حظوة الملك ... والبرلمان لايعترض ، وحزب الاغلبية الذى طرد رئيسه لايغضب ! ! ...

وبدأنا نسمع على عهد حسنين أن الملك غاضب لان الناس يهتفون لزعيم ما

ورأينا وزارة تقال لان لافتة طلبت ان « يعيش الملك ويحيا النحاس » معا ، وعلى السواء ... وقرأنا مجلة معروفة الصلة بالقصر ، تهاجم رئيس الوزارة لانه لايدعو للملك ويقدسه ويسبح بحمده كلما القى خطابا .. فتقول مبررة اقالة الوزارة :

« .. وقد لوحظ ان التحيات الموجهة الى الملك اخذت تتضاءل على لسان رفعته (اى النحاس) بمرور الايام ، وانتهت بأن القى خطابه فى عيد الفطر المبارك قبل اقالة الوزارة دون ان يذكر الملك فاروقا بكلمة واحدة ، او يختم خطبته بالدعاء المعتاد، بل انهاه بقوله « كل عام وانتم بخير » ... وهكذا طغى النحاس وتجبر ، وهكذا نسى ابسط قواعد الذوق والادب مع سيد البلاد ، وهكذا كانت حوادث « الجليطة » المستمرة ، المتكررة ، التى لاتنتهى واحدة الا لتبدأ « جليطة » ابشع منها !! »

واحزابنا تحب ان تحكم . ووزراؤنا يحبون ان لايتركوا الحكم . وكبار موظفينا يريدون ان يرتقوا ... فاذا كان ثمن ذلك كله هو الزلفى ، والرياء ، والتحدث بالكذب ، وقول غير الحق ، والسير فى موكب النفاق .. فما أهون ذلك كله ! ...

وتدفق سيل النفاق ! ..

رئيس الوزارة ــ ايا كان ــ لايترك فرصة الا ويسبح بحمد الملك . فان كانت المناسبة وطنية فهو الوطنى الاول . وان كانت علمية فهو العالم الاول . والمناسبات كثيرة وتتكاثر باطراد .. فهناك عيد الميلاد وعيد الجلوس وعيد توليه سلطته الدستورية، وذكرى نجاته من حادث القصاصين .. وهناك اسبوع اسماعيل واسبوع فؤاد وأسبوع محمد على ... الى آخره ....

ولاتسنح مناسبة من هذه المناسبات ، الا ويقبض رئيس الوزارة على الميكروفون ، ويهمس ضارعا : «مولاى» ثم يمضي متغزلا فيه ... متحدثا بفضله ، حديثا تكرره الاذاعة فى اليوم الواحد خمس مرات ، حتى ترغم من لايريد السماع على ان يسمع قولا من هذا الطراز :

« سبحانك اللهم ما أعظم شأنك ، واعز سلطانك ، وأوضح برهانك ! آتيت فاروقا الملك والسداد فأصبح عرشه فىوادى النيل قبلةآمال المواطنين ومعقد رجائهم واطماعهم ، وآية وحدتهم وكلمة اجماعهم . وقد ملكت قلوبنا سجاياه وشفانا الطيب من رياه ! وآمال مصر بين يديه فى عزه الذى لايرام ، وكنفه الذى لايضام . لازال ظله على الوطن مديدا ضافيا ، ونوره للبلاد مضيئا هاديا !! »

والكلام والسجع للرئيس السابق ــ لا فض فوه ــ احمد نجيب الهلالى !

وعلى هذا المنوال مضت احاديث الرسميين .. حتى ظن الناس يوما ان الوزراء والكبراء وشيخ الازهر ومفتى الديار لاعمل لهم الا التسبيح بفضل

الملك ، والاشادة بفضله، وتحليل حرامه ، وتزيين منكره بعمة التقوى وسبحة الورع !

ولم يعد اسم الملك يحفر على التماثيل كالفراعنة ... بل اصبح يدمغ به في كل شيء .. فأى مدرسة تفتح ، أو مبرة تقام، أو طريق يشق ، أو مستشفى تنشأ .. لابد أن تسمى باسم فاروق أولا ، ثم بأسماء من يعول !! ..

وقد تبين اخيرا ان المدارس فقط ، المسماة باسم فاروق وحده ، تبلغ ستا وتسعين عدا .

وكانت هناك زلفى باهظة الثمن ... كتلك التماثيل التى تقام تخليدا لذكرى أسلافه العظام من اسماعيل فنازل ... والمساخر التى كانت تنفق

ومن هذه المساخر ما حدث فى تمثال فؤاد الذى كان مزمعا اقامته فى ميدان عابدين .. فقد تبين بعد ان تم صنعه ان يد التمثال اليمين قد نقص منها اصبع ، وبقى فيها اربع اصابع فحسب ... وقال قوم فلنضع التمثال .. ولن يرى احد ان اصبعه ناقصة وهو على هذا الارتفاع .. وقال الاكثر ولاء مستحيل !.. فاصبع الملك شيء خطير .. وقال صانع التمثال انه يأخذ لكى يصنع الاصبع الناقص ١٥٠٠ جنيه !!..

الاذاعة

والاذاعة هى مرفق الدولة المختص بالدعاية ، فكان لابد ان يصيبها من هذا النفاق شر عظيم ...

ودخل دار الاذاعة الشر فى اعطاف كريم ثابت ، حين عينوه مستشارا فنيا لها . واصبح معروفا ان الوزراء يتغيرون ، والمديرين يتعاقبون ، وكريم ثابت لايتغير . وعرف الموظفون ان من يريد ان يعبد وزيرا او مديرا فان الوزير يزول . وأما من يعبد كريم ثابت .. فان كريم ثابت باق لايزول !..

واخذت الاذاعة تتحول شيئا فشيئا الى أداة ضخمة تسبح بحمد الفاروق على ثلاث موجات !...

كانت نشرة الاخبار تذهب الى على خليل ـ مندوب كريم ثابت ـ قبل اذاعتها. ويكون فيها خبر عن زيارة قام بها الملك السابق لمرفق ما .. فيمسك انوكيل الهمام بقلمه ويمضى يضع وراء كل مرة يرد فيها اسم الملك تعبيرا من نوع .. حفظه الله .. ابقاه الله .. اعزه الله .. ويتضاعف بالدعوات طول الخبر !...

وكانت الاغانى والبرامج .. بل والنواشيح ! تقدم اليه فيشير على مؤلفيها بان يذكروا الملك بطريقة ما ..

وقد حدث مرة ان كتب مؤلف اغنية عن حبيب اخذ حبيبته الى حديقة ، ومضى يناجيها تحت حفيف الاشجار وضوء القمر .. الى آخره. واشار على خليل ان يضيف مثلا ان الاشجار كانت تغنى لملك الوادى !. او شيئا من هذا

القبيل . واضافها المؤلف . . وقال الحبيب لحبيبته ــ فى الاغنية ــ انالاشجار تسبح بملك الوادي . . ولو اخذ حبيب حبيبته الى خميلة ليحدثها فى ضوء القمر عن فاروق . . لبصقت فى وجهه !

وعرفت الاذاعة شيئا اسمه البرامج الملكية . . والبرنامج الملكى مساحة كبيرة ــ كخريطة الحائط ــ من الورق الابيض الفاخر ، ينكب عليها خطاط بارع ، يكتب بخط «همايونى» أو «فارسى» برنامج الاذاعة فى اسبوع !. .

ويترك على خليل مكتبه ويقول انه ذاهب يشترى «الشريط!» . . ويذرع المحلات بحثا عن شريط حريرى اخضر جميل . يعود به ظافرا . ليربط به البرنامج الملكى . . وفى سيارة يمضى خلف كريم ثابت الى القصر ليسلم البرنامج الملكى الى خادم او تشريفاتى . . وتتكرر القصة كل اسبوع !!. .

وكنت اعرف واحدا من الناس يحصى عدد المرات التى تسبح فيها الاذاعة باسم الملك فى اليوم . . وكان يسجل كل مرة رقما قياسيا . .

وكنت اعرف آخر يقول : لم يبق الا ان نسمع المذيع فى الصباح يقول : الشيخ محمد رفعت يقرأ عليكم ــ فى ظل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ــ سورة البقرة !!.

. . والصحافة !

وقد نجد للوزراء ، والموظفين ، والاذاعة عذرا . . . ولكن . أى عذر نسوقه دفاعا عن اصحاب الصحف ؟. .

لم نكن نطلب من الصحف أن تقاوم الملك ، بل كان يكفينا منها ان لا تبالغ فى تمجيده . كان يكفى ان تقول الجريدة فى عيد ميلاده مثلا : انه عيد سعيد ، وان تدعو له بطول العمر ، وتنتهى المسالة . . ولكنها كانت تتسابق فى تدبيج المقالات الطوال عن عبقرياته وامجاده واصلاحاته !. . .

وكنت تجد اصابع حسنين فى قصص كثيرة تكتبها الصحف . . وكان حسنين متغلغلا يبتكر القصة للصحيفة ، ويختار الاغنية لام كلثوم ، والنكته لنجيب الريحانى .!

اقرا معى :

« رايت الملك وهو يسير فى احد ازقة قرية ، ويدق بيده باب بيت فلم يجد احدا ، فانتظر الملك قليلا وقال : لعل اصحابه مرضى !

ولكن الباب لم يفتح فقال الجيران : ان اصحاب البيت تركوه رغم مرضهم ليحيوا الملك . فقال لهم جلالته : سلموا لى عليهم !

ثم رأينا جلالته وهو يطرق باب بيت آخر ، ففتحت صاحبة البيت بابها فحياها الملك ، وقال لها « انا فاروق ! » جئت اسال عنكم واسالكم ان كنتم تريدون شيئا . . فرفعت صاحبة الدار يدها المرتعشة دعاء وشكرا . فقال

لها جلالته وهو يحنو عليها : اطلبى ماتشائين .. فقالت : أريد ان اقبل يدك. فصافحها جلالته .

وخرج الملك من اكواخ القرية وقد انقلب هدوؤها الشامل الى مظاهرة حماسية دوت فيها الهتافات والزغاريد وقرع الطبول والكل ينادى :

ــ فاروق .. فاروق .. ربنا يخلى لنا فاروق ..

وعندما ركب جلالته قطار الديزل الخاص من المحطة لم يكن يتحدث عن هذا الاستقبال العظيم ، ولا عن الحماسة المنقطعة النظير ، ولا عن الحب الفياض الذى كنا نراه فى عيون الرجال والنساء والاطفال .. ولكن كان جلالته ساهما، وقد جلس وحده يفكر ، واسند راسه الى يده ..

كان الملك يفكر فى هؤلاء المرضى المساكين ، هؤلاء الفقراء المحرومين ، هؤلاء الجياع المنبوذين ، الذين كانوا يهتفون بحياة منقذ الصعيد ..

وشعرنا عندئذ بأن الملك يريد ان يفعل شيئا لهؤلاء البؤساء .. ولكن احدا منا لم يعرف ماذا ينوى أن يفعل الملك !! »

ولا تضحك ــ أيها القارىء ــ فقد كنت تقرأ هذا الكلام !

بل ان كاتبا كبيرا مثل العقاد ، امسك قلمه « الجبار » مرة ليكتب :

« اننى لم أسعد من قبل بفرصة كهذه الفرصة الواسعة لاستجداء طلعة المليك عن كثب والاصغاء الى جلالته على انفراد ، فى جو لا مثيل له بين أجواء اللقاء والحديث ، لانه جو الملك والديمقراطية ممثلين فى شخصه الكريم اجمل تمثيل ، مجتمعين فى سماعه وكلماته وارشاداته احسن اجتماع

« لقد سمعت فى هذا الحديث الواحد كلام فيلسوف وكلام وطنى غيور وكلام محدث ظريف . وطاف بخاطرى ذكر الايمان وذكر الوطن وذكر الملك وذكر المعاش الذى يشغل قلوب ابناء الحياة . طاف بخاطرى اجل مايطوف بالخواطر من أمور الدنيا والدين ! »

ومع ذلك ، فهذا « الفيلسوف الورع » الذى وصفه العقاد ، وجدوا فى مخدعه بعد خلعه كتابا واحدا .. يعرفه ارباب « الغرز » والليالى الحمراء .. اسمه : رجوع الشيخ الى صباه !! ...

فهل حجب كل هذا الضباب عن الناس شيئا من حقيقة هذا الملك الضليل؟

كلا ... فان هذه الملايين المؤمنة الصابرة ، المريضة الجاهلة ، كانت تعرف الحقيقة .. وكل الحقيقة ! ...

وكان بينها احرار رفضوا السير فى موكب النفاق ... وتقدموا كجنود المقدمة يقتحمون الشقة الحرام ... يهزون هذا الملك على عرشه ، ويحصبون التاج الزائف على راسه ...

الأحرار يزحفون!

ايها العبيد .. انهضوا ! .. انهم لا يبدون
امامكم عظماء ، الا لانكم راكعون !
توسان

الصفقة الدامية

فى يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وعند منتصف الليل .. اعلنت الحكومة المصرية ان الجيش سيدخل فلسطين لتأديب عصابات اليهود ، وحفظ عروبة القطر الشقيق .

واهتز الناس للنبأ حماسة ... ومضوا يشجعون الجيش الذاهب بكل ما فى نفوسهم من حرارة ونخوة وآمال عراض ... واندفع الجنود الى الارض المقدسة يحملون ارواحهم قبل اسلحتهم ، لصد الغزو اليهودى ، وما وراءه من انجليز وامريكان واستعمار

رجل واحد كان ينظر الى خريطة القتال نظرة المقامر . ويبتسم ابتسامة اللاعب المستمتع بلعبته : هو فاروق . وكان فى المغامرة جانب مضمون له .. اذا لم يتحقق النصر العسكرى .. ذلك هو الربح المادى . فقد كانت حرب فلسطين فرصة فريدة لعقد صفقة هائلة .. اكبر صفقة فى تاريخ هذا التاجر غير الشريف . ولم يكلفه ثمنها اول الامر غير بضعة آلاف من الارواح .. رخيصة عليه ... ولكنها كلفته آخر الامر عرشه نفسه .

وانى لاقلب صفحات تاريخنا الحديث، فلااجد فترة اختفت فيها المسئولية الوزارية ، وانطمست حدود الدستور ، واصبح فيها الملك حاكما مباشرا ... الى الحد الذى تحقق فى فترة حرب فلسطين ، على يد وزارة من الاقليات ، يرأسها محمود فهمى النقراشى .

كانت الساعة حرجة جدا . ومصر فى حرب خارج حدودها لاول مرة منذ عهد الوالى سعيد . والشهداء يتساقطون كل يوم بالمئات ، والخزانة العامة تصب اموالها فى جيوب التجار ... ومع ذلك فقد رضيت الوزارة فى هذه الساعة الحرجة جدا ، ان تترك كل شىء للملك ... الملك الذى يعرفونه طائشا جاهلا نصابا !

وهذا هومعنى الوزارةالتى لاتستند الىارادة الشعب .. فتلوذ بارادةالملك!

وكانت الوزارة اول الامر تعارض فىدخولحرب فلسطين. واعلن النقراشى فى جلسة سرية لمجلس النواب أن فلسطين لن يدخلها الا متطوعون . وكان هذا الراى يستند الى تقارير الضباط انفسهم ، والقادة الذين سيحملون المسئولية ، والذين قالت تقاريرهم ببساطة : ان الجيش غير مستعد .

ولكن اوامر فاروق صدرت بفتح فلسطين. ودعكمن السذاجة السياسية التى انطوت على هذا التصرف ..وتأمل المقامرة بكيان جيش غير مستعد .

والنقراشي يقف فيمجلس النواب ، على نفس المنبر ، يدافع عن دخول الجيش ويزعم انه مستعد تماما !

ولم يهتز ضمير واحد للارواح التى ستبذل ، والدماء التى ستشربها الصحراء .

وكانت الحرب تدار من قصر عابدين . وكان فاروق بين ساعات لهوه وفسقه يأمر بالاستيلاء على المجدل .. والزحف على اسدود ... ويسرع حيدر «وزير الحربية» باصدار الاوامر .... ويحتج القواد فى الميدان ويبصرون بالعواقب .. ولكنهم آخر الامر يطيعون .

ويكفى ان ننقل تلك الرسالة التى كتبها اللواء فؤاد صادق ، ردا على تقرير للواء المواوى ، كتبه له حين سلمه قيادة الحملة فى فلسطين .. فقال :

« افهم انك تعني انكامرت بتمثيل رواية هزلية بالجيش المصرى علىمسرح فلسطين كنت انت افرادها وجنودها وبطلها الاول ، فقد اعطيتنى صورة واضحة لحالة القوات التى ساتولى قيادتها لحين عودتك بعد فترة الاستجمام والتى ارجو ان تكون قصيرة »

وجهل حيدر ، القائد العام ، معروف . فهو ضابط الجيش ولكنه لم يعمل فى الجيش قبل ان يصبح قائدا عاما له .. الا سنةواحدة . اماخدمته فكانتفى البوليس ثم فى مصلحة السجون . وفى البوليس تقرب الى القصر بقسوته البالغة فى ضرب المتظاهرين ، والتنكيل بالذين ينادون بالدستور . وفىمصلحة السجون تقرب الى فاروق بوضعه السجون والمساجين تحت تصرفه ، ورهن سخرته . ومن اجل ذلك اصبح قائدا عاما !

وترك الملك السابق له حرية التصرف مرة واحدة . حين حوصرت قوة من الجيش المصرى فى الفالوجا . وقيل له ان يرسم خطة لانقاذها . وحار الرجل ماذا يصنع ... وكانه خجل من ان يستعين بمرؤوسيه ... فأرسل الى جلوب باشا الانجليزى فى عمان .. يطلب منه وضع خطة لانسحاب قوة الفالوجا !! ورسم جلوب باشا الخطة ، وكانت تقضى بأن تدمر القوة اسلحتها جميعا ، وتنسحب بلا سلاح ، تحت ارشاد ضابط انجليزى . ووافق حيدر على الخطة . وارسلها الى قائد الفالوجا ... الذى مزقها ، وطرد الضابط الانجليزى . وبقى فى مكانه الى أن انسحب انسحابا كريما ! ..

وفى اوروبا كان عملاء الملك يعقدون صفقات السلاح الفاسد، ويرسلونه الى فلسطين ليتفجر فى ايدى الجنود وقلوبهم . وكانت هذه العملية الجهنمية تدر مئات الالوف ربحا . وكان وزير الحربية — حيدر — يعرف . والوزارة كلها تعرف . ولكنها كانت تلوذ بالصمت لان التاجر هو الملك .

وكانت الوزارة قد فرضت الاحكام العرفية . وسلط ابراهيم عبد الهادى سوط الارهاب على الشعب ... ورأى الشعب شبابه تهدر كرامته وآدميته

فى السجون . والتحقيقات بلا ضـــمانات . فلم يكن ممكنا ان يتحدث أحد عن الاسلحة الفاسدة، و فضائح حملة فلسطين، قبل أن يسقط ابراهيم عبدالهادى وتلغى الاحكام العرفية ، وتطلق الحريات .

قضية الاسلحة الفاسدة

الحرية هي اثمن ما يجب أن نحرص عليه .

دائما ، يجب أن نذكر هـذه الحقيقة . وامامنا هـذا الدرس المعظم : فان السنتين اللتين اطلقت فيهما الحريات (١٩٥٠ و ١٩٥١)، هما اللتان اتاحتا للاحرار ان يتحركوا .. وان يعبئوا الرأى العام بغضا لسارقيـه ، وسخطا على غاصبيه ... وفي هاتين السنتين اتجه الهجوم الرئيسي ـ لاول مرة ـ الى الملك رأسا بوصفه المجرم الاول ، الذى تعيش في ظل جريمته الكبرى سائر الجرائم ... ولم تكن حركة الجيش الا نتيجة منطقية لكفاح الاحرار في هاتين السنتين المضيئتين .

وكان لابد أن يتصدى بعض الاحرار لهذه المهمة الصعبة ...



محمود محمد محمود

وبدات المهمة في مكتب رئيس ديوان المحاسبة ، محمود محمد محمود . وشهد هـذا المكتب وسطاء يحاولون اقناع رئيس الديوان ان يحذف من تقريره فضائح حرب فلسطين ، لانها تمس الملك شخصيا . وشهد المكتب رئيس الديوان وهو يأبى ، ثم يجمع اوراقه ، ويستقيل .

استقال محمود محمد محمود ولكنه سكت . وتشمم الناس رائحة الفضيحة ولكنهم لم يدركوا كل جوانبها . وكان لابد من لسان فصيح يتكلم عن رئيس الديوان الساكت ، ويضع النقط الاولى فوق الحروف ...

وتقدم مصطفى مرعى .. والخطر يحف به . والناس ينظرون اليه وكانهم ينظرون الى مجنون تراهن ان يقبض على الجمر . ودارت حوله الوساطات ثم التهديدات . واقتربت ساعة الاستجواب ، ووقف مصطفى مرعى يتكلم في صمت بمجلس الشيوخ ، فاذا به يقول ما لم تسمعه القاعة الوقور قط . ويشير باصبعه الى المجرمين الذين كانت العيون ترهب ان تشير اليها بالنظرات

ووقف سراج الدين ومصطفى نصرت يدافعان عن المتهمين الكبار . ويتلقيان الاوساخ في وجهيهما حتى لاتذهب الى المجرم الاكبر الذى يقف خلفهما ...

وخرج مصطفي مرعي من مجلس الشيوخ كما خرج محمود محمد محمود من ديوان المحاسبة ...

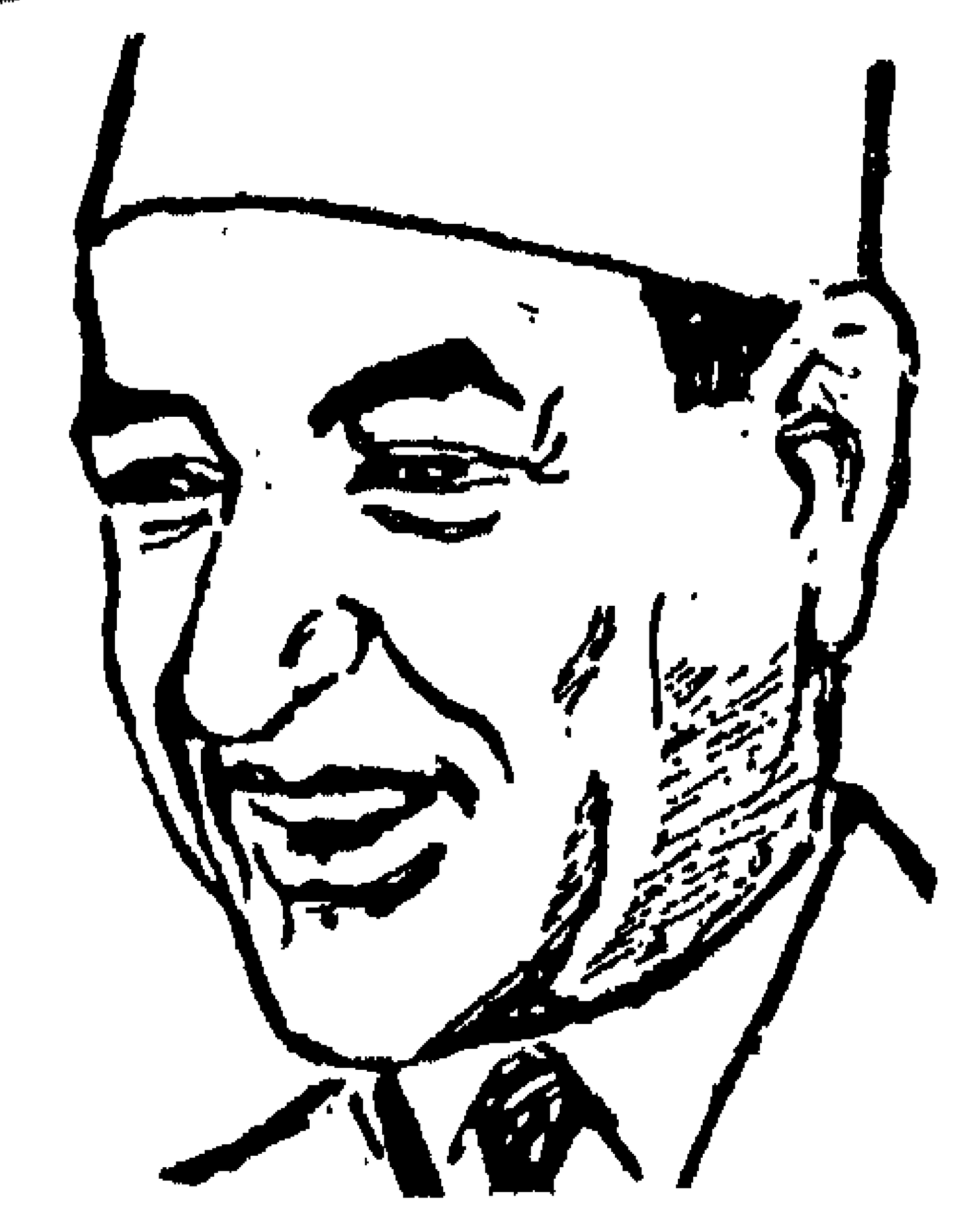
وبدا ان القضية انتهت . وان دماء الشهداء لن تجد بعد اليوم من يتحدث عنها . ولكن الوقائع النابضة بالدم كانت تصرخ انها ماتزال حية . وكان لابد من ان يتقدم محارب ثالث يلتقط الكرة التي سقطت من يد محمود محمد محمود ، ومصطفي مرعي ، ويدخل بها الى الهدف .

وتقدم احسان عبد القدوس .

ولم يكن في تقدمه يركن الى عمل سلبي مأمون العاقبة مثل محمود محمد محمود . ولم تكن تحميه مثل مصطفي مرعى حصانة الشيخ ، والقوانين التى تحمي كلامه تحت قبة البرلمان . بل كان يحارب في العراء .. وهو يزحف الى هذا الحصن الهائل ، المدجج بسلاح القوانين ، المحتشد بجند المنافقين، وليس في يده سلاح غير قلمه .. ومجلته « روز اليوسف » ...

ويروى احسان عبدالقدوس قصةاهتمامه بقضية الاسلحةالفاسدة فيقول:

« في يوليو سنة١٩٤٩ كنت في ايطاليا وسمعت هناك عدة احاديث عن صفقات الاسلحة التي عقدها مندوبو الجيش المصري ووكلاؤه ، وكانت هذه الاحاديث تشمل تفاصيل دقيقة وتشمل ارقاما وتواريخ، وكان يهمس بها في اذني رجال اثق في معلوماتهم بحكم مناصبهم الرسمية ، ورغم ذلك فقد كانت مجرد احاديث ، قد تقال في صالون ولكنها لا تصلح للنشر لانه يعوزها المستندات والادلة .



مصطفي مرعي

وهالني بعد ذلك ان هذه الاحاديث لاتدور في اوساط محددة ، بل انها تدور في كل مكان وعلى لسان كل انسان . وكان يكفي ان تجلس في مقهى « الدونيه » بروما او تطوف بميدان « الدوم » في نابولي ، ويعرف عنك انك مصرى ، حتى تسمع قصة صفقة من صفقات الاسلحة والذخائر .

وارسلت من روما برقية الى « روز اليوسف » الفت نظر الحكومة المصرية الى هذه الاحاديث التي تؤذى سمعة مصر وسمعة جيشها ، واطالبها باجراء تحقيق في هذه الصفقات ومحاكمة المسئولين عنها ، وقد نشرت هذه البرقية تحت عنوان « محاكمة مجرمى حرب فلسطين »

واعتقدت بذلك انى قد اديت واجبى .. وانتهيت !

وعدت الى مصر فى شهر اغسطس، فتبينت انى كنت مغرورا عندما اعتقدت أن برقية واحدة تكفى كى تحرك الحكومة المصرية بجلالة قدرها ، للتحقيق فى حادث ما ، حتى ولو كان هذا الحادث يمس سمعة مصر وكرامتها وهيبتها

فبدأت اكتب فى كل مكان استطيع ان اكتب فيه ، وكنت اكتب تلميحا لا تصريحا ، واحرص على ذكر « الجيوش العربية » بدلا من تحديد الجيش المصرى بالذات .. ولكن كان قلمى اضعف من أن يلفت نظر احد من المسئولين رغم كثرة خطابات التأييد التى كنت اتلقاها من غير المسئولين

ولم يهتم بى احد ، ولم يصدر بلاغ بتكذيب ما لمحت اليه فى مقالاتى ، رغم ان بعض هذا التلميح كان اقرب الى التصريح ..

الى أن انتهى الاستاذ محمود محمد محمود رئيس ديوان المحاسبة السابق من وضع تقريره ، واشار فيه الى بعض صفقات الاسلحة والذخائر ، اشارة صريحة مدعمة بالوثائق والمستندات .

ولكن تقرير الديوان لم ينته الى التحقيق مع المتهمين ، واخراجهم من مناصبهم — على اقل تقدير — بل انتهى بخروج رئيس الديوان واضع التقرير فقد طلب منه أن يحذف من تقريره ما جاء خاصا بصفقات الجيش فابت عليه كرامته ، وفضل أن يستقيل .

وهنا تبينت ان الذين يقفون وراء هذه الصفقات اقوى مما كنت اعتقد ، واقوى من أن ينتصر عليهم قلم ، بل اقوى من الرأى العام

لم تضع استقالة رئيس ديوان المحاسبة هباء ، فقد حمل العبء عنه مصطفى مرعى بك ، وحمله فى قوة ، وفى جراة لم يكن يقدم عليها انسان الا كمصطفى مرعى .

وانى لاذكر حديثا دار بينى وبين مصطفى مرعى قبل ان يقف وقفته فى مجلس الشيوخ بعدة اسابيع ، قال لى فيه «اننى ليس لدى ما اخشى عليه، ولكنك لا تستطيع أن تتصور مدى ما يستطيع هؤلاء الناس ان يرتكبوه فى حق الناس ، ومدى ما يلزمنا من قوة النفس كى نتحمل ونقاوم ونتقدم »

ووقف بعدها فى مجلس الشيوخ يقلب صفحات تقرير ديوان المحاسبة ، ويطالب بحق مصر فى صيانة اموالها وكرامتها وسمعتها ، وأرواح جنودها وضباطها .

فماذا حدث ؟...

حدث ما لم يتوقعه أحد ، فقد قامت الحكومة ممثلة فى فؤاد سرج الدين تدافع عن التصرفات السوداء التى اوردها ديوان المحاسبة فى تقريره رغم انها غير مسئولة عنها ولم تقع فى عهدها .

وكما انتهى تقرير ديوان المحاسبة بخروج رئيس الديوان، انتهى استجواب

مصطفى مرعى بخروجه من مجلس الشيوخ
وكان يمكن ان ينتهى الأمر عند هذا الحد ..
فالسلطة التنفيذية لم تتحرك لاتخاذ اجراء حاسم لتحقق صفقات الاسلحة والذخائر .
والسلطة التشريعية لم تجبر السلطة التنفيذية على اتخاذ هذا الاجراء
وبقيت سلطة واحدة ، هى كل ما بقى لمصر من أمل ...
السلطة القضائية .
ولكن كيف يثار موضوع هذه الصفقات أمام السلطة القضائية ؟
لم يكن هناك الا طريق واحد ، هو أن اقدم نفسى للقضاء متهما فى قضية نشر خاصة بهذا الموضوع !
وهممت بالكتابة
ولكن ماذا اكتب ، ولم يكن تحت يدى — حتى ذلك الحين — مستند واحد استطيع ان اعتمد عليه وأن اقدمه للقضاء اثباتا لحسن نيتى ؟ .
ثم كان يجب ان اكتب عن صفقات غير التى اوردها ديوان المحاسبة فى تقريره ، وأثارها مصطفى مرعى فى مجلس الشيوخ ، حتى لا يرد على بأن ما اكتبه سبق ان اثير واتخذ قرار بشأنه ، وبذلك أحرم من تقديمى للقضاء .
وكنت اعلم ان هناك صفقات لم تثر بعد ، ولكن لم يكن لدى دليل عليها
وبدات اعمل فى جمع الادلة والمستندات
وفضلت ان اعمل وحدى بعيدا عن اجواء السياسة ورجالها ، بل بعيدا عن كل صاحب نفوذ أو صاحب اسم معروف
وكان على أن أتأكد من أن كل كلمة اسجلها هى كلمة نظيفة ، وكل ورقة أضع يدى عليها هى ورقة موثوق بها .
وكان يعمل معى شبان فاضت بهم حماستهم ، وامتلأت صدورهم غيرة على جيشهم وتحرروا من كل مطمع الا أن يؤمنوا بمستقبل مصر ، ويطهروا حاضرها .
وكنا نجتمع بطريقة خاصة ، ونتصل احدنا بالاخر بطريقة خاصة ، اشبه بما كنا نقرؤه ونحن صغار فى القصص البوليسية .
وكنا نبحث عن مستندات صفقة شراء ١٦ مدفع عن طريق شركة أورليكن عندما وقع فى يدنا عقد شركة بين زوجة احد الضباط وتاجر أسلحة ...
أما كيف وقع هذا العقد فى يدى ، فهى قصة ، الفضل فيها للحظ وحده
فقد اتصل بى أحد أصدقائى الشبان ، وأبلغنى نبأ وجود مثل هذا العقد ، كما سلمنى ورقة كتبت عليها نصوص العقد بالقلم الرصاص ، وبخط انسان لا أعرفه ، وعندما عرفته اقسمت ان لا ابوح باسمه .
وكان الخبر مثيرا ...



المصرى افندى : اوامر الشعب خلفا در .. الى الامام سر
عن روز اليوسف ٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠

فان العادة لم تجر بأن تتاجر زوجات الضباط بالسلاح ، بل لو تاجرت اى امراة بالسلاح لكان الخبر مثيراً ، حتى لو لم تكن زوجة احد الضباط .

وزاد فى اهمية الخبر ان الضابط الزوج كان صديقا لابراهيم المسيرى بك رئيس لجنة الاحتياجات التى تتولى عقد صفقات الاسلحة ، وكان اركان حرب سلاح المهندسين ، فاذا كانت زوجته تتاجر بالاسلحة وهو يتولى هذه المناصب الدقيقة المتصلة بصفقات الجيش ، فلابد ان وراء هذا العقد شيئا .

ولكنى لم اهتم بالبحث عما وراء العقد ، بل حصرت همى كله فى الحصول على العقد نفسه ، لانه وحده دليل على ان المشرفين على عقد صفقات الجيش والمتصلين بهم ليسوا فوق مستوى الشبهات . ثم هو دليل يثبت حسن نيتى امام المحاكم مهما قلت بعد ذلك ومهما وجهت من اتهامات !!

وقلت لصديقى الذى حمل الى خبر هذا العقد اننى لا استطيع ان انشر شيئا عنه ، الا اذا حصلت على العقد نفسه ، لان نشره هو توجيه تهمة خطيرة محددة يعاقب عليها القانون ، الا اذا استطعت اثباتها ، ودليل الاثبات لا يمكن ان يقوم الا بابراز العقد نفسه

وقال الصديق ان هناك اربعة فقط فى مصر كلها يعلمون خبر هذا العقد ، وهم طرفاه ، والشخص الذى نقل نصوصه بالقلم الرصاص ، وهو ... وقد اصبحوا خمسة بعد ان عرفت انا به

اما طرفاه فليس من مصلحتهما نشر العقد واثارة ضجة حوله ، فكلاهما متهم به ، اما الشخص الاخر فقد يملك صورة من العقد ولكنه لا يريد ان يبرزها .

وذهبنا الى هذا الشخص الاخر ، وكنا خمسة من الشبان ، وكان تجمعنا بعضنا مع بعض يكفى ليخيف اى انسان ، ولكننا لم نحاول ان نخيف احدا ، انما استطعنا ان نقنع الشخص المذكور ، بأن من مصلحة القضية الوطنية ان يسلمنا صورة العقد .

وفى صباح اليوم التالى سلمها لنا ، وكانت صورة فوتوغرافية اضحة .. وبقى سؤال :

كيف استطاع هذا الشخص ان يحصل على هذه الصورة قبل ان يسلمها لنا ؟ ... وهو سؤال حير النائب العام ، ولم يجد امامه تعليلا الا بأن يعتقد انى قد حصلت على هذا العقد من تاجر السلاح الذى هو طرف فيه . وهو ما اعتقدته ايضا حرم الضابط ، واعلنته امام النيابة ، فقد اعتقدت ان الخلاف الذى وقع بين زوجها وبين تاجر السلاح ، دعا هذا الاخير ، الى التشهير به عن طريقى ... .

وقيل ايضا انى اشتريت هذا العقد من تاجر السلاح بمبلغ مائتى جنيه وعندما سئلت فى التحقيق عن المصدر الذى حصلت منه على هذا العقد ،

رفضت الاجابة ، محتجا بسر المهنة الذى يصونه لى القانون .

والحقيقة التى ابى أن يصدقها الجميع ، هى انى لم التق بتاجر الاسلحة الا بعد ان حصلت على هذا العقد فعلا ، وقد سـعيت الى لقـائه لاتاكد من صحة العقد وقد أكدها لى ، وقال ان هذا العقد كتب فى قهـوة « بالمـيرا » بمصر الجديدة ، وقد كتب بخط الضابط نفسه لا بخط زوجته ، ثم حمله ـ اى الضابط ـ الى بيته ، وعاد موقعا عليه من زوجته

ولم اهتم بالعمليات التى ترتبت على هذا العقد ، بل اعتبرت العقد فى حد ذاته واقعة خطيرة ، ثم اهتممت بمظاهر الثراء التى تحيط بالضابط ، وكان قد بلغنى انه عضو فى نادى السيارات وأنه يشترك هناك فىلعبة «الباكاراه». فاتصلت بحفنى محمـود باعتباره عضـوا فى النادى ، فاكد لى الواقعـة ، ثم جمعت شهودا آخرين على أن هذا الضابط كان يشتغل فى مكتب ابراهيم خـيرى وكيل وزارة الدفاع الاسبـق ، واحـد رجال الشركات الان ، ثم اشتغل فى مكتب احد موردى السلاح للجيش المصرى وشريك الامـيرالاى حلمى حسين مدير الركائب الملكية ، وفى شركة دلتا موتورز »

وادرك احسان عبد القدوس انه قد وضع يده على أول الخيط ، وأصبح يقف على أرض راسخة من الحقائق الرهيبة

وفى ٦ يونيو ، صدرت «روز اليوسف» تحمل اول مقالات احسان عبـد القدوس التاريخية . يقول فى صدرها :

كان استجواب الاستاذ مصطفى مرعى بك عن اسباب استقالة رئيس ديوان المحاسبة السـابق ، شهـادة مجد وفخار لضباط وجنود الجيش المصرى .


احسان عبد القدوس

فقد اثبت المستجوب ان هؤلاء الضباط والجنود لم تهزمهم جراة العدو وحنكته ، انما هزمتهم جراةموردى السلاحوالذخيرة الذين تعاملت معهم وزارة الدفاع الوطنى

واذكر اننى سالت المرحوم القائمقام احمد عبـد العزيز قائد الكوماندوس فى حرب فلسطين عن اليـوم الذى لاينساه من ايام القتال ، فاجابنى والدموع تمـلأ عينيه : انى لا استطيع ان انسى يوم كان الباشجاويش يطلق مدفعـه على مواقع العدو وقدوقف منحوله «طاقم» المدفع منالجنود .. فاذا باحدى القنابلتنفجر

الى الوراء فتحطم المدفع ، وتقتــل الباشجاويش وجميع رجاله ، فيخرون صرعى فوق حطام المدفع ، وابتسامة الاستشهاد تضىء وجوههم ..
وقد سبق ان اشرت اكثر من مرة الى ان حـديث صفقات الاسلحة التى عقدت فى ايطاليا لم يعد سرا ، وانه حديث تستطيع ان تسمعه فى كل شارع من شوارع روما ونابولى وميلان .
واشرت الى ان هناك مندوبا خاصا لايزال يقيم فى ايطاليا . واكتفى بان اقول ان اسمــه « امين » . يستطيع ان يتحـدث طويلا عن هــذه الصفقات التى كان اليهود انفسـهم يحاولون بيعها الى الجيش المصرى ليحاربهم بها !! واشرت الى ان هذا المندوب الخاص قاسى الامرين وهو يحاول ان يؤدى واجبه بصدق وامانه .. ولم يقاس ما قاساه من عملاء دولة اسرائيل ، بل من عملاء مصر الذين يشترون السلاح باسمها ، والذين كان كل منهم يتستر على الاخر ، وكل منهم بدافع عن الاخر فى الاثم .
وسبق أن صرحت على صفحات هذه المجلة وعلى صفحات مجلات اخرى ، مطالبا باجراء تحقيق سريع لننقذ سمعة مصر ، التى اصبح معروفا فى جميع انحاء العالم انها دولة مغفلة ، واصبحت اداتها الحكومية شعارا للرشوة وفساد الخلق والذمم .
وقلت انى لا استطيع ان اذكر اسماء لانه ليس لدى مستندات ، ولكنى اعرف أن احد ضباط الجيش اصبح يمتلك قصرا فى جزيرة كابرى ــ مصيف اصحاب الملايين ــ يدعو اليه كل عام شخصيات مصرية كبيرة للتمتع بالجمال والراحة والهدوء على حساب شهداء فلسطين الذين قتلهم الرصاص المغشوش ، وعلى حســاب الشعب المصرى الكريم الذى ابتــزت امواله باسم العــروبة والشهامة .
ثم ناشدت معالى الوزير ان يدعو اليه هذا الضابط ويسأله: من اين لك هذا؟ وان يراجع حسابات جميع الضبــاط والمتعهدين فى البنوك المحلية والاجنبية لعله ــ على الاقل ــ يجد مجالا للشك .
الى ان تولى مصطفى مرعى شرح استجوابه ، فاخرج من تقــرير رئيس ديوان المحاسبة السابق مستنــدات دامغة تثبت التلاعب الخطــير الذى حدث فى شراء هذه الصفقات ، وتثبت انها كانت تتم مع علم رجال وزارة الدفاع بما فيها من تلاعب ، ومع علمهم بانهــا اسلحة مغشوشة ، ومع علمهم ان هذه الاسلحة المغشوشة ستوضع فى يد جنود وضباط مصريين ليحــاربوا بها ، فى حين انها لاتصلح لا للحرب ولا للدفاع عن النفس !!
ورغم ذلك فقد حاول معالى وزير الدفاع ان يدافع عن هذه الصفقات .. لم ينتظر معاليه حتى يجرى بنفسه تحقيقا دقيقا ..



اين العدالة : المصرى افندى : ياترى تمثال العدالة يبقى مين فى دول !!
عن روز اليوسف ٢٩ مايو سنة ١٩٥١

ولم يسمح معـاليه بان يترك فى نفسه حتى مجالا للشك وسوء الظن الذى يدل على حسن الفطنة !

بل اعد دفاعا، او اعد له دفاع، قام يلقيه فى مجلس الشيوخ ، وعندمارفض المجلس ان يستمع اليـه ، لان الوثائق كانت اقوى من ان تحتمل دفاعا ، نشر معاليه هذا الدفاع فى الصحف .

وتولى معالى الاستـاذ فؤاد سراج الدين الدفاع باسم الحكومة ، فبدا كلامه فى مجلس الشيوج منشدا معجبا بسحربيانه قائلا « لم تر هذه القاعة استجوابا انتحل فيهالمتهم صفةالمدعى ، وصفق المطعون فيها للطاعن، وهش المضروب فيه لجلاده ، كما وقع فى هذا الاستجواب »

ويريد معاليه ان يقول ان الاتهامات التى وردت فى الاستجواب وقعت كلها فى عهد الحكومات السابقة لا فى عهد حكومة الوفد .

وهذا صحيح ، ان المتهم هى الحكومات السابقة ، والذى يوجه الاتهام كان وزيرا من وزراء هذه الحكومات ، فهو يعترف ولا يتهم .

اذن ، لماذا تحمس معالى سراج الدين كل هذا الحماس الذى كاد يفقده اعصابه فى الدفاع عن الاتهامات التى وردت فى تقرير رئيس الديوان ؟

هل كان يدافع عنالسعديين والدستوريين ووزراء السعديين والدستوريين ومن عاونهم فى حكوماتهم ؟

وما هذا الحب المفقود الذى تحرك فجأة فى قلب سراج الدين ، وكدفعـه لان يدافع عن فضائح وقعت فى عهد حكومات غير وفدية ؟

ولماذا لم يؤيد هذه الاتهامات حتى يدمغ حكم الاقليـات بفضيحة لا تمحى مدى الدهر ، وهو ما يدعوه اليه واجبه وتعصبه الحزبى ؟!

ان هناك سرا ...

وهو سر ليس فى حاجة لان يفصح عنه فؤاد سراج الدين ، لانهسرمفضوح!!

وبعد فان الراى العـام كله يؤمن بان هناك جريمة وطنية قد وقعت ، وكل جريمة لابد لها من فاعل ..

فاين الفاعل ؟

اين المجرم ؟

ان كل ضابط وجندى ـ واقولها صريحة ـ لم يعد يطمئن بعد ماسمعه فى قاعة مجلس الشيوخ الى سلاحه وذخيرته .. وعندما يفقـد الجندى ثقته بسلاحه ، يفقد ثقته بنفسهويفقد روح القتال .. ويضيع مستقبل مصر!! ولن يستعيد الجندى المصرى ثقته بسلاحه وبنفسه الا اذا اطمـأن الى ان الحكومة جادة فى تحقيق اتهامات ديوان المحـاسبة ـ وهو الرقيب الاعلى فى الدولة ـ واطمان الى ان وزارة الدفاع قد طهرت وطهر المتعاملون منهـا من كل شائبة ومن كل شك ..

واتقوا الله فى مصر ، وفى جنود مصر وضباط مصر ... »

وفى المقال الثانى روى قصة دفن الاستجواب ، وتخاذل رجال المعارضة والحكم على السواء :

« أعدم الاستجواب فى غيبة ولى امره مصطفى مرعى ، وحرم على اهله وانصاره الاحتفال بتشييع جنازته ، واكتفى محمود محمد محمود بأن يذرف دمعتين صامتتين ترحما عليه .. دون ان يرفع صوته بالنحيب ..

ولا يمكن ان تكون الحكومة وحدها هى المسئولة عن اعدام هذا الاستجواب، انما يشترك معها فى المسئولية — الى حد كبير — رجال المعارضة ..

فقد كانت المعارضة خلال المناقشة قوية الحجة دائما، وكانت سيدة الموقف، وكانت الاغلبية فى جانبها . كانت تستطيع ان تنقذ الاستجواب من احالته على لجنة الشئون الدستورية ، ولكن يظهر ان المعارضة وجدت نفسها قد تورطت اكثر من اللازم ، وان الحبال الطويلة التى مدتها تكاد تلتف حول عنقها ، وان الطريق قد اصبح شائكا ، وان الواقفين على الابواب قوم عتاه زرق الانياب ، لا يأخذ منهم مثل هذا الاستجواب بقدر ما يأخذ من المستجوب وانصار المستجوب مؤيديه ..

شعرت المعارضة بذلك ، فتلقفت اقتراح احالة الاستجواب على لجنة الشئون الدستورية كأنه حلقة النجاة ؟.. وسبحت به الى شاطىء الامان دون ان تنقذ الغريق .. مكتفية بأن تبلل ثيابها بالماء !! »

وهكذا مضت اخطر حملة صحفية عرفتها مصر فى تاريخها الحديث ..

وتتابعت مقالات احسان عبد القدوس تروى قصة الخيانة بالمستندات ، وتشير الى اللصوص الكبار بأوضح ما تسمح به القوانين .. وكان احسان عبد القدوس يعلم جيدا انه يقرع بمقالاته باب السجن . وان هذا الباب سيفتح حتما .. ليستقبل اللصوص ، أو يستقبله هو نفسه !

وسرت المقالات بين الناس كالكهرباء ، وكان الناس يبيتون ليلة الاثنين من كل اسبوعين ينتظرون صدور « روزاليوسف » فى الصباح ويتسمعون دوى الانفجارات التى تنبعث من صفحاتها .

ولم يكن ممكنا ان تتجاهل الحكومة القضية هذه المرة .. وازاء هذا الاصرار . لم يكن ممكنا ان تزعم الحكومة انها لاتقرأ « روزاليوسف » وانها لم تعرف بهذه الجرائم الرهيبة ، والادلة الصارخة ، والاسماء الضخمة اللامعة .

وتحرك وزير الحربية فكتب خطابا الى النائب العام للتحقيق فى هذه المقالات .. « احقاقا للحق » .. وبدأ النائب العام — محمد عزمى — التحقيق وفى ذهنه ان هذه الحملة باطلة ، وان قضية الاسلحة الفاسدة ستنفجر هذه المرة فى وجه صاحب الحملة .. ولكنه لم يلبث ان وجد ان كل ما قالته روزاليوسف صحيح ..

ومرة ثانية ، يروى احسان عبد القدوس ، كيف بدا التحقيق :

« قدمت النيابة القضية بقرار اتهام يشمل وقائع اربعة :

١ ــ واقعة شراء ١٦ مدفع ١٠٥ م٠م عن طريق شركة اورليكن

٢ ــ واقعة شراء حوالى ٢٥٠ الف قنبلة يدوية عن طريق شركة « كستروسيونى ميكانيكا »

٣ ــ واقعة شراء المركب لوتشيا التى سميت الفردقة

٤ ــ واقعة تعاقد زوجة احد الضباط مع موردى السلاح ٠٠

وهذه الوقائع الاربعة هى التى قدمتها « روزاليوسف » الى النيابة العامة لتحقق مع المسئولين ٠٠٠

ورغم ان النيابة اثبتت صحة جميع الوقائع التى تقدمت بها ــ فانى اعترف واقر انى عندما وقفت امام النائب العام لاول مرة لم اكن اعتقد انه سيستمر فى التحقيق الى نهايته او ان الظروف ستمكنه من ذلك، ومع انه كان يستمع الى اقوالى كشاهد فانى كنت اخشى ان يعتبرنى متهما بين كل لحظة واخرى .

محمد عزمى

وكانت التهمة التى يمكن أن يوجهها الى تهمة خطيرة بالنسبة الى سمعة كاتب مثلى ومستقبله . وهى تهمة «التشهير بالجيش» ٠٠٠

وكان لى عذرى فى هذا الشك الذى يداخلنى وانا اقف امام النائب العام ، فان هذه الجرائم التى اعرضها عليه سبق ان اكتشف مثلها ديوان المحاسبة ولم يستطع ان ينال المسئولين عنها ، وسبق أن سمعت الحكومة بها فلم تتحرك لتحقيقها ، وسبق ان اثير مثلها فى مجلس الشيوخ فلم يستطع حيالها شيئا . والنيابة العامة التى اقف امامها هى جزء من السلطة التنفيذية ــ كما قررت محكمة النقض ــ وهى تخضع احيانا للتيارات السياسية والحكومية ٠ ٠ وجميع هذه التيارات تقف ضدى . وتهددنى فى حريتى ومستقبلى ، فمن يضمن لى السلامة ؟!

كان هذا هو شعورى فى اليوم الاول الذى ادليت فيه بشهادتى ، ولذلك كنت حريصا كل الحرص على اختيار كل لفظ انطق به ، وعلى الا اوجه اتهاما الا وتحت يدى مستند قاطع بصحته ، بل حرصت وانا اسلم هذه المستندات



المصرى افندى للعدالة : انت بتجرى ورا حد ، ولا حد بيجرى وراكى !!
عن روز اليوسف ٥ ديسمبر سنة ١٩٥١

الى النائب العام ان اوقع عليها بامضائى وان اطلب منه ان يوقع عليها بامضائه زيادة فى الحرص .

وقد اثار هذا الحرص النائب العام و « شخط » فى مرة صائحا :

ــ انت عامل جرىء ، وعامل نفسك وطنى متطرف ، وبتتحدى ناس كبار، ما تورينا جراتك دى !

واجبت فى هدوء : انى جرىء فى حدود القانون !

ثم قلت له فى صراحة : من يضمن لى الا تجعل منى متهما وتقبض على ؟

فأجاب : لا احد .. وسأقبض عليك بمجرد ان ارى ذلك !..

وكنت فى احوال كثيرة ارفض ان اجيب على بعض الاسئلة ، الا بعد استشارة اصدقائى المحامين الذين يشاركوننى سوء الظن ، وكانوا عندما اعود اليهم ينصحوننى الا اجيب الا فى حدود ما بين يدى من مستندات . وهذا الحرص الذى ابديته جعل النائب العام يعاملنى معاملة خشنة ، فلم يسمح لى بشرب القهوة طول مدة الادلاء بشهادتى التى استمرت ثلاثة ايام، وكان يسمح لى بالتدخين بعد رجاء والحاح ، وبعد ان أهدد بالتوقف عن الادلاء بأقوالى ..

وفى اليوم الاول كنت متعبا . فقد غادرت القاهرة فى قطار الصباح . ولم أكن قد نمت فى الليلة السابقة لكثرة تفكيرى فى هذا التحقيق . ثم انى بدأت ادلى باقوالى من الساعة العاشرة صباحا حتى الرابعة مساء دون ان استريح ، ودون ان اشرب قهوة ودون ان اغفو او اريح راسى من التنبه اليقظ لكل سؤال وجواب ، وبدات احس بدوار ، فطلبت من النائب العام أن يريحنى وان يؤجل التحقيق لليوم التالى ، ولكنه رفض وقال بحدة :

ــ ان اتركك تغادر هذا المكتب حتى تتم أقوالك ولو اقتضى الامر ان تبيت هنا ، وما ادرانى ؟ ربما قتلت بعد ان تخرج من هنا فكيف أتم التحقيق ؟

قلت ، وعلى فمى إبتسامة متعبة : التحقيق فى مقتلى ، او فى صفقات الجيش ؟

ــ ان مقتلك يحققه اى وكيل نيابة ، اما انا فيهمنى تحقيق هذه الادعاءات

وكان اطول نقاش دار بينى وبين النائب العام هذا النقاش الخاص بالنبيل عباس حليم وكيل شركة اورليكن فى مصر التى تولت توريد ١٦ مدفعا من اسبانيا بمبلغ قدره خمسة ملايين من الدولارات تقريبا .

وكنت قد تتبعت هذه الصفقة من اولها الى آخرها ، اى منذ ان تقدمت الشركة بعطائها الى ان وصلت بعض هذه المدافع الى مصر . وحصلت على اسماء جميع المتصلين بها ، واسماء جميع الضباط الذين علموا شيئا عنها واسماء اعضاء اللجان التى اختبرتها ، بل حصلت على تاريخ حياة كل مدفع والمكان الذى وضع فيه ، والمرات التى طلب فيها تجربته ، ورفض المختصون أجراء هذه التجربة خوفا على حياتهم منه .

وقدمت كل هذه المعلومات الى النائب العام ، وقدمت معها الصورة الاصلية للعقد الذى اشتريت به هــذه المدافع والمذكرة التى اشتريت على اساسها والمذكرة التى قدمتها شركة «بوفرز» وكان المسئولون فى الوزارة قد اخفوها حتى لاتقع فى ايدى المحققين .

وقد لايعلم النائب العام ان هذه الاوراق ــ رغم علمى بمحتوياتهــا ــ لم تصلنى الا فى صباح اليــوم الذى سافرت فيــه من القاهرة الى الاسكندرية لادلى بشهادتى ، كما لم يلاحظ الاستاذ عبدالغنى ابوسمره المحامى الذى تفضل وسافر معى ليقف بجانبى ان هنــاك شخصا طويل القــامة احتك بى فى محطــة مصر ودس فى يدى مجموعة من الاوراق .. كانت هى هذه الاوراق ..

عبــاس حليم

وقد وضعت هذه الاوراق فى حقيبتى ولم اخرجها الا فى مكتب النائب العام ، وقد فوجئت ساعتها بوجود توقيع توفيق احمد وكيل وزارة الحربية على العقد !

وسالنى النائب العام (وانا اكتب من الذاكرة) :

ــ ماهى معلوماتك عن النبيل عباس حليم فى هذه الصفقة ؟

ــ انه وكيل شركة اورليكن فى مصر

ــ وما هو الدور الذى قام به فى توريد هذه الصفقة ؟

ــ لا ادرى !

ــ ماهى مسئوليته ؟

ــ ان النبيل نفسه يستطيع ان يحدد مسئوليته !

ــ لقد ذكرت فى مقــالاتك اسم النبيل عباس حليم تحت عنوان « النبيــل الشريف » فماذا تقصد بهذا العنوان ؟

ــ ان عباس حليم يحمل لقب نبيل لانه احد افراد العائلة المالكة ، وقــد سبق للوفد المصرى ان اطلق عليه لقب « شريف » عندما حرم من لقب نبيل فى عهد الملك فؤاد

ــ ولكن العــادة لم تجر بالجمع بين لقبى النبيــل والشريف فماذا تقصد بالجمع بينهما ؟

ــ اقصد المعنى الظاهر منهما !

ـ يفهم من هذا العنوان انك تتهم النبيل عباس حليم فى نزاهته ؟.
واستمرت المناقشة على هذا المنوال ، وكان النائب العام يحتد خلالها ، ويحرص على ان يلقبنى بلقب «الافندى» !
وانتهى الامر بينى وبين النائب العام ، على أن ادلى بما لدى من معلومات تنقصها المستندات ، ثم يتولى سعادته تحقيقها ، حتى اذا تأكد من صحتها ذكرتها على لسانى فى التحقيق .
وقلت له وقائع كثيرة ، وكان يتولى التحرى عنها فى التو واللحظة . وبدات اثق به واطمئن اليه .
وكان أول ماكتبته فى الصحف بعد ان انتهيت من الادلاء بشهادتي هو نداء الى الجمهور بان يرسل مالديه من معلومات عن صفقــات الجيش الى النائب العام ، ولو فى بلاغ من مجهول .
ومضت اسابيع ..
وكنت فى زيارة صديق يقيم فى احــد الفنادق الكبرى ، عندما التقيت فى البهو الخارجي بسيدة مصرية معروفة ، حادثتنى مليــا عن قضية الجيش ، ثم قدمتنى الى رجل انجليزى من رجال الاعمال ، قالت لى عنه ان لديه معلومات هامة عن احدى صفقات سلاح البحرية .
وقال الرجل الانجليزى انه لايريد أن يتدخــل فى هــذه القضية او يذكر اسمه فيها ، ولكنه سمع عنى ، وسمع عن مدى اهتمامى بامر هذه الصفقات ، ثم أن مصر قد اكرمته كثيرا ، واقل مايستطيع ان يرد به كرمها هو ان يدلى بما لديه من معلومات خطيرة عن صفقــــة تمت على حساب مصالح الجيش ومصالح مصر .
والتقينا فى اليوم التالى على مائدة شاى فى مكان بعيد ، وكانت معنا السيدة المصرية المعروفة .
وبدأ يحدثنى عن صفقة شراء ناقلة الزيت «لوتشيا» التى اشتراها السلاح البحرى الملكي واطلق عليها اسم الغردقة .
وقال ان هذه المركب عرضها احد التجار واسمه « الكابتن حسن عزو » على السلاح البحرى بمبلغ ٢٢ الف جنيــه تقريبا . ورفض السلاح البحرى شراءها بحجــة انه ليس فى حاجة اليها . وبعــد ثلاثة اشهر اشترى السلاح البحرى هــذه المركب بالذات بمبلغ ٣٦ الف جنيه تقريبا . هذا فى حين ان الثمن الاصلى لايزيد على ١٦ الف جنيه !!
وسلمنى الرجــل الانجليزى المستندات الخاصــــة بالمكاتبات بين التاجر حسن عزو والسلاح البحرى الملكي ، وكانت مستندات لاتقبل الشك .
واستغرقت هــذه التحريات اربعة اسابيع ، توجهت بعــدها الى النيابة

العامة وسلمت هذه الاوراق الى الاستاذ مختار قطب الذى يتولى التحقيق في صفقات البحرية ، وعندما اطلع عليها في مكتب النائب العام شد على يدى مهنئا ، فقد كان يبحث بنفسه عن اسرار هذه الصفقة !

وثبتت الواقعة . واتهم بها امير البحار وياور الملك احمد بدر ! »

وسار محمد عزمى في التحقيق ، وكل جريمة تسوقه الى جريمة حتى وجدنفسه وجها لوجه .. امام الملك . وبدأت المناورات المعروفة لاحراجه واخراجه ، ولطى التحقيق وتحويله عن المجرمين الحقيقيين : وكانت «روز اليوسف» تقف على باب غرفة التحقيق كالديدبان . تنبه الى المخاطر . وتنذر بفضح المناورات ، وتزعزع حصانات المسئولين ! ..

وكانت اروع مساعداتها للتحقيق — غير تقديم المتهمين وجمع الادلة والمستندات — حين رأى النائب العام ضرورة عزل محمد حيدر من منصب القائد العام . ورفض الملك . وتخاذلت الوزارة .. فبدأ احسان عبدالقدوس حملته على محمد حيدر في سلسلة من المقالات النارية .. وكان كل مقال يصدع ركنا من اركان القائد العام ، ويكشف عن عورة ، وينسف وهما .. وكان احسان يدعو حيدر في نهاية كل مقال الى ان لايبقى سبعة ايام اخرى حتى لايقرأ المقال التالى ...

ومع المقال الرابع ، خرج حيدر !

وقدم بعض المتهمين الى المحاكمة ، التى مازالت منظورة . واضطرالنائب العام الى حفظ التحقيق بالنسبة للمتهمين اللاصقين بفاروق ، والذين كانت جرائمهم لحساب فاروق .. مثل بوللى وجهلان وحلمى حسين ... وعاد الملك يمحو آثار الجريمة ، فاعاد حيدر .. واعاد عثمان المهدى .. ولكنه لم يكن يمحو شيئا ، بل كان يضع الرماد فوق النار .

وظلت النار تشتعل ، والجريمة تتوهج خلف الرماد .. حتى يوم ٢٦يوليو ١٩٥٢ ، اذ قبض الجيش على المتهمين ... وبدأ التحقيق من جديد .

وهكذا كانت قضية الاسلحة الفاسدة اول ضربة قاصمة توجه الى الملك ، وتزعزع عرشه .

معركة الصحافة

لم تقف آثار قضية الاسلحة الفاسدة عند باب المحكمة ، بوضع المذنبين فى قفص الاتهام . بل كانت لها آثار بعيدة فى نفسية الناس ، واتجاه الرأى العام ، وفى تحطيم هيبة الملك ذاته .

كانت القضية بمثابة ازاحة الستار ونزع القناع عن وجه الملك السابق فبدا خلفه وجه لص . وظهر هذا الملك الذى زيفت صورته الدعايات الكاذبة والاقلام المأجورة والالسنة المنافقة .. ظهر هو ومن حوله من ذوى الاسماء الضخمة فى حقارتهم الحقيقية ، كالهاربين من وجه العدالة

واستفاد الشعب من الحرية التي توفرت له سنتى ١٩٥٠ و ١٩٥١ الى حد بعيد .. فرأينا صحفا متحررة تظهر فى الميدان وتكتسب القراء الكثيرين .. ظهرت « اللواء الجديد » و « الكاتب » و « الملايين » و « الجمهور المصرى » و « الدعوة » و « الاشتراكية » ... ووقفت هذه الكوكبة من الصحف الحرة الى جانب « روز اليوسف » فى قضية الاسلحة ، تدافع عن تمثال العدالة المعصوبة العينين ، فى يسارها ميزان وفى يمينها سيف ! .. فلما انتصر الملك انتصاره الوقتى ، واستطاع ان يصل الى « العدالة » فيفك العصابة عن عينيها ويعبث بميزانها ، ويوجه السيف فى يمينها الى صدور الشهداء بدلا من المجرمين .. لم تيأس هذه الصحف من المعركة ، ومضت تشن حملاتها على الملك رأسا .

وكانت القوانين الكثيرة تحمى الملك وتمنع التعرض له أو لحاشيته أو حتى لطرف حذائه بأهون السوء . وكان الذين يقفون وراء هذه القوانين كثيرون واقوياء ، الوزراء والبوليس والمحاكم والسجون !

ولكن الاحرار تقدموا بالرغم من ذلك متعرضين للنار ، يحصبون بقذائفهم الجالس على العرش .. وهطلت عليهم الاتهامات كالمطر : فهذا شيوعى وذاك ارهابى وثالث مخرب ورابع خطر على الأمن ، الى آخر تلك الاوصاف التى تدرجهم تحت اسم « المجرمين السياسيين ! » ولم يغن ذلك كله عن الملك السابق شيئا .. فقد تصدعت اركان هيبته ، ولم ينل السجن والتشهير والمصادرة والتعطيل من اقلام الاحرار الذين خفقوا أول النصر .. اذ نشروا ذلك الاقتناع العام ، العميق ، بأن الملك عقبة حقيقية فى طريق هذا البلد

ولجأت الصحف الى حيل كثيرة تتفادى بها الارض المليئة بألغام القوانين . واصبح لها مع الزمن « قاموس » جديد يفهمه القراء ويعرفونه بغير عناء فكلمة « غير المسئولين » معناها رجال الحاشية

و « قال كبير » : معناها قال الملك .

وكانت هذه التعبيرات تحمى الصحف من العقاب فى ظروف كثيرة . فقد حدث مثلا فى وزارة الهلالى ـ وكانت الرقابة مفروضة ـ ان نشرت « روز اليوسف » خبرا يقول ان كبيرا يحاول ان يضع يده على وقف مساحته ٢٠ الف فدان . وكان الكبير هو الملك . واهتز القصر واضطرب، واتصل الدكتور يحيى الخشاب بالمجلة يسأل من هو الكبير المقصود ، فقالت المجلة : انه كامل القاويش بصفته محافظا للعاصمة ! ..

وشاعت هذه التعبيرات بين الصحف جميعا . وكان الملك يثور ويغضب بسببها ومن حوله لايدرون ما يصنعون . واصدر امره مرة الى فؤاد سراج الدين ان يصدر قانونا يمنع نشر اى خبر الا بذكر الاسماء صراحة ... فلا تقول الصحف : قال كبير وذهب احد غير المسئولين ... الى آخره ! ...

وكان هدف القانون ارغام الصحف اما على ذكر اسمه فتقع تحت طائلةالعقاب واما الى السكوت عنه . ولكن هذا القانون الذى لا مثيل له بين قوانين العالم ، لم يصدر .

وكان لكل جريدة حرة اسلوبها فى مهاجمة الملك السابق غير هذه الرموز ..

ففى « روز اليوسف » مثلا كتب احسان عبد القدوس مقالا خطيرا بعنوان « دولة الاغوات » .. وسلسلة مقالات اخرى بعنوان « من المسئول عن حكم مصر ؟ » هاجم فيها بعنف عنيف تدخل الجهات التى جعلها الدستور غير مسئولة ،والوزارة التى تترك المسئولية لغير المسئولين ... ومع المقال الثالث من السلسلة ، دخل احسان الى السجن ، وابقته النيابة العامة فى ذمتها اربعة عشر يوما !

وابتكرت « روز اليوسف » شخصية « غول » ضخم الجثة ، بشع الهيئة، كريه المنظر اسمه الفساد .. كناية عن الملك .. واخذت ترسمه فى صور كاريكاتيرية لم يخف مغزاها على احد .. ولم تكن نيابة الصحافة طبعا تجرو على ان تقول ان هذا الغول .. هذا الفساد .. هو الملك !

وابتكرت ايضا رسم « حذاء ضخم » يشير الى الملك ، مضت تستعمله فى التعبير عن معان خطيرة ساخرة تندد باستبداد الملك وتزلف الزعماء .

وفى « اللواء الجديد » كنت تجد فتحى رضوان يتعقب تصرفات الملك وحاشيته بالنقد الشديد . واقترب مرة من باب السجن بسبب مقال بعنوان « احاديث الملوك » علق فيه على حديث ادلى به الملك فى الخارج عن لعب القمار ومصطفى مرعى يكتب سلسلة مقالات «ملكية» واحدة بعنوان «فخر البحار» يندد فيها بالملك لانه باع هذا اليخت للحكومة وقبض ثمنه ثم ابقاه فى حيازته لاستعماله الخاص . واخرى بعنوان « ولاء العبيد وولاء الاحرار » يهاجم فيها الملك لانه يريد من الناس ان يقبلوا يده وينحنوا امامه .. ولما استدعى

رئيس نيابة الصحافة مصطفى مرعى للتحقيق معه .. اكتشف انه قد كتب مقاله على قياس قانون العقوبات ، وانه قال فى الملك ما يشاء .. دون أن يخرج عن حدود القانون ! ...

وكانت طريقة « اللواء » فى النيل من الملك أن تنشر قصصا تاريخية عن الملكية المنهارة أيام الثورة الفرنسية بعناوين مثيرة مثل « الملك فى طريقه الى المقصلة » و « من القصر الى السجن » و « أيامه الاخيرة ! » ..

وكانت هذه المقالات تقلق ادارة الامن العام والنيابة دون ان تجد فيها منفذا للمسئولية . وفى مرة ، أمر النائب العام بالتحقيق مع كاتب هذه السطور بتهمة « تحسين جريمة القتل » لانه كتب واحدة من هذه المقالات بعنوان « لا تقتلوا ! ! » وكان المقال يروى قصة اغتيال الشباب الروسى المثقف للقيصر اسكندر الثانى .. ويثبت ان قتل القيصر الطاغية لا يؤدى الا الى جلوس طاغية آخر على العرش .. وان الاجدى هو تغيير النظام !

وفى « الاشتراكية » شن أحمد حسين حملاته الرئيسية على تفاتيش الملك وسوء معاملته للفلاحين ، وسفه الدولة فى الانفاق على تماثيل الاسرة المالكة وقصورها . وانتهت به هذه المقالات الى السجن سنة ونصف بتهمة العيب فى الذات الملكية .

وتخصصت « الجمهور المصرى » فى مهاجمة البوليس السياسى كأداة من أدوات الرجعية والاستعمار وجرائم تعذيب المتهمين وتلفيق القضايا ...

وكان مكرم عبيد يلجأ الى براعته فى التلاعب بالالفاظ ليشير الى الفساد فنشرت له « روز اليوسف » أكثر من « حكمة » ... ولما حدثت قصة وصول ادمون جهلان من اوروبا ، وفتحه الخزانة التى ختمتها النيابة وسحبه لبعض مستندات قضية الاسلحة الفاسدة واحتمائه بالسراى ، ثم عودته الى اوروبا دون أن يقبض عليه .. نشر مكرم عبيد مقالا بعنوان « هل وزير الحربية جاهل .. أم جهلان ؟ ! »

وكان منطقيا أن لا تقتصر هذه الصحف حملاتها على شخص الملك وافراد حاشيته ، فامتد هجومها الى النظام الاجتماعى الظالم ، والحالة الاقتصادية التعسة ، والموقف الوطنى المائع ... واخذ الناس يكتشفون كل يوم أن هذه الاوضاع كلها مرتبطة بوجود الملك ، كما ان وجود الملك مرتبط باستمرارها

وذعر الملك ازاء هذا المد الثورى الذى وصل الى أسوار قصره ، وكاد ان يقتلعه ... وكان هذا الذى لم يتعود الا كلمات الاطراء يرتعد كلما وجد مقالا يكشف عن فسقه ، وخزيه ، ويجلل حكمه بعار جديد .. واخذ يصب جام غضبه على من حوله من مسئولين وغير مسئولين .. وبعث الصواعق والبروق على رأس الوزارة لانها لا تصادر هذه الصحف ولا تخرس السنتها بأى طريقة .

وقد بلغ من فزع الملك ازاء هذه الحملات انه كان يستجدى كلمة مدح من

هذه الصحف . حتى لقد شهد الوزير الوفدى عبد الفتاح حسن امام المحكمة العسكرية ان احمد حسين قبض الف جنيه من المصاريف السرية لكى يكتب مقالا يشيد فيه بالملك ... ويرسل نسخة من مجلته الى القصر ! !

وبدأ الملك يضغط على الوزارة لمصادرة هذه الصحف . وبدأت الوزارة تصادر الصحف فعلا ... واذا بمجلس الدولة يفرج عنها ، بأحكام مدوية . .

واصبح الملك امام احد طريقين لكى يوقف هذه الحملات : اما ان يلغى مجلس الدولة هذا فتختفى رقابة القانون على مصادرة الصحف . واما ان يسن تشريعات جديدة تقيد من حريات الصحف . . وقد جرب الطريقتين ، عبثا !

بدأ الملك يضغط على الحكومة لكى تنال من مجلس الدولة بنحو ما . واتخذ هذا التحرش بمجلس الدولة صورا كثيرة . . . كتصريح يدلى به وزير . أو استبعاد حركات ترقية موظفى مجلس الدولة . أو رفض مساواتهم بزملائهم فى القضاء العادى . ولكن هذه الطرق «الصغيرة» لم تنجح فى حمل المجلس على العدول عن آرائه ، التى سجلها فى أحكامه . . وبدأ الملك يضيق ذرعا بالوزارة ، وبدأ مستشاروه يترددون على الوزراء ويحذرونهم من هذا الموقف « المائع » من مجلس الدولة . . وينذرون الوزارة بأنها لكى تبقى يجب أن تتخذ اجراء حاسما . . .

عبد الرزاق السنهورى

واقدمت الوزارة على اقتراح بعض التعديلات فى قانون المجلس . . . فثار الراى العام ثورة رهيبة . . وقفت الصحف والهيئات امام المجلس تدافع عنه باصرار عجيب ، كان منظرا رائعا من مظاهر اطلاق الحريات وما تؤدى اليه من تنبيه الوعى وتقوية الضغط الشعبى . .

وجاء سبتمبر ١٩٥١ ، وكان الملك فى كابرى . وانعقد مجلس الوزراء فى الاسكندرية . . ودخل مصطفى النحاس قاعة الاجتماع يلهث ، فى قلق ظاهر والقى على الوزراء نبأ خطيرا : ان الياس اندراوس جاء من كابرى يحمل امرا صريحا من الملك بأن تصدر الوزارة مرسوما بالغاء مجلس الدولة . . عقابا له على ما اصدر من احكام .

وبهت الوزراء . وادركوا انهم امام أزمة خطيرة هذه المرة . وتكلم حامدزكى فقال: انه مستعد ان يعد مشروعا بالمرسوم المطلوب معمذكرته التفسيرية حالا



بعد تلميع الحناء

النحاس باشا : أنا شايف صحتى كويسة اليومين دول ! !
عن روز اليوسف ٢٨ اغسطس سنة ١٩٥١

وقبل ان ينفض اجتماع المجلس . وبذلك تحقق الوزارة الرغبة السامية وتثبت ولاءها التام للملك !

وقال عبد الفتاح الطويل أن المسألة ليست بهذه السهولة ، وان علاجها يحتاج الى بطء وهدوء أعصاب .

واقترح محمد صلاح الدين ان تشكل لجنة فرعية من بعض الوزراء لدراسة الموضوع . وقرر المجلس تشكيل لجنة من عبد الفتاح الطويل ومحمد الوكيل وحامد زكي وعبد الفتاح حسن ومحمد صلاح الدين . وقال النحاس لاعضاء اللجنة والاجتماع ينفض : لازم تخلصونا من الحكاية دى الجمعة دى

واجتمعت اللجنة ثلاث مرات . وانتهى رأيها الى رفض الامر الملكى بالاجماع ما عدا واحدا : هو حامد زكي !

وعاد مجلس الوزراء الى الاجتماع فى الاسبوع التالى . وبدات الجلسة بكلمة طويلة القاها صلاح الدين موضحا بها راى اللجنة والاسباب التى استندت اليها فى رفضها الامر الملكى

وقال حامد زكى : الامر الان من اختصاص مجلس الوزراء لا من اختصاص اللجنة وحدها . ويجب أن نناقشه من جديد

ودارت مناقشة عنيفة ، لم ينطق خلالها النحاس بكلمة واحدة . وبدا اغلب الوزراء يميلون الى قبول الامر الملكي ، فى حين بقى عبد الفتاح الطويل وصلاح الدين وعبد الفتاح حسن وابراهيم فرج صامدين فى جبهة قوية ترفض المشروع . ولما راى صلاح الدين ان التيار يتجه ضدهم اسرع فاقترح تأجيل المناقشة مرة أخرى لان لديه معلومات هامة يريد ان يدلي بها .

واعترض حامد زكى على التأجيل . وصاح فى صلاح الدين قائلا : انت تعطل أعمال مجلس الوزراء .

وايد سراج الدين اقتراح التاجيل ، فانفض المجلس

وقبل ان ينعقد المجلس مرة ثالثة ، عرف الوزراء ان رسولا جاء من كابرى يحمل مرسوما مكتوبا وموقعا من الملك وان على الوزراء أن يوقعوه ليصبح أمرا واقعا ... واسرع صلاح الدين فكتب الى النحاس خطاب استقالة قال فيه أنه يستقيل من وزارة الشعب قبل أن تصدر مرسوما ضد الشعب . وثار النحاس ثورة هائلة ، واعتبر الاستقالة المسببة خيانة عظمى من صلاح الدين ... وهدأ ابراهيم فرج وعبد الفتاح حسن من روعه ، ووعداه باحضار صلاح الدين فى اجتماع مجلس الوزراء القادم

ودخل النحاس قاعة الاجتماع وهو ما زال فى ثورته . وجلس على مقعده وهو يقول فى صوت عنيف متهدج ، موجها الكلام لصلاح الدين :

ـ كده يا صلاح . انت عايز تقتلنى . انت عايز تعمل بطل على حسابى .



اعدلونى عالقبلة ! ! (بضم الفاء)

عن روز اليوسف ١٦ سبتمبر سنة ١٩٥١

وكان يدق المائدة بعنف وهو يتدفق بالكلام ،وجرح أصبعه فى هذه الحركة فاسرعوا اليه بصبغة اليود . وظل صلاح الدين - الذى يعرف خلق النحاس - ساكتا طول هذه المدة حتى هدأت العاصفة ، وافرغ الرئيس كل ما فى جوفه . ثم بدأ يتكلم فى صوت مؤثر عن اخلاصه للنحاس ويعدد اياديه عليه منذ كان سكرتيرا له حتى أصبح وزيرا . ثم اخذ يبرر تصرفه ، قائلا ان رجال النحاس المخلصين كلهم يؤيدونه، وقال له : ياباشا أنا عاوز احميك. مش أقتلك ...

ولما انتهى صلاح الدين من القاء كلماته الاخيرة الخافتة فى صمت المجلس المخيم . فوجىء الوزراء بالنحاس تنهمر الدموع من عينيه ، وهو يبكى بكاء حقيقيا ... وادركوا العواصف والبروق التى تخطف فى باطن هذا الرجل ، والعوامل التى تتجاذبه ، ووقفته الدقيقة بين ماض جليل طويل ومستقبل يحاول ان يكون مضمونا ، وادراكه للوهن الذى نزل عليه ... فاسرعوا اليه كالاطفال اذ يجدون أباهم تهزمه ازمة فيبكى . وأبعدهم النحاس وهو يقول:

- خلاص .. خلاص .. خد استقالتك ياصلاح .. وآدى المرسوم فى الدرج موش حامضيه !

تشريعات الصحافة

تقول الكلمة المأثورة : كلما زاد الفساد فى بلد .. زادت القوانين !!

وان نظرة واحدة الى هذا الفساد المتزايد ، تبرر لنا ذلك الركام الهائل من القوانين التى فرضت بأمر الملك أو أريد لها أن تفرض : قانون المشبوهين ، قانون الجمعيات ، قانون أنباء القصر ، قانون انباء الجيش، قوانين الصحافة. كلها قوانين رهيبة خانقه . لم يجد الانجليز انفسهم حين كانوا يسيطرون على مصر حاجة الى فرضها ، اكتفاء بالقوانين الرجعية الموجودة فعلا

وكان لا ينقضى شهر حتى يطلع فؤاد سراج الدين على الناس بمشروع قانون مقيد للحرية يريد فرضه .. كان يتقدم به والملك من خلفه . ثم لا يلبث أن يتراجع أمام ضغط الاحرار والراى العام

وكانت اخطر هذه المحاولات جميعا ، محاولة فرض قوانين الصحافة فى أواخر سنة ١٩٥١

وقد بدأت قصتها فى مأدبة اقامها الملك ودعا اليها الوزراء بمناسبة سفره الى أوروبا . وبعد انتهاء المأدبة ، نظر الملك الى النحاس وسراج الدين وقال لهما انه يريد أن يعود من أوروبا فيجد الكلاب النابحة كلها قد اخرست .. يريد بذلك الصحف التى تهاجمه وتفضح فساده

وسكت الوزراء ولم يعقبوا .

وبعد سفره بقليل ، استدعت الظروف الوزارية تعيين عبد الفتاح حسن وزيرا للدولة - وكان ما يزال وكيلا برلمانيا - وكان لابد له من أن يحلف اليمين

أمام الملك لكى يباشر سلطته .. فطار الى كابرى ليحلف اليمين هناك امام الملك
وكانت حملة الصحف الحرة قد اشتدت على الملك . وقد وجدت فى مبادله اثناء رحلته وقودا جديدا لحملاتها الجريئة . وبعد أن حلف عبد الفتاح حسن اليمين ، كرر الملك الحديث عن الصحف . واشار بلهجة ذات مغزى الى تساهل الحكومة فى القضاء عليها . ثم طلب من عبد الفتاح حسن ــ بما يشبه الانذار ــ ان يكرس جهده وجهد الوزارة بمجرد عودته للقضاء على هذه الصحف بصورة سريعة

وعاد عبد الفتاح حسن حاملا هذا الانذار .. واجتمعت الوزارة تبحث هذا المأزق الدقيق وهى بين اكثر من نار : نار الملك الذى لا يريد ان تحد سلطته بشىء ونار الانجليز الذين توشك الوزارة أن تجابههم . ونار المصالح التى لا تريد للوزراء أن يذهبوا . وأخيرا نار هذه الصحف الحرة ذاتها ، والرأى العام الملتف حولها

وأعد التشريعات شخص ما يزال مجهولا .. **قيل انه محمد على رشدى** وقيل انه محمد الوكيل وقيل انه حامد زكى وقيل انها من اعداد بعض غير المسئولين .

وفى اجتماع مجلس الوزراء قال مصطفى النحاس : ان الوزارة يجب أن تبقى بأى ثمن فى هذه الظروف ... وعلى ذلك فالتشريعات يجب أن تمر .

وقال صلاح الدين وابراهيم فرج ان تمريرها مستحيل . وان الوزارة لايجب ان تحتمل امام التاريخ مسئولية هذه التشريعات ...

عزيز فهمى

وهرش غنام رأسه وصاح : فكرة !.. تكلف احد أعضاء النواب بتقديمها على انها من عندياته ...

وصاح صلاح الدين انها ستكون تمثيلية مفضوحة . ولن يصدق الناس أن نائبا يتطوع بتقديم مثل هذه التشريعات .

ولكن النحاس ايد فكرة غنام

واختار غنام النائب اسطفان باسيلى كبشا للفداء ... وأعطاه التشريعات ليقدمها ... وغضب الرأى العام ضد هذه التشريعات غضبة هائلة ما زال صوتها يدوى فى الآذان ... وانبعثت اعنف صور المقاومة من بين الوفديين انفسهم . فقد تزعم المقاومة النائب الدكتور عزيز فهمى .. وأحمد ابوالفتح

رئيس تحرير جريدة « المصرى » . وكان الوزراء الوفديون يشجعون النواب على المقاومة . وأصبح اسطفان باسيلى فى خلال أيام أتعس مثل للمواطن ، فضلا عن النائب ... حتى لقد فكر بعض الشباب فى اختطافه حتى ينتهى نظر التشريعات . وتألب عليه تحت ضغط الرأى العام المواطنون حتى خاصة أهله. وانهارت أعصاب الرجل يوما ، اذ نشرت احدى الصحف صورته بين خطين أسودين كالوفيات وكتبت له نعيا كمواطن شريف ... ورأت زوجته هذه الصورة فى الجريدة فبكت ، وتشاءمت وأخذت تلح عليه ، مع سائر المواطنين أن يسحب التشريعات ... فسحبها !...

وكان للملك مندوب فى مجلس الوزراء ... هو حامد زكى ... لم يطق هزيمة تشريعات سيده ، فصرح للصحف تصريحه الشهير الذى قال فيه : ان هذه التشريعات يجب أن تطبق فى مصر مهما كان الامر !اذ لا يمكن أن تحكم وزارة بيضاء شعب أحمر ! وهذه التشريعات ضرورية كأساس للحكم الذى يهدف الى محاربة الشيوعية والقضاء على الصحف التى تدعو الى الشيوعية والمبادىء المتطرفة !...

وكان حضرته يرى فيما يظهر ان الفساد المدنس .. هو المبادىء المعتدلة. وسواد الجريمة .. هو الدولة البيضاء !

وصفع صلاح الدين هذا الوزير بتصريح خطير ... قال فيه : قرأت ببالغ الدهشة تصريح معالى حامد زكى باشا ، ذلك التصريح الذى أقحم فيه زميلى الالوان البيضاء والحمراء والذى كان فيما اعتقد خطأ كبيرا ولا سيما بعد أن حسمت ازمة التشريعات بسحبها من مجلس النواب

والذى يهمنى الآن من اثارة هذا التصريح ان زميلى قد احرج به زملاءه الوزراء احراجا كبيرا، مما يضطرنى الى ان أعلن اننى عارضت كل مشروع مقيد للحرية . وذهبت فى المعارضة الى أقصى الحدود والتى ترسمها مسئوليتى كوزير ، وسأعارض كل مشروع من هذا القبيل واذهب فى معارضته الى أبعد الحدود ، سواء فى هيئة الوزارة أو فى الهيئة الوفدية أو فى مجلس الشيوخ !.

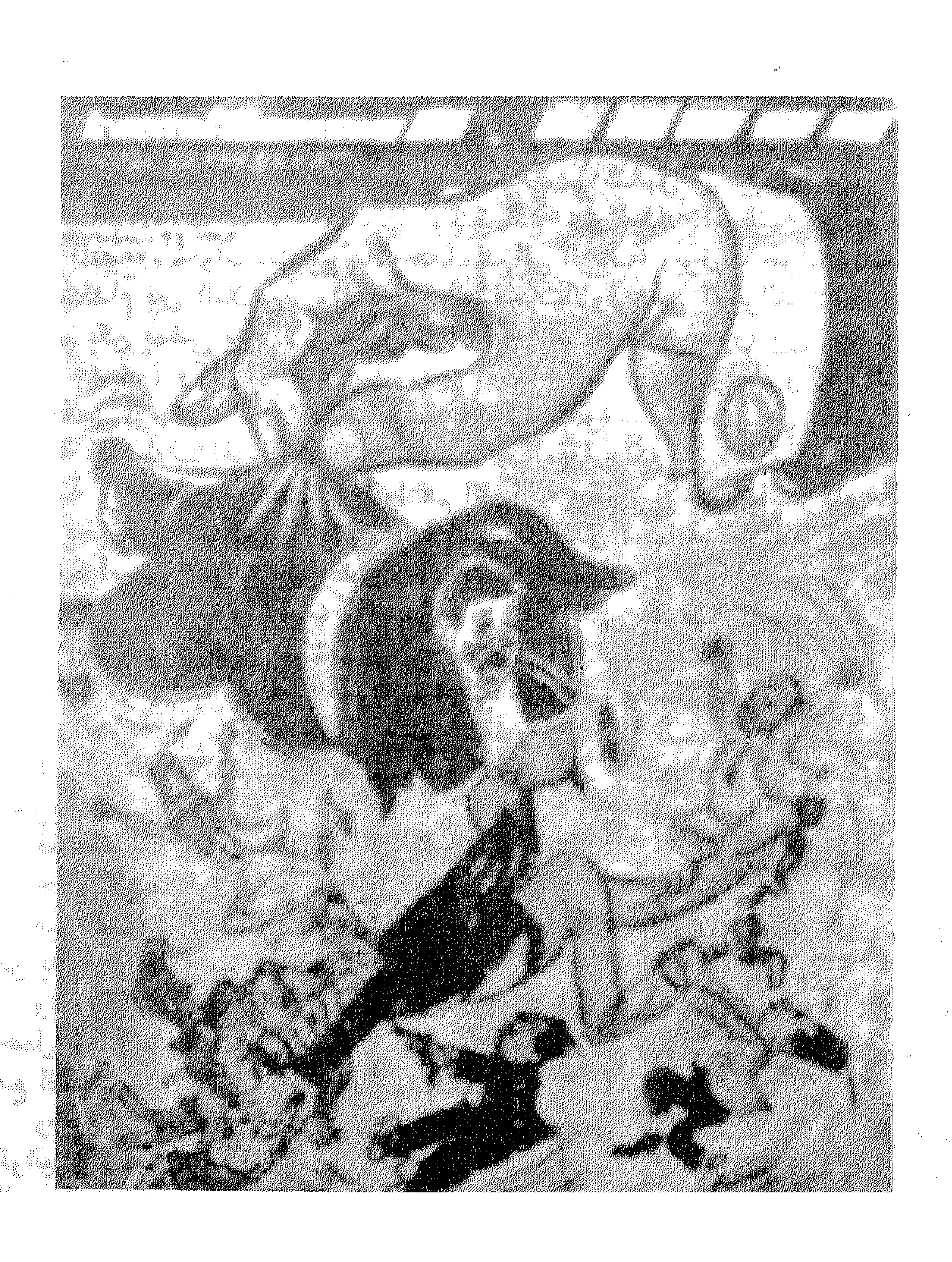
وكان هذا التصريح خطيرا حقا .. لانه كشف عن ان الوزراء انفسهم كانوا يعارضون التشريعات، وان التشريعات كانت مفروضة عليهم من الملك، صاحب المصلحة الاولى فى تقييد الحرية !.

***

ولم تكن الصحافة وحدها فى الميدان ... وان انبعثت من صفحاتها شعلة النور ...

كانت المنشورات تطبع وتوزع فى كل مكان : منشورات يوزعها الطلبة ... ومنشورات يوزعها العمال .. ومنشورات يوزعها .. الضباط الاحرار »

وكانت الاجتماعات تعقد ، والمنابر ترفع ، والجماهير تهتف .



النحاس باشا : ماتخفوش . فؤاد باشا مسيطر على الحالة تماما
عن روز اليوسف ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٥١

وكانت المظاهرات لاتترك فرصة تفوت .. وفى الجامعة كان يتعاقب الخطباء طالبين راس فاروق .. هاتفين بسقوطه ..

وكانت جبهة المعركة عريضة واسعة .. تشمل الحريات السياسية ، والاوضاع الاجتماعية ، والمشاكل الاقتصادية ، والمسالة الوطنية .. والفساد الملكى المتوج .. وامتدت موجات هذا المد الى الريف ، وبرزت حوادث التفاتيش والاصطدام بين الفلاحين والمالكين فى الصفحات الاولى من الجرائد لاول مرة ..

ولم يكن يمضى يوم الا ويدخل الى قاعة النيابة ، مخفورا بين جنديين ، منهم جديد . وكان الاحرار يبدون فى اقسام السجون ، وامام وكيل النيابة ، وفى قفص الاتهام ، ثم فى ظلام السجون .. كانوا يبدون — فى بعض العيون المظلمة العمياء — اقزاما مذنبين ، تعساء ضائعين! ولكن هؤلاء الابرار من الكتاب والطلبة والفلاحين والعمال كانوا هم العمالقة حقا . الاحرار الشرفاء حقا . كانوا يخرقون القوانين التى وضعها الفساد القذر لحماية نفسه ، لكى يقرروا مبادىء أسمى ، وقوانين أعدل ، ومجتمعا أسعد . وكانوا يضحون من أجل ذلك كله بالراحة ، واللين ، والاحترام الزائف الذى يضفيه المجتمع على بعض حماة الجريمة ، الذين يعيشون على فتاتها !

وهنا .. يجب ان نقف سويا — ايها القارىء — ونتعلم درسنا :

ان الحرية شىء ثمين حقا . وهى للتقدم وانتصار الشعب شرط اساسى . وانظر الى تلك الانتصارات الضخمة التى حققها الشعب فى خلال سنتين من الحرية النسبية .

فضح الملك وقدم شركاءه الى المحاكمة ...

حطم كل محاولاته لفرض نظم رجعية جديدة .

عبأ السخط بين الجماهير وحدد أهدافه فى الملك الفاسد وبطانة السوء وكل من يدور فى فلكه من سياسيين .

وتوج الشعب هذه الانتصارات بالغاء المعاهدة .. وبتقرير حق شبابه فى حمل السلاح ومحاربة الانجليز .. ودفع الحكومة الى حالة من شبه الحرب مع الاستعمار لاول مرة فى تاريخنا الحديث .

ومع ذلك فقد كنا نقاتل — أيها القارىء — بحرية ناقصة ... تنال منها قوانين استعمارية عنيفة تقيد حريات الاجتماع وتكوين الجمعيات واصدار الصحف .

والدرس الذى يجب ان تتعلمه — ايها القارىء — من هذه الحقائق هو : ان تطالب باصرار برفع القيود الباقية على حريتك

وان تؤكد دائما حقك فى ان تعتنق الراى الذى تراه صوابا . وان تعبر عن هذا الراى بالكتابة والخطابة والجدل . وان تعمل على تطبيق رايك بعقد الاجتماعات وتكوين الاحزاب والجمعيات ...

فهذا هو الطريق — أوحد الطريق — الى أمام ..

الستة شهور السود

٢٦ يناير ـ ٢٦ يوليو ١٩٥٢

بالضغط والتضييق تلتحم الاجـزاء البعثرة ،
والازمة تلد الهمة

جمال الدين الافغانى

لماذا هو انجليزى ؟

كان الناس يعرفون دائما، بالاحساس والاستنتاج ، ان الملك السابق لص . . وسيىء السيرة . . وانجليزى . ولكنه لم يتحطم تماما الا بعد ثلاثة احداث كبار ، اكدت هذه الصفات ، ووصمته بها علنا ، وفى وضوح كامل :

قضية الاسلحة الفاسدة اثبتت انه يسرق . . ولو بدماء الضحايا .

ومأساة زواج فتحية من رياض غالى وتجريد نازلى من لقبها . . اثبتت جو الانحلال الذى يعيش فيه وينمو عليه .

ثم جاءت طعنته للقضية الوطنية والكفاح ضد الانجليز . . فدمغته بالصفة الثالثة الاخيرة . . وهى الخيانة .

وكان فاروق يجد قبل هذه الاحداث الثلاث من يزعم للناس انه امين ، صالح ، وطنى ، ولكن هذه الاحداث اخرست كل هذه الالسنة الكاذبة ، وافسحت للحقيقة الكبيرة مكانها الراسخ فى قلوب الناس وعقولهم .

وقد رأينا فيما سبق لصوصيته وانحلاله . . وعلينا ان نعرف الآن قصة خيانته . ولكن . . قبل ان نمضى فى سرد القصة ، **يجب ان نجيب على هذا السؤال: لماذا هو انجليزى ؟ . . ولماذا يخون ؟ . . هل يخون لمجرد ميل شخصى يجذبه الى الانجليز ، او اسباب عارضة دفعته الى احضانهم . . ام ان هناك مصالح ضخمة تربط الملك بالاستعمار الانجليزى وتجعلهما حليفين طبيعيين ؟**

هى مصالح ضخمة عاتية . ولنبدا الموضوع من اوله :

حين عرفت انجلترا طريق الاستعمار ، وبدات تستعبد الشعوب لمصلحة صناعتها . . كانت امامها احدى وسيلتين لحكم هذه الشعوب : اما ان تحكمها مباشرة بواسطة حكام انجليز . واما ان تستصنع لها انصارا من ابناء المستعمرات ، يستعبدون شعوبهم لحسابها . مقابل نفع كبير . . وقد وجدت انجلترا مع الزمن ان الطريقة الثانية اجدى وانسب . . فهى مثلا حين تجعل فئة من المصريين يحكمون مصر لحسابها . . توفر نفقات ادارة انجليزية كبيرة ، وتقلل من احساس الشعب المصرى بالاستعمار . . لانه ينظر الى وجوه حاكميه فاذا بها مصرية . . فيسكت ويؤمن ويحسب نفسه مستقلا . وهو لن يكتشف حقيقة هذه الوجوه الا بعد زمن طويل ، ووعى دقيق .

ولننظر كيف طبقت انجلترا هذه السياسة فى مصر ، وفى جيران مصر ، من بلاد الشرق القريب .

كانت انجلترا كلما قررت استعمار شعب من الشعوب ، بحثت عن اسرة تحتضنها ، ورجل ترعاه ، لتصنع منه ملكا . وكانت تختار اسرة لها بعض القداسة والمكانة المرموقة فى شعبها . . . وكانت تعرف ان هذه الشعوب شعوب متدينة ، فهى تدخل اليها من هذه الناحية . . . وهكذا اقامت انجلترا العروش الهاشمية فى العراق والاردن . وفى السودان احتضنت

السيد عبد الرحمن المهدى — لانه ايضا فيما يقال من سلالة النبى وابن المهدى الكبير — وقبل ان تحتل ليبيا ، احتضنت السيد ادريس السنوسى لنفس الاسباب

وهى بعد أن تقيم العرش ، وتجلس عليه الملك . . وتشعره بفضلها عليه لابد أن تجعل الملك والعرش فى حالة من الاحتياج الدائم الى مساعدتها : فاذا كان الملك فى بلد فقير كالاردن أو ليبيا أقامت شئون الدولة المالية على نحو يجعلها فى حاجة الى مساعدة مالية من الخارج دائما . ثم تبرعت هى بهذه المساعدة المالية السنوية . وهكذا يجد الملك نفسه مهددا — اذا خالف الانجليز — بالافلاس ! وقد شعرت دول الجامعة العربية اثناء حرب فلسطين سيطرة الانجليز القوية على الملك عبد الله ، وعرضت الدول العربية عليه ان تقوم هى بدفع النقص السنوى فى ميزانية الاردن الذى تدفعه انجلترا — حوالى ٢ مليون جنيه — لتحرر سياسة الاردن من الاستعباد الانجليزى . ولكن العرض خاب . ونفس الوضع خلقته انجلترا فى مملكة ليبيا الجديدة !

أما اذا كان العرش فى بلد غنية كمصر أو السودان . فان انجلترا تعمل على أن تجعل للملك — أو الموعود بالملك — فيها مصلحة كبيرة . اذ تجعل الملك أو المرشح للملك اقطاعيا غنيا له مصالح ضخمة يخاف عليها من الشعب لو تحرر ، فيركن الى حماية انجلترا له ، ولمصالحه . وهذا هو ما فعلته انجلترا فى السودان اذ منحت السيد عبد الرحمن المهدى جزيرة آبا ، وجعلته أغنى اغنياء السودان . واذ جعلت فؤادا ثم فاروقا يقتنيان الارض والضياع . . حتى وصلت الى مئات الآلاف من الافدنة . وآية هذه الخطة أن فاروقا كان يخاف خروج الانجليز دائما لان ذلك سيعصف بمصالحه . وآيته أن النظام الاقطاعى فى مصر لم يبدأ فى التغير الا بعد أن خرج أحد الحليفين : وهو الملك!

وفى الهند . . حيث تعذر على الانجليز اقامة عرش واحد . . خلقت عشرات العروش فى صورة المهراجات ، ومضت تقوى سلطاتهم وتنمى ثرواتهم ، وهم يردون جميلها بوقوفهم فى صفها ضد الشعب الهندى . فلما زال الاستعمار الانجليزى ، كانت أول ضربات الاصلاح موجهة الى هولاء المهراجات والملوك الصغار بالذات . . . وانت — ايها القارىء — تذكر قصة حيدر أباد ، الذى كان يكنز المال ويضع الجواهر فى الزكائب ، وتذكر زحف نهرو عليه ، وتجريده من ماله ، وتوجيهه لخير الشعب !

تلك هى « الخطة » الانجليزية العامة فى الاستعمار . وتلك هى المصالح الضخمة التى تربط بها حكام البلاد بعجلتها . وهذه الخطة تختلف بالطبع فى تفاصيلها من بلد الى آخر باختلاف الظروف . وعلينا الان أن نعرف — بشىء من الدقة — كيف مضت هذه الخطة فى مصر

لم تدخل انجلترا مصر وفى يمينها عرش جديد . ولكنها جاءت لتحمى

عرشا يوشك على الانهيار . فقد ذهب توفيق الى الاسكندرية فرارا من الثورة الشعبية التى تزعمها عرابى . وخفت انجلترا الى نجدته وتثبيت عرشه الذى كادت تكتسحه التيارات الشعبية . وقصة الاحتلال الانجليزى بعد ذلك معروفة

وكانت انجلترا تحرص على أن يجلس على عرش مصر رجل موال لها ، ولا يعرف سيدا غيرها . فحين شعرت أن الخديو عباس هواه مع تركيا عزلته ووضعت مكانه السلطان حسين كامل. وحين أراد أمراء البيت المالك الاحتجاج على عزل عباس هددتهم بأن تجلس اغان خان على عرش مصر ... وكان على الامراء أن يختاروا بين العرش والاستقلال . فاختاروا العرش طبعا . وبعد حسين كامل جاء فؤاد

وكان فؤاد حين جلس على عرش مصر افقر امراء البيت المالك بلا استثناء. وعرفت انجلترا كيف تضعه فى أول الطريق الموصل الى الثراء . وعمد فؤاد الى جمع الاطيان بوسائل رهيبة . يساعده زبانية مشهورون ، كانوا نواة « الخاصة الملكية » فيما بعد

ولم تقنع انجلترا بأن جعلت الملك هو الاقطاعى الوحيد فى مصر . وإلا اصبح وحيدا ، ضعيفا بين شعبه . فعمدت الى تقويته وتعميق جذوره بخلق طبقة اقطاعية تحيط به وتسنده ، وتربطها بالاستعمار الانجليزى نفس الرابطة . ومضت تكون طبقة «أصحاب المصالح الحقيقية» كما عرفت فيما بعد . وكان اللورد كرومر هو اول من أطلق هذا الاسم عليها . اطلقه فى أحد تقاريره قائلا ما معناه : ان المهيجين الوطنيين من امثال مصطفى كامل هم الذين يعارضون الاحتلال البريطانى ، وهؤلاء لا ينبغى أن يعتد بهم . أما « أصحاب المصالح الحقيقية » فانهم يؤيدون الاحتلال

خلق الانجليز طبقة « اصحاب المصالح الحقيقية » عن طريق تسهيلات اقتناء الارض ، ومشروعات الرى التى زادت من انتاج هذه الارض زيادة كبيرة، وشراء القطن لحساب مصانعها من هؤلاء الملاك بأسعار مرتفعة . وعن طريق تعليم ابناء هذه الطبقة فى انجلترا ثم توليتهم الوظائف الادارية الكبيرة فى الاقاليم، ووظائف السكرتيرين والمساعدين للمستشارين الانجليز فى الوزارات .

ومن هذه الطبقة تكون حزب الامة قبل الحرب العالمية الاولى من محمود سليمان باشا وحسن عبد الرازق باشا وعبد الخالق ثروت باشا وغيرهم .. لمناوأة حركة مصطفى كامل . ومن نواة حزب الامة ، تكون حزب الاحرار الدستوريين فى سنة ١٩٢٣ .. لمناوأة حركة سعد زغلول

وتتم الحلقة ... اذا لاحظنا ارتباط مصلحة الاحرار الدستوريين والاحزاب التى حالفتهم بمصلحة فؤاد ثم فاروق... فهم الذين اوقفوا الدستور والغوه وعطلوه بشتى الصور . وهم الذين وقفوا ــ كما سترى ــ المواقف السلبية .

الخيانة فى منتصف الطريق

كان مصطفى النحاس يصعد منبر مجلس النواب ليعلن الغاء المعاهدة، وهو يعرف ان الاقالة اصبحت حقيقة مقررة ، وان المسألة مسألة وقت فحسب ، وكان قد بنى حسابه هذا على معرفته الطويلة بسياسة الملك المرتبطة بالانجليز وتأكد من صحة حسابه حين ذهب الى فاروق ليحصل على توقيعه على مراسيم الالغاء .. فحاول أن يتهرب ، ويؤجل الالغاء باى ثمن . وكانت تصل الى النحاس ايضا بعض تفاصيل مقابلات الملك لبعض الزعماء والشخصيات ، وانه كان يقول لزواره صراحة ان الغاء المعاهدة ومحاولة اخراج الانجليز بهذا الشكل خطأ .

وحاولت الحكومة الوفدية جهدها ان تمضى بمعركة القنال .. فى جو بالغ القلق مشحون بالاحتمالات .. بين معارضة متقدمة عنيفة تتعجل الخطوات وتطلب المزيد، وتتهم الوزارة بالتردد والتقاعس ... ومعارضة اخرى مختلفة — تتكون من حزبى السعديين والاحرار وبعض المستغلين المتعفنين — تأخذ على الحكومة « تهورها » وتخوف الناس من الخراب المحتمل ، وتتربص بالحكومة الدوائر . وهناك السفارة الانجليزية تحيك الدسائس والمؤامرات.. والملك يبحث عن مخرج من هذه الورطة ! ..

وكانت الوزارة تصحو مع الصباح فتجد صحفا تهاجمها لانها لاتمنح الفدائيين مساعدات كافية ، ولانها لاتقابل الانجليز بالشدة اللازمة ..وصحفا تهاجمها بحجة انها تقود البلاد الى الخراب ، وهذه الصحف المهاجمة تبث روح الهزيمة بين الناس بما تنشره من تهديدات الانجليز ، ومظاهر قوتهم ، واحتمالات الفشل

اما الحقيقة التى يجب ان تقال ، فهى ان الوزارة حاولت ان تؤدى واجبها .. اذا راعينا ظروفها تلك الحرجة ، ومخاطر الطريق ، والضرورة التى كانت تدعوها الى الحذر من الخيانة المتربصة بها فى القصر . بل وفى بعض اعضاء الوزارة انفسهم ضد هذه السياسة .. كما اعلن حامد زكى عن نفسه اخيرا !! فبعد ان تركت الوزارة كل ادوات الدعاية تهاجم الانجليز ، وتنمى طاقة الكراهية للاستعمار الى حد لم يسبق له مثيل منذ ثورة سنة ١٩١٩ .. ونقلت الاحساس المباشر بقبضة الانجليز من مدن القنال الى جميع انحاء القطر ، وشجعت كتائب التحرير باقصى وسائل التشجيع الادبى والمادى . حتى لقد كان ميكروفون الاذاعة ينتقل الى معسكراتهم فى القنال يروى قصصهم وينقل احاديثهم لمواطنيهم . نقول .. بعد ذلك كله ، وقبل ان تقع كارثة

حريق القــاهرة ، بدات الوزارة تمد الفدائيين بالســلاح ، وتشجع ضباط الجيش والبوليس على التطوع .. وقد سحبت سفيرها من لندن وهمت بقطع العلاقات السياسية .. فلم يبق بينها وبين حالة الحرب الفعليــة الا شعرة واهية !

وشعر الملك بان الخطر على كيانه جارف .. ولم تخف عليه الآثارالخطيرة التى تترتب على ترك المصريين يحصلون على حريتهم بقوة السلاح .واتصل الانجليز بالملك ــ او « بوكيلهم فى مصر » كما كان يسميه السفير البريطانى رالف ستيفنسون ! ــ ورسمت الخطة .

وكانت أول خطوات الخيانة ــ السافرة ــ أن أعلن الملك فى أسبوع واحــد تعيين حافظ عفيفى رئيسا للديوان الملكى ، وعبد الفتاح عمر مستشارا له للسياسة الخارجية ، والياس أندراوس مستشارا للشئون الاقتصادية .. وأدرك المواطنون من شمال الوادى الى جنوبه ، بل ادرك الاحرار فى العالم العــربى كله ــ مغزى الخيانة ؟ ففى مصر انطلقت المظــاهرات هاتفة ضــد الملك باقسى ماتتيحه لها الالفــاظ ، مطالبة براس حافظ عفيــفى ، منادية بسقوط « عفيفى » و « حافظ » عفيفى ! .. وفى الخرطوم تظاهر طلبــة المدارس ضد رئيس الديوان . وارسل احد زعماء الاحزاب السودانية ممن يحملون رتبة البكوية من مصر ، ارسل برقية الى الملك يعلن تنازله عن رتبة البــكوية احتجاجا على خيانة الملك للقضية الوطنية . وفى بغــداد كتبت الجريدة الحرة « صدىالاهالى» تهاجم هــذا التعيــين وتشرح معناه ! ! ..

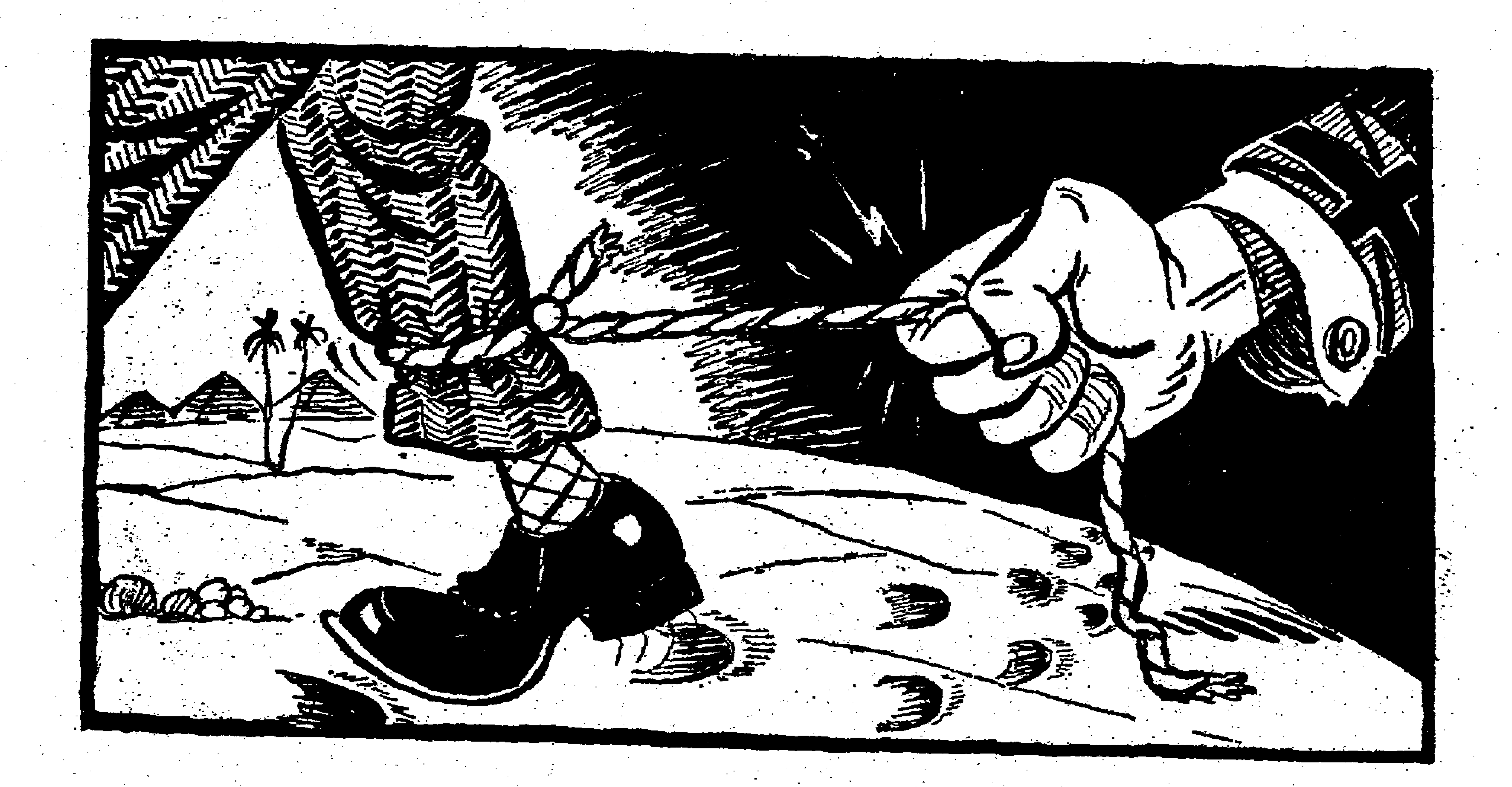
وكانت هــذه الغضبة الشاملة فى محلهــا تماما . وقد دلت على وعى عميق .

فاما اليــاس اندراوس فقــد عرفنا منبته ، واولياء نعمته ، وحقيقــة وظيفته ...

واما عبد الفتاح عمرو فهو تلميذ احمد حسنين البكر .وهو الذى وصفه طه حسين ادق وصف حين قال انه يصلح سفيرا لانجلترا فى مصر اكثر مما يصلح سفيرا لمصر فى انجلترا ! وهذا صحيح .. لان عمرو عاش طيلة عمره فى انجلترا . فهو يعرف عنها اكثر مما يعرف عن مصر . وهــو خليق ان يمثلها اكثر من أن يمثــل مصر . وحين تقرر عزله من منصبه رفض العودة الى مصر .. وقرر ان يستوطن فى وطنه الحقيقى .. انجلترا ! !

واما حافظ عفيفى .. فحديثه طويل ! وقد ثار الناسعلى تعيينه بسبب الحديث الشهير الذى ادلى به للاستاذ كامل الشناوى ونشرته « الاهرام » ودافع فيه عن معاهدة ١٩٣٦ وطالب بالارتباط بانجلترا الى اقصى حد .. وكان هذا الحديث والحكومة على وشك الغاء المعاهدة !

ثار الناسعليه بسبب هذا الحديث .ولكن تاريخه ابشع من ذلك بكثير.



(من بين الاوسمة المصرية وسام يسمى ربطة الساق)
وسام ربطة الساق الذى يحمله احد المصريين :

ولعله بين جميع السياسيين الذين عرفتهم مصر اشدهم رجعية واكثرهم انجليزية . واذا كان المجال لايتسع لتشريح حافظ عفيفي ، فانه يكفي ان نعرف عنه هذه الحقائق البسيطة :


حافظ عفيفي

* فهو السياسي الذي اشترك في أكبر عدد من مرات تعطيل الدستور أو الغائه. بينما نجد على ماهر اشترك في تعطيل الدستور مرتين واسماعيل صدقي مرتين ومحمد محمود مرة واحدة .. نجد ان حافظ عفيفي اشترك فيتعطيل الدستور ثلاثمرات : مع محمد محمود سنة ١٩٢٨ . ومع صدقي سنة ١٩٣٠ . ومع الهلالي سنة ١٩٥٢ . فلميفته شرف المساهمة في تعطيل الدستور الا مرة واحدة ، مع زيور ، سنة ١٩٢٤

* ولم يكن دوره في هذه الانقلابات مجرد المساهمة الداخلية ، بل كانت مهمته ان يكون مندوب الانقلاب عند الانجليز .. فقد جعله محمد محمود في سنة ١٩٢٨ وزيرا للخارجية وحلقة اتصال بدار المندوب السامي . ولم يكتف صدقي سنة ١٩٣٠ بذلك ، بل نقله من الوزارة الى وظيفة وزير مفوض في انجلترا « ليسند » انقلاب صدقي هناك !

* وكما انه صاحب الرقم القياسي في تعطيل الدستور ... كذلك فانه صاحب الرقم القياسي بين جميع الساسة المصريين في مفاوضة الانجليز . فبينما نجد مصطفى النحاس فاوض الانجليز خمس مرات . وصدقي خمس مرات . نجد ان حافظ عفيفي جلس الى مائدة المفاوضات ست مرات : مرة مع سعد وعدلي سنة ١٩٢٤ ومرة مع محمد محمود سنة ١٩٢٨ ومرة مع صدقي سنة ١٩٣٠ ومرة مع النحاس سنة ١٩٣٦ ومرة اخرى مع صدقي سنة ١٩٤٦ ومرة اخيرة مع الهلالي سنة ١٩٥٢ !

* وفي مفاوضات صدقي بيفن سنة ١٩٤٦ ، رفض جميع اعضاء هيئة المفاوضة من المستقلين مشروع صدقي بيفن ، واستقالوا استقالة مسببة بهذا السبب ، ما عدا واحدا فقط : هو حافظ عفيفي ! ! .. خلاف السعديين والدستوريين طبعا (هيكل وعبد الهادي والنقراشي)

* وقد الف في حياته كتابا واحدا هو : الانجليز في بلادهم ! !

هذه هيمعالم تاريخ هذا الرجل .. حافظ عفيفي . وهذا هو الرجلالذي



المصرى افندى انتم دوختونى : احارب الانجليز تقولولى حارب الفساد :
احارب الفساد تقولولى حارب الانجليز :
عن روز اليوسف ١٨ فبراير سنة ١٩٥٢

اختاره فاروق ليكون رئيسا لديوانه ، ومنفذا لسياسته ، والشعب مشتبك فى معركة دامية مع الانجليز !

ولم يكن فاروق مستطيعا ان ينفذ بنفســه خطة الخيانة والغدر فى هــذه الظروف .. فهى مهمة صــعبة ، لاينهض بها هــذا الفاسق ، الجاهل ، الذى يعيش فى عالم من الانحلال والقمار والصور الفاضحة، ويجالس حثالات هابطة المستوى لاتجيد الا حديث الدعارة مثل بوللى وبيترو وحلمى حســين ! فلم يكن بد من ان يختار رجلا ينفذ له الخطة المرسومة ، وكان حافظ عفيفى ذلك الرجل ...

وكانت الخطة التى رســمها فاروق والانجــليز لطعن القضــية الوطنيــة تستهدف أولا اخراج وزارة الوفد . وكانت خطة اخراج الوزارة تتلخص فى الاتى :

١ ــ تشجيع الحملة على مظاهر الفســاد الداخلى فى الوفد ، والتشــهير بالاخطاء والسرقات واســتغلال النفوذ ، لجــذب اهتمام الناس الى الوضــع الداخلى من جهة ، ثقــة الشعب فى الوزارة التى تجتــاز به المعركة .

٢ ــ نشر الانبــاء المختلفــة او المبالغ فيها عن محاربة الوزارة للفدائيين والقبض عليهم وما الى ذلك .. لزعزعة الثقة بين المقاتلين فى الجبهة والوزارة فى الداخل .

٣ ــ ان يقوم الانجليز باستفزازات وتحرشات عنيفة لاغرض من ورائهــا أكثر من تعريض الوزارة لهزات عنيفة . واثارة موجة السخط فى الداخل على نحو يؤدى الى الشعب ويتزايد به حتى يمكن اتهام الوزارة بتهمة عدم القدرة على الاحتفاظ بالامن وحراسة اموال وارواح الاجانب . فهدم الانجليز لــكفر عبده . وضربهم لمحافظة الاسماعيلية لم يكن لهما مبرر من ضرورة حربية أو دفاعية . انما هى ضربات عنيفة كانت تهز الشــعور العام فى الداخل ، وتطلق عقال المظاهرات وتهيىء لحدوث اعتداءات وانتقامات فى الداخل تبرر تدخل الدول الاجنبية أو اقالة الوزارة .

٤ ــ مشاورات متصلة للبحث عن الوزارة التى يمــكن ان تخلف وزارة الوفد . ويجب أن تكون وزارة قادرة على التظاهر بالاستمرار فى مقاومــة الانجليز ، تلافيا لثورة الرأى العام من جهة ، وحتى يمكن تحويل التيــار تدريجيا ، وفى هدوء .

٥ ــ البحث عن وسيلة للحد من الحريات العامة .. لان قتل القضيــة الوطنية لن يتيسر ابدا وهذه الاجتماعات تعقد ، والصحف تكتب ، والناس يقولون مايشاءون !

وتمت الخطة بحذافيرها .

فقد انتشر احســاس غير ملائم بعدم قدرة الوزارة الوفدية على مواجهة

...

الموقف . ووصل الامر باحدى الهيئات ـ الحزب الاشتراكى ـ الى حد مناداة رئيسه احمد حسين باقالة الوزارة ، دون ان يفكر لحظة واحدة فى الوزارة التى يمكن ان تخلفها ، وامكانية الاستمرار فى المعركة ..

واثر الاعتداء الوحشى على محافظة الاسماعيلية فى استفزاز الناس واشعال غضبهم وتمردجنود بلوكات النظام ـ ذلك التمرد الذى لم تتكشف الاصابع الخفية فيه بعد ـ وكان تضليل هذا الغضب سهلا نتيجة التوجيه الخاطىء الذى قامت به بعض الصحف ، موهمة الناس بان المعركة يمكن ان تكسب بالتخريب الداخلى والتحريض على ارواح الاجانب وممتلكاتهم .

ولما انطلقت كل هذه العوامل وتفاعلت وسنحت الفرصة لعناصر الخيانة كلها ان تعمل على نطاق واسع : البوليس السياسى ، وعملاء الانجليز من نوع جماعة اخوان الحرية وغيرها .. اخذت هذه تعمل على تكميل المأساة .. وكانت قيادة الجيش الفاسدة كالاصابع فى يد الملك، فاستطاع ان يمنعالجيش من التدخل لحماية الامن .. حتى يعمالدمار بشكل جسيم يبررالاجراءات التى ينوى الملك الاقدام عليها ...

واحترقت القاهرة !...

وحين ذهب النحاس يطلب الموافقة على قطع العلاقات السياسية بانجلترا، قيل له : تريث .. وتريث حتى احترقت القاهرة .. وطلبالملك اعلانالاحكام العرفية فورا،وكانت آخر اخطاء الوزارة انوافقت على اعلانها وانطلقالبوليس السياسى فى دخان الحريق يقبض على جميع خصوم الملك ، وخصوم الفساد، وخصوم الانجليز .. وقبل ان ينقشع الدخان كانت الوزارة قد اقيلت، وكان البوليس السياسى مستمرا فى عملية القبض ، فقبض على انصار الوزارة أنفسهم !

وفى اربع وعشرين ساعة .. اصبح الشهداء والابطال والفدائيون طريدى العدالة .. عدالة فاروق !

ومن يتولى الوزارة فى هذه اللحظة الحرجة ؟...

كان نجيب الهلالى معدا لهذا الدور منذ شهور . وخطوط السياسة التى سوف ينتهجها مرسومة له بدقة . ولكن مواجهة الوفد بالحرب مباشرة ، والوقوف فىوجه التيارالوطنى مرةواحدة ينطوى على خطورة بالغة . لذلك اتفق حافظ عفيفى والملك مع الهلالى على ان يتأخر دوره قليلا ... واتفق على ان يتولى الوزارة رجل يكون حسن السمعة عند الناس ، ويستطيع ان يجرى مع الجواد المندفع خطوات قبل ان يوقفه تماما .. فمن الرجل اذا ؟..

على ماهر .

وكان على ماهر قد اعلن تأييده لالغاء المعاهدة . وراس فى مجلس الشيوخ لجنة اقرار تشريعات الالغاء . وسار فى المظاهرة الصامتة التى نظمت حدادا

على شهداء القنال . ورشح ليرأس هيئـة قومية تدير المعركة فى القنـال .. فهو اذا يمكن ان يكون مقبولا عند الناس . وسوف يصدقه الشعب حين يقول
فهو اذا يمكن ان يكون مقبولا عند الناس . وسوف يصدقه الشعب حين يقول :
انني عازم ايضا على اخراج الانجليز .. وسوف امهلهم اسابيع محـدودة والاحـكام العرفية لن تبقى اكثر من شهرين . والبرلمان الذى الغى المعـاهدة سيبقى !!

وكان على ماهر مخلصا فى هـذا الكلام . وكان يعتقـد ان الانجليز بعد ان عرفوا ما يمكن أن يترتب على بقائهم فى القنال لابد سيعيدون النظر فى موقفهم . وقد بدأت بوادر تراجعهم ايام معركة القنال بالوساطات التى كانوا يحركونها . ورضي الوفد وأيده . وحدد على ماهر موعدا لبـدء مفاوضات سريعة قصيرة مع السفير ... وظن ان الامور تجرى الى غايتها .

ولكن القصر وجد ان على ماهر قد أدى مهمته . واستطاع أن ينفذ الصدمة الاولى للقضية الوطنية بألبق طريقة ممكنة . وكانت خطته فى الابقاء على البرلمان الوفدى ، وتحديد أجل قصير للاحكام العرفية ، واجل آخر لانهاء المفاوضات .. كان معنى ذلك اما خروج الانجليز واما عودة الثورة الوطنية .

وفى يوم واحد .. وبعـد شـهر واحد من تأليف الوزارة . اعتذر السفير البريطانى عن موعد بدء المفاوضات . واستقال وزيران من الوزارة – مرتضى المراغى وزكى عبد المتعال – لان الرئيس لايريد حل البرلمان الوفدى ومجاهرة الوفد بالعداء والاشتباك فى معركة داخلية وهو يتهيأ لمقابلة الانجليز .. وادرك على ماهر عمق المؤامرة .. فقدم استقالته .

وذهب النحاس الى على ماهر يزوره ، ويقول له ساخرا : طيب أنا طلعونى علشان حرامى ، وانت طلعوك ليه يابطل ؟!

كان على ماهر حسن النية . ولـكنه سوف يحتمل امام التاريخ مسئولية القاء الماء على النار الملتهبة فى القنـال ... والطريق الى جهنم مفروش – ايها القارىء – بالنوايا الطيبة !

وكانت مصر فعـلا تسير فى الطـريق الى جهنم .. اذ الف نجيب الهـلالى وزارته .

الزعيم فى صحوة الموت

عندما بدأ النحاس يؤلف وزارته فى سنة ١٩٥٠ ، استدعى نجيب الهلالى قبل الجميع ، وعرض عليه ان يختار بين وزارة المعارف ووزارة المالية .

وفوجيء النحاس بان الهلالى يرفض دخول الوزارة اطلاقا. وخرج النحاس الى الجماهير التى كانت محتشدة هاتفة باستمرار امام بيتــه اثنــاء تاليف الوزارة ، وجذب الهلالى من ذراعه وقال للجماهير : قولوا له يقبل !

وصاحت الجماهير هاتفة بالهلالى وزير المعــارف ، ولكن الهلالى عاد الى داخل البيت ، واصر على الرفض . وبرر رفضه بأنه قرر اعتزال السياســة منذ زمن بعيد . ولم يصدق الحاضرون طبعا .. وقال له النحاس كيف يكون معتزلا السياسة وهو عضو فى الوفد .. فقال الهلالى :

ــ الحقيقة انني اتخذت قرارا لن احيد عنه ابدا مهما كانت الظروف : هو ان لاادخل قصر الملك ولا احلف يمين الاخلاص امامه . ولا اوقع على ورقة واحدة تحمل توقيعه !

وادرك الحاضرون ان الهــلالى مازال يعادى القصر منذ سنة ١٩٤٤ ، حين اوعز الى احــــد النواب بتقديم استجواب عن ديون احمد حسنين التى لم يدفعها للوزارة ، ورد الهلالى بأنه كوزير للمعارف سوف يتخذ اللازم لارغام رئيس الديوان على دفع هذه الديون .

وعاد النحــاس يحاول اقناع الهــلالى بدخــول الوزارة ، دون ان يبلغ من ذلك شيئا .


نجيب الهلالى

وليس صحيح ماقيل من انه رفض دخــول الوزارة احتجــاجا على فساد وزارة النحاس سنة ١٩٤٤ ، ولو كان ذلك حقــا لخرج مع مكرم عبيد ، ولما نهض باكبر العبء فى الدفاع عن وزارة الوفد ضد اتهامات الكتاب الاسود .

ومع ذلك فهذا الرجل كتب عليه ان يكون آخر وزراء الملك الســابق . وان يسجل عنــــه التاريخ انه صاحب آخر محاولة لتوطيد فساد فاروق ، والتمكين لظلمه ، والتطوع لارادته

فما الذى اصابه ؟

ليس الهلالي هو موضوع هذا الكتاب وهو لايعنينا هنا الا بقدر ما كان آلة في يد فاروق ، واداة لتزيين فساده . ويكفي ان نقول انه قضى السنة السابقة على توليه الوزارة في اتصالات مريبة مع رجال القصر الذي اقسم ان لايدخله . ومقابلات مع المسئولين الانجليز الذين مروا بمصر مثل مستر ستوكس وزير الدولة البريطاني في حكومة العمال . وكانت هذه المقابلة ــ مثل غيرها ــ تبدو غير مفهومة : والهلالي ليس رئيس حزب ، وليس رئيسا سابقا للوزارة .. ولم يعرف ان بينه وبين وزراء الانجليز «استلطاف» سابق او ود قديم .. الا اذا كان آتلي ورفاقه قد بلغهم صيته في ابتكار النكتة ، فارسلوا رسولا من عندهم لينقل اليهم آخر مبتكراته .

فالذي يهمنا هو ان الهلالي ، كان السياسي التعيس الذي اختير لكي يلعب الدور الاساسي في هذه المأساة . وانه لم يؤلف الوزارة بعد النحاس مباشرة الا لحكمة بليغة : هي ان لايتلقى صدمة الانقلاب الاولى التي قد لايتحملها .. فاتفق مع حافظ عفيفي على تقديم على ماهر .. لينهض بدور « راس الحربة » ...

وبهت الناس وهم يقراون في الصباح خطاب تشكيل الوزارة .. وكان الهلالي بارعا فزعم ــ كاذبا ــ ان الدستور سيحترم ، وان الاهداف الوطنية قريبة المنال ... ليمهد بذلك لخدعته الكبرى : التطهير ومحاربة الفساد ...

والحكمة المأثورة تقول : ان العبرة ليست بالسيف .. بل باليد التي تمسكه .. فان السيف قد يكون في يد اداة لغاية نبيلة ، وقد يكون في اخرى اداة لارتكاب جريمة .

كذلك التطهير .. انه سلاح لاغبار عليه .. وامل لايغيب عن خاطر شريف . ولكن العبرة باليد التي تنفذه . وقد بدا التطهير في يد الهلالي اكذوبة ضخمة ، وسخرية مريرة . لان الهلالي نفسه كان في يد الملك . وكان الناس يعرفون جيدا ان الملك هو الفساد الاكبر .. وان جميع صور الفساد اهون كثيرا من فساد فاروق ، والحاشية ، والتابعين

وكان طبيعيا ان لايطهر الهلالي شيئا .. وان يخرج من الوزارة بعد ثلاثة شهور .. فاذا بكل دعاوى التطهير تتلخص في عشر ملفات خالية على مكتب وزير العدل ، مكتوب على غلافها رؤوس موضوعات ، وتحمل كلمة «تطهير !»

اما اهداف الهلالي الحقيقية فقد تحققت .. ويجب ان نقرر ذلك انصافا للرجل الذي قيل انه فشل .

كان المطلوب من الهلالي هو :

١ ــ ان ينسى الناس قضية الجلاء والانجليز ، وكل الاشياء التي تثور لها الدماء .

٢ ــ ان يعطل الدستور ويلغي كل الضمانات المكفولة فيه اطول مدة مستطاعة
٣ ــ ان يؤدب اعداء النظام بشتى الطرق ، وان يفرض الذل على الراى العام حتى لايرفع راسه في وجه الملك والانجليز مرة اخرى ، قبل وقت طويل ... طويل .

وقد نجح الهلالي في ذلك كله نجاحا باهرا .. واليكم «كشف» النجاح :

اولا ــ نجح الهلالي ــ باسم الملك ــ في وضع القضية الوطنية على الرف . وقد سلك الى هذه الغاية مسالك كثيرة . فقد اغرق البلاد عامدا في سلسلة مهاترات داخلية انست الناس انفسهم . وابتكر من المظالم والمفاسد والمساخر والاستبداد ماحجب عن اذهان الناس مظالم الانجليز واستبدادهم ، وحرم على الاذاعة والصحف ان تتحدث عن الانجليز بشر . بل لقد منع على الصحف ان تنشر شيئا عن قضايا الشعوب الاخرى المكافحة ضد الاستعمار : ففي تونس مثلا وقعت احداث جسام لم تنشر منها الصحف شيئا .. لان حديث الاستعمار ، وثورة شعب تونس عليه قد تذكر المصريين باستعمارهم ، وثورتهم عليه . وكان زعماء تونس الهاربين الى مصر يعقدون المؤتمرات الصحفية في القاهرة ، ويهاجمون الاستعمار الفرنسي ويطالبون بتحقيق مطالب الشعب التونسي . فتمنع الرقابة اى اشارة الى المؤتمر .

بل لقد همت وزارة الهلالي بمنع الوزيرين التونسيين الهاربين من قبضة الفرنسيين من دخول القاهرة .. لولا تدخل الجامعة العربية واعلانها ان الوزيرين في ضيافتها !

واعتدى الانجليز على سلطنة لحج وقذفوها بالقنابل ، وهرب السلطان .. فمنعت الوزارة الصحف المصرية من الاشارة الى هذه الاحداث .. حتى لاتسوء سمعة الانجليز ..

وكان زعماء العرب المراكشيين والتونسيين وغيرهم في القاهرة يهزون رؤوسهم اسى ، ويندمون على لجوئهم الى مصر ، وكان زعيم منهم يقول . ان الحكومة المصرية لاتدافع عن الاستعمار الانجليزي في مصر فقط ، بل تدافع عن كل انواع الاستعمار في جميع البلاد !

ثانيا ــ نجح الهلالي ــ باسم الملك ــ في تعطيل الدستور واهدار كافة الضمانات الموجودة فيه . وان كنا نلاحظ انه نجح هنا « بالغش » من زيور باشا ! فقد عطل زيور الدستور واوقف الحياة النيابية سنة ١٩٢٥ بدعوى انه بصدد تعديل قانون الانتخاب تعديلا يضمن تمثيل رأى الامة تمثيلا صحيحا . وكانت هذه هي الدعوى التى استند اليها الهلالي ايضا في تعطيله الدستور .

والغريب أن الرقابة المفروضة كانت تحرم على الصحف أن تشير الى ان الدستور معطل . أو ان الحياة النيابية موقوفة . بل كان عليها اذا شاءت ان تتحدث عن الدستور أن تقول ان الدستور محترم ، وان الهلالي يؤمن بالحياة النيابية ايمانا لاحد له ! . . وكان الهلالي لايتحرج من ان يقف يوم عيد الدستور فى الناس خطيبا ، يشيد بالدستور ، وبالملك الدستورى ! ! . .

ثالثا ـ نجح الهلالى ـ باسم الملك ـ فى اضطهاد الناس واذلالهم . وان كان ينازعه فى شرف هذا النجاح وزير داخلية السراى . . احمد مرتضى المراغى . فقد تمسك ببدعة حظر التجول . وصياح الجنود فى العابرين : قف . . من أنت ! ومع انه كان واضحا ان هذا الحظر لامعنى له . . فلم يشأ المراغى ـ باسم الملك ـ ان يلغيه مرة واحدة . . بل اخذ يقلل ساعاته . . من السادسة الى التاسعة . . ثم الى العاشرة . . ثم الى الثانية عشرة . . حتى لم يبق الحظر الا اربع ساعات فقط . ولم تكن الثورة التى يخافون منها ستنشب فى هذه الساعات بالذات ولكن ابقاء الحظر كان لاشعار الناس بان السلطة المطلقة فى يد الملك لها ان تفعل بحياتهم ماتشاء . . وليظل الجنود فى الشوارع شاكى السلاح !

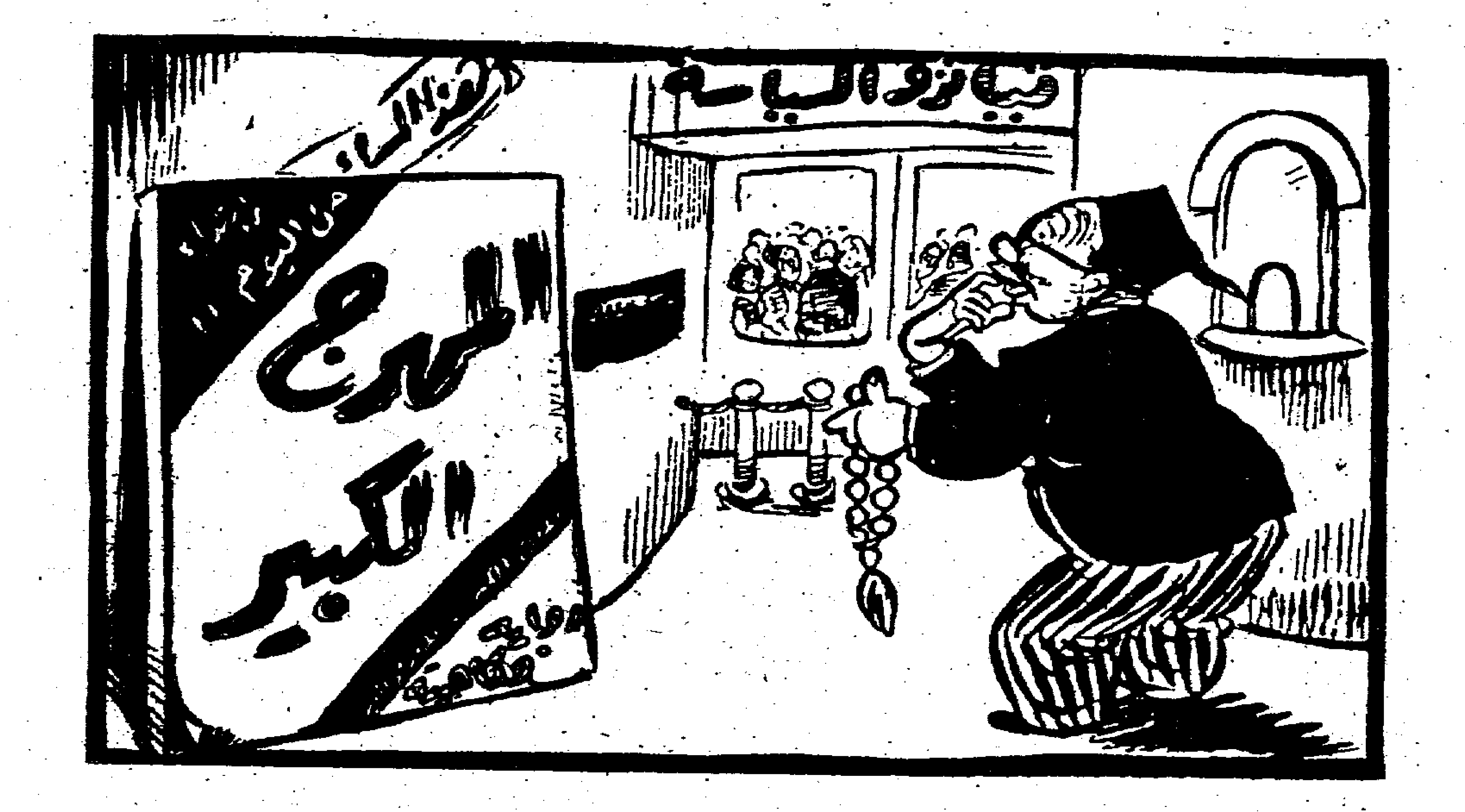
وفتحت الوزارة ابواب المعتقلات . وحددت اقامة سراج الدين وعبدالفتاح حسن . وكان ذنب المعتقلين انهم هاجموا الملك وشهروا بالفساد علنا . فكان لابد من تلقينهم درسا فى احترام الملك ، وتوفير الفساد ! ! .

ولما تزايدت المعارضة المكتومة مطالبة بالافراج عن المعتقلين . . صرح وزير الداخلية المراغى ـ او وزير الدعاية زعلوك لست ادرى ـ صرح بان عدد المعتقلين لايزيد عن ٤٤ معتقلا . وكان سيف الرقابة مسلطا على الاقلام ، فلم يستطع احد ان يقول الوزير : انت كاذب ! فان عددهم ٢٨٦ ! .

وقد تصادف يوم صدور هذا التصريح الرسمى الكاذب ، أن كان الاستاذ سليمان حافظ وكيل مجلس الدولة يزور بعض المعتقلين فى هاكستيب . وقال له المعتقلون : انظر . . أننا مئات ! وعجب الرجل ، الذى لم يكن يتصور ان الوزراء يكذبون حقا ، وبهذه الجرأة !

ولكن الظلام كان دامسا ، فأصبح الوزير يستطيع ان يكذب دون ان يرى الناس وجهه ! .

وكان الاحرار الذين بقوا خارج الاسوار يجتمعون ويسخطون . . يقول قائل ان موجة اغتيالات لابد ستبدأ . . ويقول ثان بل الخلاص فى انفجار شعبى بعد هذا الضغط الطويل ، ويتلقى ثالث ـ فى البريد ـ نشرة بتوقيع « الضباط الاحرار » فيقول ان بريق الخلاص فى اطراف البنادق ، واسنة الحراب .



رواية الاسبوع
المصرى افندى يا ترى مين اللى بيمثل الدور الاول ؟!
عن روز اليوسف ٢٨ يناير سنة ١٩٥٢

وكان للاحرار – خارج الاسوار – نشاطهم المكتوم ، وشعرهم الممنوع ، وصرخاتهم المخنوقة ، وادبهم السرى نسجل صرخة منها .. كتبها الصحفى الشاعر اسماعيل الحبروك ، فى اعقاب الحريق :

سأنام حتى لا أرى وطنى يباع ويشترى
ولمن يباع ومن يبيع ؟ انجلترا لانجلترا ! !

***

سأنام حينا يا رفاق كى لا أرى شعبا يساق
لعناق قاتله العزيز وشرب نخب « الاتفاق »
جزاركم يلهو بكم وبكفه دمكم مراق

***

سأنام كالطير الجريح كى لا أرى شعبى الذبيح
قد قيدوه وهددوه وقربوه من الضريح
حكموا عليه وكمموه فلا يئن ولا يصيح

***

سأنام عن سوق الرقيق كى لا أحس ولا أفيق
فارض المفاوضة التى بدات على ضوء « الحريق »
وأرى بلادى كالغريقة جاء ينقذها غريق

***

سأنام عن عهد القتال حلم تحقق فى القنال
اضحى الجهاد جريمة فلتسجدوا للاحتلال ! !
من مات فر من الاذى ومن الهوان والاعتقال

***

سأنام قبل العاشرة وتنام مثلى القاهرة
نمنا وظلت بعدنا عين « المفاوض » ساهرة
وضعوا النصوص وجهزوا نعشا لمصر الثائرة

***

سأنام ، كلا لن انام وكل من حولى نيام
سأسير اصرخ فى الدجى متحديا هذا الظلام

ويقـــال قف .. من انت ؟ لن أخشى .. سأمضى للامام
برصاصهم صنعـوا الســلام فقتـل على مصر الســلام ! !

او صيحـة أخرى ، للشاعر مأمون الشنــاوى توجه فيها بالخطاب لجنود الجيش ... الذين ارسلتهم القيادات الفاسدة الى الشوارع ... جاء فيها :

قال لى الحــارس قف من انت !.. فى صوت مـسـدو
والســلاح الفــاسـد المنهـوك قـد صوب نحـوى
وانتصـــاف الليـــل تنعـــاه النــواقيس فتعــوى
وانا فى قبضــة الظلمــاء .. قــد قيــدت خطـوى

***

قلت للحـــارس قـــل من انت يا حارس قبـلى
انت يا مســـكين مغـــلوب على امـــرك .. مثـلى
هب حـــكامى ، وقـــوادى ، واعـــدائى .. لقتلى
وغـــدا ينفجـر المرجـــل .. فالمرجـــل يغلى ! !

***

هـــذه الطلقـــة .. ســددها الى من ارســـلوك
لا لاعـــدائك .. بل للاهـــل هم قـــد رصــدوك
قم وســـددها ، واطلقهـــا ، على من جنـــدوك
لا على السارى .. فقـــد يرمى بيمنــاك اخــوك !

***

للذى تحرســـه .. الراحـــة والحـــلم العطر
ولك الفـــاقة ، والامـــلاق ، والعيش القـــذر !
انت ان تنصره ــ يا حـــارس ــ كنت المنـــدحر
انت ان تخـــذله ــ يا حــارس ــ كنت المنتصر ! !

***

بت يا مخـــدوع فى البـــرد وفى عصف الـــرياح
حارسا جـــلادك العـــاتى من القتـــل المبـــاح
اترى يبقى طـــويلا .. جالســـا فوق الرمـــاح ؟
لن يطول الليـــل .. بل لابـــد ان يأتى الصبـــاح !

***

لحســـاب الظـــلم والاذلال من غـــير مقـــابل
انت مجـــلود ، ومقتـــول ، وجـــلاد مقـــاتل
غضبـــة من عزمك الجبـــار ، تمحـــو كل باطل
ليسود الخـير ، والحـق ، مع الشعب المناضل !

وقد تحققت امنية الشاعر .. وغضب « الجنـدى » غضبته ولم يستطع « الجلاد » ان يجلس — طويلا فوق الرماح !

***

وقد بلغ الهلالى — لحساب الملك — قمة النجاح ، ووضع اقدامه الملوثة بطين القصر على عنق الدستور الصريح ، حتى اختفى ذلك المبدأ الخطير الذى يقوم عليـه كيان الدولة كلها .. الا وهو مبدأ فصل السلطات وجعلها ثلاثا : سلطة تشريعية ، وسلطة تنفيذية ، وسلطة قضائية !

فقد جمعت الوزارة — لحساب الملك — بين ايديها هذه السلطات الثـلاث جميعا : فهى سلطة تنفيـذية بحكم وضعها الاصلى ، وهى سلطة تشريعية تصدر التشريعات الشاذة صباح مساء بغير حساب .. وهى سلطة قضائية لانها تصـدر احكاما باعتقال هـذا واطلاق ذاك ، ولانها لاتنفذ الاحكام التى تصدرها السلطات القضائية كمجلس الدولة .. فاذا ضاقت بهذه الاحـكام اصـدرت تشريعا يمنع مجلس الدولة من مناقشـة تصرفاتها الخارجـة عن القـانون .

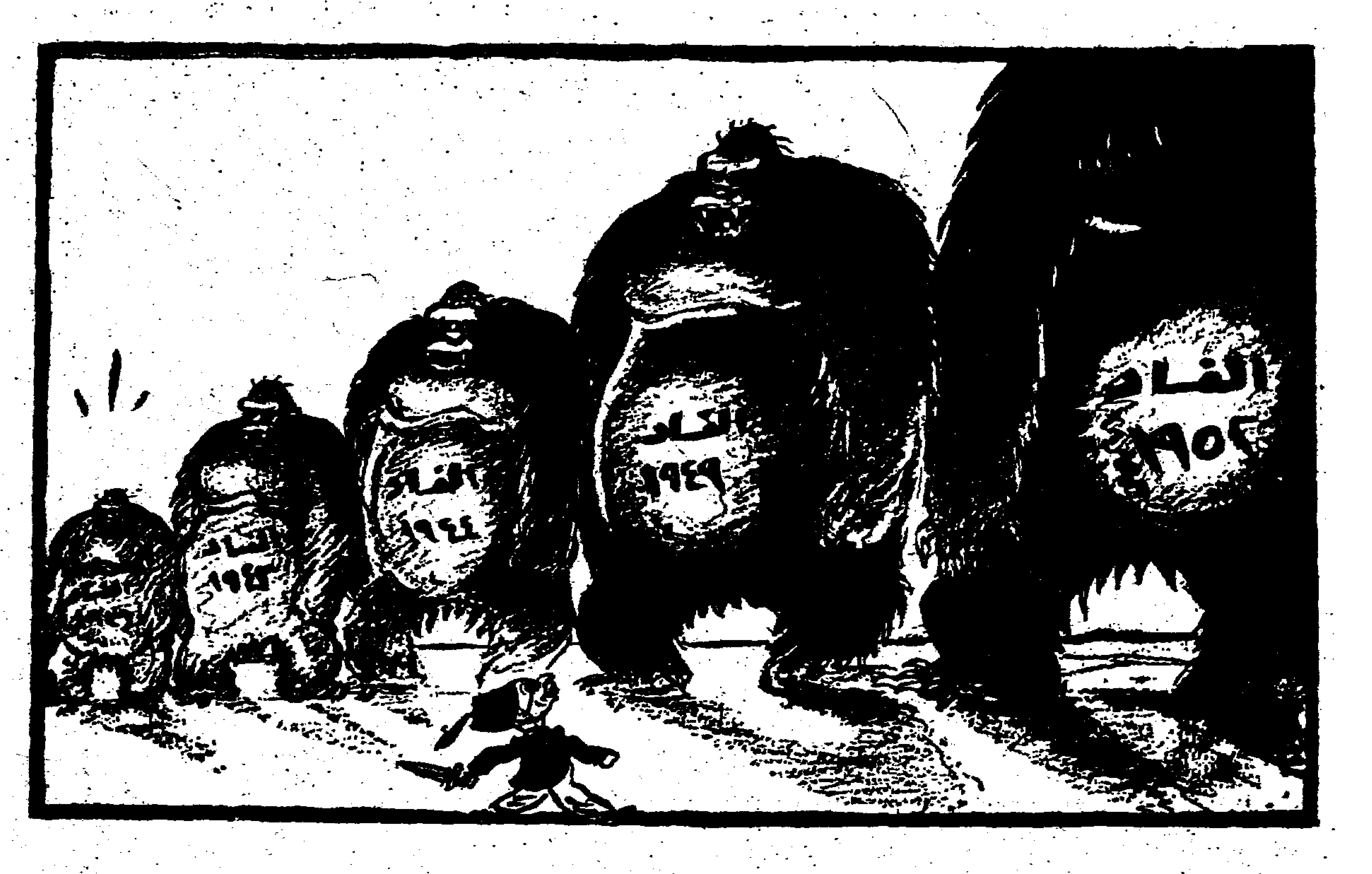
وهكذا اصبح الهلالى حاكما مطلقا بغير حزب ولا دستور ولا قضاء ولاقانون والهـلالى العوبة فى يد الملك . فالملك اذا هو الحـاكم المطلق بغير حزب ولا دستور ولا قضاء ولا قانون . ومن اجل ذلك كتب الملك السابق اليه قبل نزوله عن العرش بيومين يقبـل استقالته ، ويشـكر له «ولاءه واخلاصه» فلعله يكون — كالعهد به — على الولاء والاخلاص مقيم ! !

ولا يملك الانسان نفسـه من الاسى ، حين يتأمل هـذا الصرح الظالم غـير المشروع الذى وقف على قمته الطاغية .. فيجد ان اللذين اقاماه رجلان من رجال القانون والتشريع : نجيب الهلالى الذى بنى مجده على انه رجل قانون . وكامل مرسى عميد كلية الحقوق ، والمستشار بمحكمـة النقض ، والرئيس الاول لمجلس الدولة

ما معنى القانون عند هذين الرجلين ، وما هى حرمته ؟. هل انفقا حياتهما فى دراسة القانون وتدريسه لكى يصبح شيئا له قداسة عندهما وله حرمته . ام كان ذلك لـكى ينبغا فى انتهاك القوانين ، والالتواء بها ، ووضعها مطية طيعـة لحـاكم فاسق جاهل مستبـد .. يعمل ضـد شعبه — وشغبهما — على طول الخط ؟ ..

وماذا افاد الهلالى وكامل مرسى وغيرهما من هذه «الخدمة» ؟.. .

اننا نفهم الخيانة ، والزلفى ، وكل شىء من هـذا القبيل .. اذا صدر من رجل تافه امعة يريد ان يصل او يشتهر ، أو يثرى . اما من رجال صنـعوا مجدهم بأيديهم .. وارتفعوا بجـدهم واجتهادهم .. فهذا غير المفهوم ..



الاستثناء الذى اقره الجميع !! – عن روز اليوسف ٧ يوليو سنة ١٩٥٢

ووجد الملك الذى قبض على مصر بمخالب جارحة .. عليها اسماء الهلالى وحافظ عفيفى ومرتضى المراغى .. وجد زعماء يؤيدون كل هذا الظلام .. وحزبين ــ السعديين والاحرار الدستوريين ــ يؤيدان كل هذه المفاسد .. لسبب صغير بسيط : هو امل كاذب فى الحكم !

فلماذا لايطغى الملك ؟ لماذا لايقف على خراب مصر ضاحكا صاخبا منتصرا وبين يديه زبانية يقيــدون له الثوار ، وينكلون بالاحرار ، ويقولون له : لامولى ســواك ! ...

لماذا لا يؤمن الملك بأن أى قوة لا يمكن أن تقف فى طريقه، ولماذا لايقول حين تجيئه انباء تمرد الضباط : انهم حفنة من « العيال » سوف أربيهم جميعا ؟!.



المصرى افندى : امتى ربنا حيتوب على من لعب القمار
عن روز اليوسف ٧ يوليو سنة ١٩٥٢

أزمة الجيش

يستطيع الحاكم ان يقيم لنفسه عرشا من الحراب .. ولكنه لايستطيع ان يجلس عليه !

وقد انطبقت هـــذه الحكمة على فاروق الى أقصى حــد .. فبعد هــذه السنوات من الخطايا ، لم يعد العرش يستند الى محبة الناس ، او نصـــوص الدستور ، او قواعد العدالة .. بل اصبح لاتسنده الا القوة المسلحة التى فى يده ، والتى يستطيع أن يوجهها الى صدور الناس اذا مافكروا فى التحرك .

وكان واضحا ان كل فرد فى الشعب يكرهـــه ، وان كل جهة لديها اسباب للنقمة عليه . حتى لم يعد بقاء الملك مستندا الى شىء الا الى قوة الجيش .. وكان الاحرار يترقبون الساعة التى يتخلى فيها الجيش عن حمايته ، ليسقط .

وكان فاروق أحمق مما توقعوا .. فلم يجعل الجيش يتخلى عنه فقط ، بل يقف ضده ، ويخلعه .

والذى يكشف عن مـــدى حماقته ، انه كان يعرف شيئا عن تمرد الجيش واحتمـــال انقضاضه عليــه .. حتى ذهب يؤلف فرقة ســـودانية من رجال الاحراش .. كالفرقة السويسرية التى ظن لويس الســـادس عشر انهـــا سوف تحميه من مواطنيه الفرنسيين ! !

وكان هذا الانسان الدنىء ، ومن حوله من الاوشاب ــ بحكم حياتهم الخالية من معنى الكرامة ــ كانوا يحسبون ان كل شىء يمكن ان يشترى بالمـــال .. فحـــاول ان يشترى الجيش بالمـــزايا والترقيات .. بدلا من ان يكتسبه بالعدل والسلوك النظيف ، والقادة الاشراف .

وبدأت بوادر السخط تظهر منذ كانت حرب فلســـطين ثم قضيـــة الجيش .. واصبح هـــذا السخط سافرا صريحـــا مسجـــلا ، حـــين بدات تخـــرج الى حيز الوجود منشورات « الضباط الاحرار » .

ولـــكن الحاكمين بأمرهم كانوا لايدركون قيمة « الكلمة المطبوعة » وكيف تتحول مع الزمن الى اعمال ، وتحولات كبرى ، وانفجارات .. فقالوا : انها عبث اطفال .


حسين سرى

ولم يكن حسين سرى عامر هو سبب

السخط وسبب الحركة .. ولكنه فقط السبب المباشر .. أو العامل الذى تبلور فيه السخط ، كما يحدث فى جميع الحركات .

وكان الملك يريد ان يضع على رأس الجيش هذا اللص ، الفاسد ، والمتهم فى ارتكاب جريمة اغتيال دنيئة ، على قارعة الطريق ، وكان عذره ان هذه الآثام كلها لحساب سيده . اراد الملك ان يضع هذا اللص على رأس الجيش مضحيا بحيدر ، عبده القديم ..

وظهرت الاقتراحات فى صفوف الحاشية من الخدم والحلاقين : ان يرقى حسين سرى عامر كبيرا للياوران ، ثم يعين قائدا عاما بعد طرد حيدر . او ان يطرد حيدر ويرقى حسين فريد قائدا عاما ويصبح حسين سرى عامر رئيسا لهيئة اركان حرب الجيش .. او يصبح وزيرا للحربية .. ويرأس حيدر نفسه .. والجميع ! ..

وكان الجيش قد صمم على طرد هذا الرجل من صفوفه ، ومقاطعته كما يقاطع المرضى ، او الوباء ..

واجتمع الضباط فى ناديهم ينتخبون مجلس الادارة فانتخبوا « الضباط الاحرار » .. ووضعوا على راسهم خصم حسين سرى عامر الرئيس : محمد نجيب .. ورفضوا انتخاب مندوب عن سلاح الحدود الملكى .. من اجل رئيسه الملوث .. ووقفوا دقيقتين حدادا على عبد القادر طه ، تشهيرا بجريمة حسين سرى عامر !

وثار سرى عامر .. ثم ثارت الحاشية .. فثار الملك كالبركان .. وأقسم بكل ما فى طغيانه من اندفاع انه سوف « يدوس » هؤلاء الضباط . وحاول حيدر انيكون رجلا ، وان ينصح ، فصاحوا فىوجهه ، واعلنوه بأنه مفصول !.

وكان حسين سرى قد ألف الوزارة .. واراد انيعين نجيبا وزيرا للحربية واراد الملك سرى عامر ، وقال انه لن يسمح لقصة عرابى بان تتكرر !! ...

وتأزم الموقف .

ودخل حافظ عفيفى يوما على رئيس الوزراء ، يقدم اليه مذكرة مكتوبة بالقلم الاحمر بها ما يأتى :

« يعتبر حيدر مفصولا من منصبه اذا لم يعمل الآتى فى خمسة إيام :

اولا ــ حل مجلس ادارة نادى ضباط الجيش

ثانيا ــ نقل ١٢ ضابطا (هم اعضاء المجلس) ..

ويروى محمد هاشم ان حسين سرى سأل حافظ عفيفى :

ــ هل انت كاتب هذه الورقة ؟

ــ لا

ــ هل كتبها الملك ؟

ـ لا
ـ اذن .. من الذى كتبها ؟
ـ اظن انه الشماشرجى عزيز
ـ هل تعرف الضباط الاثنى عشر ؟
ـ لا .. لكن من أعطانى الورقة قال ان حيدر يعرفهم !! .
هكذا كان حافظ عفيفى ، رئيس الديوان الخطير ، الذى يقيل الوزارات ويتصرف فى مصائر البلاد .. هكذا كان حافظ عفيفى يذهب كالخادم الذليل يحمل ورقة كتبها «شماشرجى» .. لينفذ اوامرها .. دون ان يناقش فى التفاصيل .. او يعرف على الاقل من المطلوب فصلهم !! .


محمد حيدر

واستدعى حسين سرى الفريق الكبير حيدر ، وطلب منه ان يدرس هذا الطلب ثم يعيده برأيه .. وكان حيدر فزعا على المنصب الذى سيطير ، متلهفا على العودة الى حظيرة الرضاء السامى .. فأسرع يحل مجلس ادارة النادى .. ولما نهره حسين سرى على ذلك لم يجد دفاعا عن سلوكه الا قوله .
ـ انا كنت حاترفت يا افندم !! . .
واستقال حسين سرى حتى لايتحمل مسئولية تصرفات الملك التى ينفذها دون أن يقيم وزنا لرأى رئيس الوزراء .
واسرع الهلالى يقبل الوزارة ـ لاهثا ـ بعد انقضى الاسبوعين اللذين عاشت فيهما وزارة سرى ، يحاول ان يلبس ثياب المتعففين !! ..
وكان معنى قبول الهلالى للوزارة ، بعد هذه الازمة ، انه سوف ينفذ مارفض سرى تنفيذه . وأنه سيخضع لرغبات الملك الى آخر حد .. او بالاحرى الى غير حد . وتحقق هذا الظن حين نظر الناس الى مقعد وزير الحربية الذى ثارت حوله الازمة ، وتطاير الشرر ، فوجدوا الهلالى قد أجلس عليه : اسماعيل شيرين .
وفى الصباح التالى ، التاريخى ، ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، سمع الناس فى الراديو صوتا غريبا يقرأ عليهم بيان القيادة العامة الاول ... وخرج الناس من بيوتهم الى المدينة ، وقد أصبح لها حاكم جديد ! ...
وكان البيان قد اعلن ان هدف الجيش احترام الدستور ، وختم باللجوء الى ظل الدستور . فشعر الناس ان الحركة ليست لحساب الجيش فقط ،

بل ولحسابهم ايضا .. وانفجرت موجة التاييد تكتسح كل شيء ، وتمهد للعمل القادم العظيم !!..

وليس هذا المجال بمجال تاريخ حركةالجيش .. ولكننا نمضي معتطوراتها السياسية .. فنجد حافظ عفيفي يحاول ان يذهب الى القصر « ليتحف » سيده بمشورة جديدة فيمنعه الجيش . ثم نجد الهلالي وحافظ عفيفي والوزراء مجتمعين فى بولكلى قد اخذهم الروع ، ويحاول رئيس الديوان ان يتصل بسيده فىالتليفون فيرد عليه محمد حسن ، الخادم الخاص .. ويقول حافظ عفيفي انه يريد ان يتصل بالملك .. فيرفض محمد حسن ! ويطلب من رئيس الديوان ان يقول له مايريد ليقوم هو بنقله الى الملك ! ...

وحاول ان تفهم بعد ذلك ــ ايها القارىء ــ ايهما رئيس الديوان وايهما الخادم الخاص : حافظ عفيفي ام محمد حسن !!

وألف على ماهر الوزارة بناء على طلب الجيش .. وكان هذا هو الطلب الاول ...

وطلب الجيش من على ماهر ان يبلغ الملك المطلب الثانى : طرد رجال الحاشية .. الياس اندراوس ، كريم ثابت ، حلمى حسين ، حسن عاكف ، محمد حسن

ونجح الجيش تماما فى اخفاء غرضه الاساسى من الحركة . وذلك بالرغم من المحاولات الهائلة التى بذلت لمعرفة الاهدافالنهائية .. حتى لقد ذهب بعض الجواسيس يقترحون على اللواء نجيب خلع فاروق .. ليجسوا النبض ... فتظاهر الجيش بأن هذا عمل خطير ، لم يدخل له فى حساب ...



اللواء محمد نجيب

وذهب على ماهر الى الاسكندرية ليحصل على موافقة الملك على الطلب الثانى ... وخلفه تحركت قوة من الجيش .. بدعوى الاستعداد ، واشعار الانجليز بأنهم لايقبلون أى تدخل ..

وفى اليوم التالى ذهب محمد نجيب الى الاسكندرية .

وفى صباح ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ... رأى سكان الكورنيش مع بزوغ الصبح خطا طويلا من الدبابات يزلزل الطريق ذاهبا الى قصر رأس التين ... فى نفس اللحظة التى رأى فيها جيران

القصور الملكية فى عابدين والقبة والمنتزه حصارا قويا تتصل حلقاته حول القصور ....

ووقعت غلطة بسيطة ، كان لها دور باهر فى النتيجة الباهرة ... فقدكان المفروض ان تتقدم الدباباتالى قصر رأس التين حتى تقف عند مداخلالميدان وان يقف المشاة وراءها استعدادا ....

ولكن المشاة تقدمت الدبابات خطأ ، واقتربت جدا من قصر رأس التين ..

ورأى جنود الحرس الملكى من الهجانة هذا الزحف القادم ... وأسرعوا يتخذون موقف « الاستعداد » امام مدافع الفيكرز التى اقيمت منذ بدات الحركة فى حديقة القصر ...

وفى نفس اللحظة كان اللواء محمد نجيب يستعد للذهاب الى ماهر ، يقدم له الانذار الاخير بطلب عزل الملك

وبدات النهاية ...

النهاية

آه لو اتعظ الناس فى نهارهم بالمغيب ،
وفى ليلهم بوحشة السكون !
تنيسون

كان فاروق ــ حين جاءته اول أنباء الانقــلاب ــ فى قصر المنتزة . ولم تكن قوة الحرس الموجودة فى القصر تزيد على ٣٠٠ جندى وضــابط ... وكانت أول اوامر فاروق بعــد الحركة أن امر جنود الحرس الحربى باتخــاذ موقف الاستعداد على أبواب القصر الخارجية ، فى حين وقف بوليس القصور الملكية عند الابوا بالداخلية للحرملك . الذى بات فيه الملك ، والاسرة ، والحاشية

ولم يطمئن فاروق الى هــذا المقام ، فانتهز اول فرصــة وانتقل مع اسرته وحاشيته الى قصر راس التين . فهو هناك يجاور قشلاق الحرس الذى توجد فيه القــوة الرئيســية ــ حوالى ٨٠٠ جندى ــ ويجاور الميـنـاء ، واليخت ، والبحرية الملكية ! ..

ومع ذلك فقد كان فاروق يعتقد أن العاصفة الرئيسية مرت بقبوله التخلى عن افراد الحاشــية وطردهــا من القصر ــ وقد كذب على الجيش ولم يطرد بوللى بالذات . وظن ان الباقى لن يزيد على بعض طلبات اخرى .. أهون .

وظل فاروق على هذا الاطمئنان حتى الســاعة السابعة وعشر دقائق من صباح السبت ٢٦ يوليو .. اذ تقدم مشاة الجيش من أسوار القصر ، ومعهم عربتان من حمالات البرن المدرعة .

ورأى أحد ضــباط الياوران الطابور الزاحف من احدى الجهــات ، فأطلق من مســدسه طلقة فى الهواء ، للتحذير من الاقتراب ، ومن ناحية الميناء ، اطلق جنود الهجانة بعض دفعات من مدافع الفيكرز على القوة الزاحفة ، التى ردت بالمثل ....

وارتفع صــياح مذعور من جناح الحرملك ، مصــدره الوصــيفات و « الكلفوات » (١) . وأسرع فاروق ــ وكان منذ الحركة يستيقظ فى ساعة مبكرة جدا ــ اسرع يأمر الاميرالاى أحمد كامل قائد بوليس القصور الملــكية بأن يتصل بقشــلاق الحرس ويــكلف أحد الضــباط بأن يتوجه الى الجيش لايقاف الضرب .

وخرج من قشلاق الحرس يوزباشى يحمل علما ابيض متوجها الى قائد قوة الجيش التى تحاصر القصر ونقل له هذه الرغبة .... وقال قائد قوة الجيش انه يسره جدا ان لا يقع أى قتال بين مصريين

---

(١) الكلفوات عبارة عن آنسات تركيات : يختارهن القصر وهن صغيرات السن من اللقيطات من ملاجىء تركيا ! .. وفى مصر يربين تربية خاصة لــكى يصبحن رفيقات وخادمات خصوصيات للملكة والاميرات . وكان عدد الكلفوات الموجودات فى قصر راس التين يوم التنازل ستة .

وعاد فاروق قبعد قليل يسأل الاميرالاى أحمد كامل : الجيش اوقف الضرب
فقال احمد كامل : ايوه يا افندم
وكان فاروق لا يتصور ان المسألة متصلة بعزله ، فقال لاحمد كامل : هما طالبين ايه تانى ؟ .. ما انا قلت اللى عايزين يعملوه .. يعملوه ...
ثم استدعى اللواء عبد الله النجومى وكلفه ان يخرج ليتساءل عن سبب الحصار ، وخرج اللواء النجومى ، ولكن قوة الجيش اسرته ،وارسلته مخفورا الى معسكر مصطفى باشا .
وكان القصر قد اتصل بعلى ماهر وبالسفير الامريكى ...
وجاء على ماهر اولا .. وكان الملك واقفا فى شرفة داخليــة فأسرع اليه . وســأل فاروق فى ذعر عن الحالة ، فطمأنه على ماهر على حيــاته . وقال انه ذاهب الان الى بولكلى حيث يلتقى باللواء محمد نجيب . وسوف يحيط الملك علما بكل شيء .
وخرج على ماهر ... وفى بولكلى دخل عليه اللواء محمد نجيب يحيط به ضابطان . وقدم ــ فى هيئة عســكرية ــ ورقة هى اخطر وثيقة عرفتها مصر منذ سنوات طويلات ..
وبالرغم من أن الانذار كان مفاجأة لعلى ماهر ، الا أنه لم يكن ابعد مما كان يتصور . وسأل : هل عملتم حساب كل شيء ؟
فرد محمد نجيب : نعم .. وقد فات وقت المناقشة فى هذا الطلب !
وناقش على ماهر قليلا فى صيغة الانذار ، ثم مضى الى القصر ...
ودخل على ماهر الى حجرة فى الســلاملك المطــل على الميناء كان فاروق ينتظره فيها .. ووجد على ماهر ان فاروق مايزال فى حــالة قلق شــديد .. فقال له : يا مولاى .. الشعب ثائر .. والجيش متحفز .. وانا شــايف ان جلالتك تضحى وتتنازل عن العرش فتتحاشى اى احتــكاك ، وتضمن العرش لأبنك .
وفــكر فاروق لحظة . ولم يغب الموقف عن باله . ولم يســمح له ذعره ، ويأسه ، وتحلل شخصيته بأى مساومة أو مقاومة ، فقال بعد لحظات : طيب
ثم طلب أن يصحب معه ولى عهده ، فوعده على ماهر بذلك ...
وأخــرج على ماهر من جيبه الانذار الموجــه من الجيش ليطلعه عليه ...
وقرأه فاروق وهو يرتجف ، وقال مصعوقا : لــكن دى لهجة عنيفة قوى .. وما تصحش فى موقف زى ده ...
فقال على ماهر : انه لم يحمل اليه الانذار الاول ، وانه بذل جهده فى اقناع الجيش بتخفيف الصيغة حتى جاءت على هذا النحو
واذعن فاروق مرة اخرى . وقال : لازم الانذار الاول كان فظيع جدا .. اما الانذار الذى قراه الملك ، فكان يقول :

« من الفريق اركان حرب محمد نجيب باسم ضباط الجيش ورجاله الى جلالة الملك

انه نظرا لما لاقته البلاد فى العهد الاخير من فوضى شاملة عمت جميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعبثكم بالدستور وامتهانكم لارادة الشعب حتى اصبح كل فرد من افراده لايطمئن على حياته او ماله او كرامته . ولقد ساءت سمعة مصر بين شعوب العالم من تماديكم فى هذا المسلك حتى اصبح الخونة والمرتشون يجدون فى ظلكم الحماية والامن والثراء الفاحش والاسراف الماجن على حساب الشعب الجائع الفقير

ولقد تجلت آية ذلك فى حرب فلسطين وما تبعها من فضائح الاسلحة الفاسدة وما ترتب عليها من محاكمات تعرضت لتدخلكم السافر مما افسد الحقائق وزعزع الثقة فى العدالة وساعد الخونة على ترسم هذه الخطى فأثرى من اثرى وفجر من فجر ، وكيف لا والناس على دين ملوكهم .

لذلك فوضني الجيش الممثل لقوة الشعب ان اطلب من جلالتكم التنازل عن العرش لسمو ولى عهدكم الامير احمد فؤاد . على ان يتم ذلك فى موعد غايته الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم السبت الموافق ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ والرابع من ذى القعدة سنة ١٣٧١ ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه

والجيش يحمل جلالتكم كل ما يترتب على عدم النزول على رغبة الشعب من نتائج »

وطلب فاروق ان يكون وداعه رسميا لائقا ، وان يحضر لتوديعه على ماهر والسفير الامريكى ، ضمانا لسلامته . فوعده على ماهر بذلك ...وانصرف ليرتب التفاصيل.

وكانت تقاليد القصر قد اختفت فى زحمة الاحداث الهائلة ، التى تجرى بهدوء شديد . ودخل الى الحجرة التى يجلس فيها فاروق عدد من الضباط الموجودين ... على راسهم الاميرالاى احمد كامل قائد البوليس الملكى والاميرالاى احمد ابو النصر قائد قوة الحرس

وكان بوللى فى حجرة اخرى من السلاملك ، غير بعيدة

وقال فاروق : ياجماعة .. انا مش مطمئن !

فقال احد من الضباط : مش مطمئن ليه يامولانا .. ما هى الحكاية انتهت على خير والحمد لله ...

فقال فاروق : انا خايف يفتحوا قبر ابويا ... ويمثلوا بجثته !!!

فقال الاميرالاى احمد كامل : لا يامولانا ... الجماعة بتوع الحركة ناس كويسين ، ومش معقول المسالة توصل لحد كده ...

ودق التليفون . وكان على ماهر يطلب اسماء الاوصياء الذين يختارهم

الملك . وقال فاروق للاميرالاى احمد كامل :
ــ رد انت على لسانى .. قول أولا عبد المنعم .. ده راجل طيب ووالدى أوصانى عليه . وشريف صبرى علشان خالى ، ولو ان عـلاقاتنا كانت مش ولابد . وبعدين اسماعيل شيرين .. ده جوز أختى وانا احبه .. ولو انى اعتقد انهم مش حيوافقوا عليه
وانتهت المكالمة التليفونية
وسأل فاروق عن حلمى حسين .. فقيل له انه فى قشلاق الحرس
وكان حلمى حسين قد اعد عدته للهرب الى المملكة العربية السعودية .
وجاء تلك الليلة مصادفة ليبيت فى قشلاق الحرس ، فوقع فى المصيدة
وقال فاروق : ده تسلموه للجيش ...
وذهب يوزباشى من الموجودين الى القشلاق فأحضره خطأ الى الحجـرة التـى يجلس فيها فاروق ... وصاح فاروق : مين قال لك تجيبه هنا ...
وكان حلمى حسين يبكى ويتوسل : خدنى معاك ياmولاى .. خدنى معاك دول حيقتلونى ...
وتجاهل فاروق توسلاته ، وقال للضابط الذى جاء به : سلمه للجيش
وخرج به ضابطان ، يجرانه ويسندانه ، وهو يكاد أن يقع مغشيا عليه ، حتى تسلمه الجيش
وفى جو القاعة الكئيبة ، والضباط يقفون متباعدين ، مطـرقى الرؤوس ، جاء من يعلن وصول سليمان حافظ وكيل مجلس الدولة ، ويحمل وثيقـة التنــازل ...
وقاد الاميرالاى احمد كامل الاستاذ سليمان حافظ الى قاعة كبـيرة ... ثم مضى ليخبر الملك .. وبعد قليل جاء الملك .. وصافح سليمان حافظ .
واخرج سليمان حافظ وثيقة النزول عـن العرش وقدمها اليه . وقرأ فاروق فيها بسرعة :
« نحن فاروق الاول ملك مصر والسودان
لما كنا نتطلب الخير دائما لامتنا ونبتغى سعادتها ورقيها
ولما كنا نرغب رغبة اكيدة فى تجنيب البلاد المصاعب التى تواجهها فى هذه الظروف الدقيقة . ونزولا على ارادة الشعب
قررنا النزول عن العرش لولى عهدنا الامير أحمد فؤاد
وأصدرنا أمرنا هذا الى حضرة صاحب المقـام الرفيـع على ماهر باشـا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه
صدر بقصر رأس التين فى ٤ ذى القعدة سنة ١٣٧١ ــ ٢٦ يوليه سـنة ١٩٥٢ »
ولم يرتح هذا الذى لم يعرف الا ارادته لعبارة «نزولا على ارادة الشعب»

وكأنه اراد ان يدمغ آخر وثيقة لحكمه بارادته التى لم يقف فى وجهها شيء ،
فقال سليمان حافظ : هذا مفهوم ولا يحتاج الى اضافة

وغير فاروق رأية فجأة . وقال لبوللى : بلاش يا «بلبل » . دقيقة منعمرك
فقال الملك : اذا كان مفهوما كما تقول فلا مانع اذا من أن أضيف العبارة .
فقال سليمان حافظ انه لا يملك ان يتصرف بالتغيير فى عبارة الوثيقة ..
وامسك الملك بالقلم ، ووقع فى ذيل الوثيقة كالمعتاد ... ولكن التوقيع جاء مضطربا ، فقال : الامضاء واضح ؟
قال سليمان حافظ : نعم
قال الملك أحسن امضى تانىفوق ... علشان ييجى الامضاء غيرمضطرب!
كان وكأنه لا يريد ان يترك القلم ... وحين تركه ، كان قد فقد عرشه ، ولم يعد ملكا !
وأبدى الملك السابق بعض الرغبات .. ان يأخذ معه بوللى ، وأن تحفظ أمواله لاولاده ، فوعد سليمان حافظ بنقل هذه الرغبات الى رئيس الوزراء وخرج ...
ولم يبق الملك السابق لوحده طويلا ، اذ عاد – أو عاد اليه – ضباط الحرس الموجودون ... وقد وجدوه يبكى وجسده الضخم يهتز كله . وبكى الضباط وصاح فيهم الملك السابق : انتوا بتعيطوا ليه ؟ .. خلاص كفاية ..
وحاول الضباط ان يسكتوا . وحدق الملك السابق فى النافذة برهة ، ثم قال وهو يشير الى المدينة : انتوا فاكرين ان « الطينة » دى مش عزيزة على ؟ ...
وتقدم الاميرالاى أحمد أبو النصر قائد الحرس وقال للملك السابق : يامولاى ... احنا كنا عارفين حاجات كتير عن الحالة .. لكن ما كناش بنقدر نوصلك .. وللاسف ما كانش الواحد بيقدر يؤدى واجبه أكثر من ضابط ...
فقاطعه الملك السابق : بلاش الكلام ده دلوقت يا ابو النصر .. انا عرفت كل حاجة ، لكن متأخر صحيح
واستطرد الاميرالاى : يامولاى .. احنا لنا رجاء اننا نسلم بوللى للجيش زى ما سلمنا حلمى حسين ...
ورفض الملك السابق قائلا ان بوللى عزيز عليه ، وقد خدمه كثيرا .
فقال له أحد الضباط : لكن يامولاى المفروض أن بوللى طلع من السراى .
ويبقى الموقف ايه لو الجيش فتش المحروسة ووجده فيها ...
وأصر الملك السابق على أن يصحب بوللى ...
وذهب احد الضباط الى الحرملك واقترح على الملكة ناريمان أن تحاول اقناع الملك السابق بترك بوللى ... وذهبت اليه الملكة ، فما أن رآها حتى



قال في صوت جاف : انت جايه تعملي ايه ؟...
فعادت من حيث اتت ، دون أن تنطق بكلمة ، وهي تكتم بكاءها ...
واسرع احد الضباط الى الحجرة التي يجلس فيها بوللي وصاح فيه : يا اخي انكسف .. الراجل جوه مش عايز ياخدك ومكسوف يقول لك ... ادخل وقول له انك مش حتسافر معاه ...
فرفض بوللي وقال انه سيسافر معه
وذهب الضابط مع بوللي الى الحجرة الموجود بها الملك السابق . وانتحى الملك السابق مع بوللي جانبا في الحجرة برهة ، ثم قال الملك : ياجماعة .. بوللي جاي معايا .. وبيقول انهم اذا ضبطوه حيضرب نفسه بالرصاص ..
فرد الضابط : يامولانا ... آدي مسدس ، وقدامه ٣٠٠ حجرة يضرب نفسه في أي حجرة منها ...
وغير فاروق رأيه فجاة . وقال لبوللي : بلاش يابوللي . دقيقة من عمرك احسن ...
وخرج أحد الضباط به من القصر ، وسلمه الى الجيش ...
وعادت الهواجس الى الملك السابق من جديد ... وكان يترك الضباط ورجال السراي الباقين ليمشي وحده في ردهات القصر ثم يعود اليهم . وقال لهم مرة :
ـ اعمل ايه في البنات ؟. دي مشكلة .. وخصوصا فريال اللي على وش جواز ... دول حيتعبوا سواء سافروا معايا او بقوا في مصر ..
واقترح عليه أحد الحاضرين ان تبقى فاديه مع أمها ، وأن يأخذ الاميرتين فريال وفوزية
وأمر باحضارهن من الحرملك . ولما دخلن قال فاروق لفريال :
ـ يا « فيري » انا شفت ان فاديه حتستنى هنا .. وانت وفوزية ايه رأيكم ؟...
وبكت فريال ، وقالت له : انت لازم مش بتحبنا ، علشان ما قلتش Decision (قرار)
واغرورقت عينا الملك السابق مرة ثانية ، وقال انه سيأخذهن جميعا .
ومضت ساعات العصر ثقيلة بطيئة ... لم يخل فيها الملك السابق الى جناحه الخاص الا قليلا ... اما اكثر الوقت فقضاه سائرا على قدميه في ردهات القصر ، أو واقفا عند هذه النافذة ، أو تحت هذه الصورة ...
ورأى الحقائب الكثيرة تحمل الى المحروسة فقال : ايه الشنط دي كلها ؟
فقيل له : انها طعام للرحلة ..
واستطرد : انا مش عاوز عفش كتير ... خدوا لي بدلتين .. « خفاف » بس ...

وكان عدد الحقائب التى حملتها السفينة ٢٢ حقيبة فقط . وليس ٢٠٠ كما قالت الصحف

وجاءت الساعة الخامسة والنصف ...

وعلى رصيف رأس التين كانت قد وقفت قوة من الحرس على هيئة قره قول شرف . وكان هناك على ماهر ، وجيفرسون كافرى السفير الامريكى

ونزلت الملكة ناريمان والاميرات الصغيرات ، وذهبن الى اليخت مباشرة .

وبعد قليل ظهر الملك السابق يلبس بذلة بحرية ... كان فى جسده الضخم البدين ، والمأساة التى خلفه ، يبدو كأنه اسطورة مرعبة ... وهبط سلم القصر وهو ينظر حوله نظرات زائغة ... وسار امام قرقول الشرف ، وبيرق الحرس ينزل من الصارى ، ثم تقدم اليه ضابط يحمل البيرق ، فأخذه الملك السابق ووضعه مطويا على ذراعه ...

وما اعجب الدورة .. فهذا الملك الذى تربى أميرا ، وليس له صديق الا الخدم ... مرت به السنون ، وساد البلد ستة عشر عاما .. وهو يسافر وليس له صديق الا نفس الخدم . ثلاثة البانيون ، وبيترو الحلاق ، وكافاتيس ... وعلى الرصيف وقف يودعه نفس الرجل القصير ... الذى استقبله منذ ستة عشر عاما ...

وكان على ماهر يبكي بشدة . واقترب كافرى من الملك السابق وقال له :

Goodluck Your Majesty (حظ سعيد ياصاحب الجلالة)

وكررها مرة ثانية ... ثم تأخر وهو يجهش بالبكاء ... وقال الحاضرون انه كان كمن مات له ولد !! ...

ونظر الملك فى ساعته فوجد بينها وبين السادسة دقيقتين ، فقال لعلى ماهر :

ـ نجيب ما جاش ... وانا لازم امشى بقى ...

ومشى ...

مشى الى القارب البخارى بخطوات بطيئة جدا ... ثقيلة جدا .. كمن افاق من حلم

وبعد أن نزل فى القارب ، استدار ، وقال فى صوت محشرج غطى عليه صوت المحرك :

ـ سلموا لى على عساكر الحرس والضباط إللى ما شفتهومش ! ...

ووصل اللواء محمد نجيب . فقال له على ماهر : ده مشى خلاص .

ولكنه اصر على ان يودعه ... واحضر له قارب ركبه ، وصعد الى المحروسة ، وكان الملك السابق واقفا عند رأس السلم .. وتصافح الغريمان

وكان الواقع الماثل أمام عينى الملك السابق أقسى من أن يتحمله . فأثاره عصا فى يد ضابط يقف الى جوار نجيب ، وطلب من الضابط ان ينكسها

وسكت الضابط فلم يجب ، ولم ينكسها ، ومر الملك السابق بهذا الواقع الجديد ، كأنه لا يلاحظه .

ثم نزل نجيب عائدا الى الشاطىء ...

وتحركت المحروسة الى عرض البحر ، والشمس تغرب ...

وقال الذين سافروا معه : انه دخل مباشرة الى حجرته ... وأخذ يبكي بكاءا حارا ، طويلا ، مسموعا ... ندما على خطايا وآثام ، لا تغسلها مياه البحر ، ولا يطمسها ظلال الليل ، الذى أطبق على الركب !

٢٦ أغسطس ١٩٥٢

أحمد بهاء الدين

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٤٩٢ / ٩٩

I.S.B.N 977-01-6510-7



المعرفة حق لكل مواطن وليس للمعرفة سقف ولا حدود ولاموعد تبدأ عنده أو تنتهى إليه.. هكذا تواصل مكتبة الأسرة عامها السادس وتستمر فى تقديم أزهار المعرفة للجميع. للطفل. للشاب. للأسرة كلها. تجربة مصرية خالصة يعم فيضها ويشع نورها عبر الدنيا ويشهد لها العالم بالخصوصية ومازال الحلم يخطو ويكبر ويتعاظم ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن و... لكل أسرة... وأنى لأرى ثمار هذه التجربة يانعة مزدهرة تش... مصر كانت ومازالت وستظل وطن الفكر المتحرر والف... والحضارة المتجددة.

سوزان مبارك

مكتبة الأسرة

1999 مهرجان القراءة للجميع

١٢٥ قرشاً

